

تأليف

ناتسومي سوسكي

ترجمة

عبد الواحد محمد

الانوار

كوكورو

علي مولا



دار المأمون

كوكورو

رواية يابانية



كوكورو

رواية يابانية

تأليف

ناتسو هي سوسكي

ترجمة

عبدالواحد محمد

دار المأمون للترجمة والنشر

بغداد - ١٩٨٨

Kokoro
Natsume Soseki

كوكور و
ناتسومي سوكي

دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والإعلام
حقوق الطبع والنشر محفوظة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٠٠) لسنة ١٩٨٨
توجه المراسلات الى:

دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والإعلام
بغداد - الجمهورية العراقية

ص . ب : ٨٠١٨

تلکس : ٢١٢٩٨٤

طبع بمطابع دار الحرية للطباعة - بغداد
مترجم عن الإنكليزية

مقدمة مترجم الرواية الى الانكليزية

لقد برزت اليابان أمةً عصرية في أثناء المرحلة الميجية التي دامت من ١٨٦٨ الى ١٩١٢ . وعند الحقبة الاخيرة من تلك المرحلة كانت الرواية اليابانية الحديثة قد بلغت نضجها وبدأ يبرز في مجالها اساتذة حقيقيون فيما كان اساساً شكلاً ادبياً غريباً . ومن اولئك الروائيين ، ربما كان ناتسومي سوسكي من اكثرهم عمقاً وتعدد براعات . ولد سوسكي في طوكيو في ١٨٦٧ عندما كانت المدينة ماتزال تُعرف باسمها القديم وهو: (يدو) . لقد تعلم في (الجامعة الامبراطورية) ، اذ درس فيها الادب الانكليزي . في عام ١٨٩٦ التحق بالهيئة التدريسية لـ(الكلية الوطنية الخامسة) في (كوماموتو) ، وفي عام ١٩٠٠ أرسل الى انكلترا في زمالة حكومية . وعاد الى اليابان في عام ١٩٠٣ ، وفي نيسان من العام نفسه ، خَلَفَ (لافكاديويهيرن) محاضراً في الادب الانكليزي في (الجامعة الامبراطورية) لم يكن راضياً بالحياة الاكاديمية ، وفي عام ١٩٠٧ قرران يكرس جل وقته لكتابة الروايات والمقالات .

كتب سوسكي رواية (كوكورو) في عام ١٩١٤ ، اي بعد موت الامبراطور مييجي بعامين ، وقبل موته هو نفسه بعامين . لقد كتبها وهو في ذروة عمله ، عندما كانت قد ترسخت سمعته روائياً . في هذه الرواية ، مثلما في رواياته ائمهمة الاخرى ، يهتم سوسكي بوطأة وحشة الانسان في العالم الحديث . ففي احدى رواياته الاخرى يصرخ البطل : «كيف استطيع ان اهرب الا من طريق الايمان او الجنون او الموت؟» وبالنسبة الى (المعلم) بطل رواية (كوكورو) يكون الموت هو الوسيلة الوحيدة للهروب من وحشته .

واعتقد ان انتحار الجنرال (نوشي) الذي جاءت الاشارة اليه في القسمين الثاني والثالث من رواية (كوكورو) ، ذواهمية بالنسبة اليها فهنا للرواية ول(سوسكي) . فالحادث هذا سبب ضجة كبرى في حينه . فقد كان الجنرال نوشي والادميرال توغو من اشهر الابطال المعروفين في الحرب الروسية - اليابانية . وعندما كان ضابطاً شاباً انتكست رايته امام العدو في (تمرد ساتسوما) . بعد ذلك بخمسة وثلاثين عاماً وبعد وفاة الامبراطور مييجي مباشرة ، قتل نفسه . لقد انتظر ، لاسترداد شرفه ، حتى الوقت الذي لم يعد بوسعه ان يخدم فيه امبراطوره . كان سوسكي عصرياً في نظرتة الى حد التعاطف الكامل مع الجنرال ، وكذلك كان (المعلم) . وبالرغم من موقف سوسكي من الرأي القديم بمسألة الشرف ، فلم يكن بمقدوره الا ان يشعر بأنه كان ، على نحو ما ، جزءاً من العالم الذي انجب الجنرال (نوشي) . وهذا هو السبب الذي جعل (المعلم) في هذه الرواية يتفجع على مرحلة مييجي

الراحلة . «وفي ليلة العظة الجنائزية الامبراطورية جلست في مكنتي وأصغيت الى دوي المدفع . بالنسبة لي ، بدا لي الدوي هو الندب الاخير لعصر راحل . »

سُردت (كوكورو) على لسان الشخص الاول من البداية حتى النهاية . لهذا السبب كان الاسلوب بسيطاً بصورة مقصودة . في النص الاصلي توجد جمالية وراء البساطة الظاهرية لاسيما في القسم الثالث من الرواية . وانني لأمل ، في الاقل ، ان يبقى في الترجمة قليل من تلك الجمالية . على اية حال ، لقد حاولت الحفاظ على هذه البساطة .

ان افضل ترجمة للكلمة اليابانية (كوكورو) هي مارأيتها عند (لافكاديو هيرن) ، اي «جوهر الاشياء» .

ولولا العطف الكبير من لدن اعضاء (لجنة الفكر الاجتماعي) في جامعة شيكاغو ، لما كان بوسعي ابدأ انجاز هذه الترجمة . وارغب ان اشكر زوجتي ايضاً لمساعدتها لي .

ادوين ماكليان

Edwin McClellan

مقدمة المترجم ناتسومي سوسكي (١٨٦٧ - ١٩١٦)

في زمانه برزت على الساحة الادبية شخصيتان هما: موري اوغاي وناتسومي سوسكي نفسه. وكلاهما اولعا بالادب الغربي وقُيِّض لهما السفر الى اوربا، اذ سافر موري اوغاي الى المانيا لاستكمال دراسته الطبية، في حين سافر ناتسومي سوسكي الى انكلترا لاستكمال دراسته الادبية. وقد بذلا جهداً كبيراً في ترجمة وتقديم أحسن ما في النثر والشعر الالمانى والانكليزي في القرن التاسع عشر الى معاصريهم. في البداية قام بالتعليم في مدارس طوكيو والمقاطعات، وفي عام ١٩٠٠ ارسلته وزارة التربية في بعثة الى انكلترا لمدة ثلاثة اعوام. لكنه لاقى مصاعب نفسية كثيرة هناك. وبمبلغ لا يزيد عن ١٥ باونا - اي ما يعادل ١٥٠ ينأ يابانياً - شهرياً، عاش حياة ضنك. كان يقر على نفسه ليشترى الكتب ويتلقى محاضرات خصوصيه، لاسيما انه وجد المحاضرات الجامعية ذات مستوى اولي بالنسبة له. ومن الاساتذة الذين درس على ايديهم (دبليو. جي. جريك) الذي كان محرراً لسلسلة «آردن» لمؤلفات وليم شكسبير.

لم يستطع سوسكي ان يكوّن علاقات مع الانكليز وان يتبادل الاحاديث معهم، مما حزّ في نفسه كثيراً وادى به الى التقوقع والانطواء لابل الى الشعور بالنقص والصغار. وهذا واضح في مفكرته التي تبين انه لم يشعر بالحنين للوطن بقدر ما عانى من شعور بالمرارة نحو انكلترا.

وبمضي الوقت صار سوسكي اكثر انعزلاً واكتئاباً. وبغية التغلب على قنوطه، انكب على المطالعة. ثم كتب ثلاث دراسات ادبية هي: نظرية الشكل في الادب الانكليزي، ونظرية الادب، والنقد الادبي. لكنه لم يفلح في تقديم شيء جدير بالاهتمام في دراستيه الاوليتين، اما الدراسة الثالثة فهي مسح للادب الانكليزي في القرن الثامن عشر. وتعكس هذه الدراسة براعته وسعة اطلاعه، وكان تناوله لـ(پوپ) و(سوفت) رائعاً.

من الجلي ان الاساس النظري في استيعاب سوسكي للادب الانكليزي كان ذا اثر بارز في كتابته للرواية اليابانية من حيث المادة والشكل، واحياناً من حيث اللغة ايضاً، اذ غالباً ما اسعفته في حالات حرجة في خلق لغة جديدة للرواية اليابانية في مراحل التطور الاولى. بعد عودته من لندن، وفي عام ١٩٠٣ شغل سوسكي منصب استاذ الادب الانكليزي في جامعة طوكيو ودرّس طلابه رواية (سايلاس مارنس)، لكنه لاقى صعوبة في اجتذاب الطلاب اليه، لاسيما وانه شغل هذا المنصب بعد استقالة الاستاذ (لافكاديوهيرن) الذي كان الطلاب يحبون الاصغاء اليه عندما كان يتحدث عن شعر (تيسون)

باسلوبه السلس والرشييق . لكن من حسن حظ سوسكي ان روايتين له قد حققتا نجاحاً عظيماً في تلك الفترة ، لذلك عزم على ترك التعليم واستقال في عام ١٩٠٧ وانقطع الى التأليف . وبناءً على شهرته حينذاك احدثت استقالته - وكذلك رفضه درجة الدكتوراه الممنوحة له من وزارة التربية - ضجة بين الناس . وقبل استقالته من الجامعة نشر روايتين هما : (اناقطة) في ١٩٠٥ - ١٩٠٦ و(السيد الصغير) في ١٩٠٦ ، وعدداً من الكتابات القصيرة من ضمنها مقالات عن زيارته لبرج لندن ومتحف كارلايل . ورواية (اناقطة) من النوع الهجائي وهي تصور قطة سائبة تبناها معلم مدرسة وهي أقرب ماتكون الى الصورة الكاريكاتيرية . اما رواية (السيد الصغير) فانها تحكي قصة معلم رياضيات شاب في مدرسة اقليمية وهو يواجه معلمين اكبر منه عمراً واكثر احترافاً وخبرة .

كما صدرت له رواية جديدة في عام ١٩٠٦ عنوانها (وسادة العشب) التي ترجمها (الن تيرني) الى الانكليزية بعنوان (العالم ذو الاركان الثلاثة) . لقد كتبها بطاقة هائلة فاستطاع ان ينجزها في بحر اسبوع واحد . والرواية فيها رسام شاعر من طوكيو له المام بالادب والفنون الشرقية والغربية وقد فرغ من ضجة الحياة في المدينة الواسعة الى منتجع ذي ينابيع ساخنة . وحبكة الرواية صغيرة وهي اقرب ما تكون الى ادب المذكرات . وتقع معظم احداثها في ذهن الراوي وهي عبارة عن عرض لأمزجة الفنان وتأملاته . وفي عام ١٩٠٧ اصدر رواية (الجرو الوحشي) وهي تشبه رواية الروائي (بيلوير) الميلودرامية . وفي عام ١٩٠٨ اصدر

رواية (عامل المنجم) وفيها مسحة كافكاوية . وجميع هذه الروايات من النمط التجريبي ، لكنه بعد ذلك رسخ اسلوبه الروائي الذي ابتدأ بكتابه الثلاثية المؤلفة من (سانشيرو) في ١٩٠٨ و(بعد ذلك) في ١٩٠٩ و(البوابة) في ١٩١٠ . وتروي هذه الثلاثية على لسان الشخص الثالث والمغامرة الاسلوبية فيها اقل مما هي في سابقاتها من الروايات . وتلت الثلاثية ثلاث روايات هي : (حتى اعتدال الليل والنهار) في ١٩١٢ و(المتجول) في ١٩١٣ و(كوكورو) في ١٩١٤ . وهذه الاخيرة تعكس نضجه المتألق . ويكمن نجاح الرواية الاولى في الغموض المشحون على ألسن عدة رواة ، اذ يبلغ هذا الغموض عند البطل حد الشعور الايحائي والوامض . غير ان مثل هذا السرد المركب الذي يسرده راويان يوظفه سوسكي على أحسن مايرام في رواية (كوكورو) التي تعد واحدة من ارووع اعماله ويعبر سوسكي عن نظرته السوداء للعالم في روايته (عشب على جانب الطريق) في ١٩١٥ وهي روايته الكاملة الاخيرة على لسان الشخص الاول ، اذ تستند جميع وقائعها الى التاريخ الحقيقي لحياته الخاصة . وهذا لايعني خلوها من عنصر الخيال القصصي . ويزعم كثير من اليابانيين بأنها روايتهم المفضلة من دون جميع اعماله الأخرى .

وبعد موته بخمسة ايام ظهرت رواية سلسلة يومية في مجلة (آشي) بـ ١٨٨ حلقة ما بين ٢٦ ايارس و١٤ كانون الاول من عام ١٩١٦ بعنوان (النور والظلام) ، وهي من اطول رواياته لكنها غير كاملة . لقد ظهرت في تلك الحقبة التي كثرت فيها الروايات اليابانية الحديثة المتأثرة

بـ(الطبيعية) الغربية وبالروايات الغربية المترجمة الى اليابانية .
وعموماً، ان معظم اعماله رصينة وذات هدف اخلاقي واجتماعي
عال اسبغ عليها، ولاسيما على الاخيرة منها، مسحة فلسفية واضحة .
وسوسكي معروف عند الغربيين بمواصفاته الفنية الخاصة بسبب
الترجمات الممتازة لرواياته والتعليقات عليها . لقد نشأ سوسكي مثل
موراي اوغاي في الوقت الذي مازال فيه ممكناً ان ينال المرء ثقافة
مشتملة على دراسة النصوص الادبية التقليدية، صينية أكانت او
يابانية، وكذلك دراسة القيم الادبية والفلسفية التقليدية، فقد تعلم كتابة
الشعر الصقيل بالصينية الكلاسية التي كانت مؤشراً على الثقافة الرفيعة
في المرحلة (التوكوغاوية)، ناهيك عن رحلاته الاوربية التي وضعته
في موقع يسمح له بالنظر الى هذه التقاليد بمنظار دقيق يساعده في
فحصها بحماسة ووضوح، كما يلاحظ ذلك في روايته (وسادة
العشب) التي ارتقى فيها الى مكانة الكاتب العصري القريب من قرائه
بما بثه فيهم من استجابات فنية خالصة . لقد اعاد سوسكي طرح
الاساليب الادبية التقليدية في ضوء الحس العصري الخاص به، بما
فيها من مواقف وسمات جمالية .

عبدالواحد محمد

محتويات

| | | |
|-----|-------|----------------|
| ١٩ | | -انا والمعلم |
| ١١١ | | -انا والوالدي |
| ١٦٣ | | -المعلم ووصيته |

انا والمعلم

على الدوام اطلقت عليه لقب «المعلم». لذلك سوف أشير اليه بلقب «المعلم» وليس باسمه الحقيقي. ولم يكن ذلك لأن اللقب دليل على الحكمة بل لأنني اجد ان من الطبيعي ان افعل ذلك. وكلما رجعت بذاكرتي اليه، احبني افكر بلقب «المعلم». والآن، اذ القلم بيدي، لا استطيع الكتابة عنه بطريقة اخرى.

لقد التقيت بالمعلم لأول مرة في (كاماكورا) في غضون العطلة الصيفية. وحينذاك كنت طالباً في ريعان الشباب. وكان ذهابي الى هذا المكان بناء على الحاح صديق لي. كان يروم السباحة. ولغرض تغطية المصاريف الضرورية، قضيت اياماً قليلة في جمع المبلغ اللازم. لكن بعد وصولي الى «كاماكورا» بثلاثة ايام فقط، تسلم صديقي برقية من اهله يطلبون منه العودة. كانت امه مريضة، حسب ماجاء في البرقية. لكن صديقي لم يصدق ذلك. لقد حاول ابواه، لفترة، ان يقنعاه بالزواج من فتاة ما، بخلاف ارادته. وحسب نظرنا الحديثة، انه كان غير مؤهل للزواج في عمره الطري هذا. فضلاً عن

ذلك، لم يكن مولعاً بالفتاة . وتحاشياً منه لموقف مزعج ، فقد رأى ان يتوجه الى متجر قريب من طوكيو لتمضية عطلته بدلاً عن التوجه الى اهله ، كما اعتاد ان يفعل . لقد اراني البرقية وسألني عما ينبغي له ان يفعل . فلم اعرف بماذا اجيب . كان من الواضح ، انه يجب ان يعود الى اهله إن كانت امه مريضة حقاً . وعلى كل حال ، فقد قرران يغادر ، وبقيت وحدي ، انا الذي تجشمت العناء في سبيل الالتحاق به .

كان امامي احد خيارين : اما البقاء في «كاماكورا» او العودة الى الاهل ، قبل بدء الفصل الدراسي . فوطدت العزم على البقاء . كان صديقي من عائلة موسرة في الاقاليم الوسطى ولم تكن لديه مشكلات مالية . لكن ، لكونه طالباً شاباً ، فقد كان مستواه المعاشي بمستواي . لذلك عندما وجدت نفسي وحيداً بعده ، لم ار ضرورة لتغيير سكني . كان موقع فندقي الصغير في منطقة نائية في «كاماكورا» . لذا ، اذا شاء المرء ان يشغل نفسه بالتسلية الرائجة كلعب البليارد وتناول المثلجات كان لزاماً عليه ان يقطع مسافة طويلة عبر حقول الرز ، مشياً على القدمين . أما اذا انتقل بعربة ، فسوف يكلفه ذلك عشرين سنتاً . وعلى الرغم من بُعد المنطقة ، فقد شيدت الاسر الموسرة بيوتاً صغيرة لها فيها . كما ان المنطقة كانت قريبة من البحر ، وهذا شيء يناسب السباحين مثلي .

وفي كل يوم كنت اذهب الى البحر ماراً بالاكواخ المسقفة بالقشر والملوثة بالدخان . ودائماً كان الشاطئ مكتظاً بالرجال والنساء . وحياناً كان البحر مغطى بكتلة من الرؤوس السود ، كأنه حمام عمومي

وما اكثر ما عجبت كيف استطاع العديد ممن يقضون عطلتهم ان يحشروا انفسهم في مدينة صغيرة كهذه. وفي هذا الزحام الصاحب والبهيج ، استطعت وانا وحدي ، ان امتع نفسي ، غافياً على الشاطئء تارة ، او مبللاً برشاش الماء تارة اخرى .

وفي وسط هذا الهياج التقيت بالمعلم . وفي تلك الايام كانت توجد مقهيان على الشاطئء . وكنت ارود احدهما بلا سبب خاص . وبخلاف ما كان عليه اولئك الناس في بيوتهم المشيدة في منطقة «هاسي» ، الذين كانوا يمتلكون حمامات سباحة خاصة بهم ، كنا نحن في ذلك الجزء من الشاطئء مضطرين لاستخدام هذين المقهيين كمنزعين . وفيهما كان يستريح السابحون ويحتسون الشاي ويشطفون كسوات السباحة وينظفون اجسادهم من الملح ويتركون قبعاتهم ومظلاتهم في رعاية امينة . لم يكن لدي كسوة سباحة ، الا اني كنت اخشى ان اسرق . لذلك كنت اترك حاجياتي بانتظام في المقهى قبل النزول الى الماء .

*

كان «المعلم» قد خلع ملابسه توأ وكان يوشك ان يذهب للسباحة عندما وقعت عيناى عليه في المقهى لأول مرة . اما انا فقد اخذت قسطيني من السباحة ، وتركت النسيم يداعب جسدي المبلل برقة. وبينه وبينى تحركت رؤوس سود كثيرة . ثم انني كنت في حالة استرخاء ذهني وكان الشاطئء مكتظاً بالناس مما لايسمح لي بان التفت اليه لولم

يرافقه رجل غربي . وكان هذا الرجل الغربي ذو البشرة الشاحبة جداً قد جذب انتباهي قبل ذلك حينما دنوت من المقهى . كان واقفاً وذراعا معقودتان فوق صدره وهو يواجه البحر . وفوق مقعد الى جانبه ألقيت باهمال بدلة صيفية يابانية كان يرتديها . ولم يتعد مايكسو جسده السروال الداخلي الذي اعتدنا ان نلبس مثله . ووجدت في لبسه هذا غرابة . فقبل يومين كنت قد ذهبت الى «يوغاهاما» وجلست على قمة كتيب صغير قريب من المدخل الخلفي لفندق من الطراز الغربي وأمضيت الوقت في مراقبة الغربيين وهم يستحمون . كانوا جميعهم قد غطّوا جذوعهم واذرعهم وافخاذهم جيداً . وظهرت نساؤهم تواضعاً جمّاً . وكان معظمهن يرتدين قبعات مطاطية ذات الوان براقة تُشاهد وهي تتمايل رائعة بين الامواج . وبعد مشاهدة هذا المشهد كان من الطبيعي بأن هذا الرجل الغربي ، الذي وقف بيننا شبه عار ، غريب الشأن حقاً .

وفيما كنت اراقبه رأيت يدير رأسه جانباً ويحدّث يابانياً بكلمات قليلة ، وكان هذا الياباني قد انحنى ليلتقط منشفة صغيرة ساقطة على الارض . وبعد ذلك لفّ الياباني المنشفة حول رأسه ويمم ماشياً صوب البحر . كان هذا الرجل هو «المعلم» .

ويدافع من الفضول المحض وقفت وراقبت الرجلين وهما يسيران جنباً الى جنب نحو البحر . وبثقة خاضا في الماء ، وسط جمع هادر ، الى ان بلغا بقعة هادئة وعميقة في البحر . ثم شرعا يسبحان متوغلين في البحر ولم ينقطعا عن السباحة الى ان توارى رأسهما عن ناظري ،

بعد ذلك قفلاً راجعين الى الشاطىء . وفي المقهى جففا جسديهما دون ان يزيلا الملح عنهما بماء البئر الصافي ، وسارعا الى ارتداء ملابسهما وبارحا المكان .

بعد مغادرتهما جلست واشعلت سيجارة وبدأت اتساءل عن «المعلم» من غير روية . وراودني شعور ، لم استطع التخلص منه ، بأنني كنت قد رأيت المعلم في مكان ما قبل ذلك ، بيد انني اخفقت بأن اتذكر مكان أو زمان التقائي به .

ولشعوري بالضيق ولعدم وجود ما افعله فقد ذهبت الى المقهى في اليوم التالي في الوقت نفسه بالضبط ، على أمل ان ارى المعلم مرة ثانية . في تلك المرة وصل من دون صاحبه الغربي وقد اعتمر قبعة قشبية . وبعد ان وضع نظارته بعناية على منضدة قريبة وشد منشفته اليدوية حول رأسه ، سارع متوجهاً نحو الشاطىء . ولما رأيته يخوض في الماء بين الجمع الصاخب ويسبح وحده متوغلاً في البحر ، سيطرت عليّ فجأة الرغبة في متابعته . وخضت في الماء الضحل المتناثر من حولي وتوغلت بعيداً وبدأت اسبح باتجاه المعلم . وبخلاف ماتوقعت اتخذ المعلم سبيله راجعاً الى الشاطىء بخط مقوس وليس بخط مستقيم . ولما رجعت الى المقهى والماء يقطر من بدني ازددت خيبة : فقد اكمل المعلم ارتداء ملابسه وكان في طريقه الى الخروج .

*

في اليوم التالي رأيت المعلم مرة ثانية ، عند ذهابي الى الشاطىء

في الوقت نفسه . كذلك رأيت في اليوم الذي اعقبه . لكن لم تحزن
فرصة لتبادل الحديث بيننا ولا حتى لتبادل التحية العابرة . علاوة على
ذلك ، دلّ موقفه على كونه غير اجتماعي . الا انه كان دقيقاً في مواعيد
في الوصول في الساعة المعتادة ، وفي المبارحة بعد السباحة في
الساعة المعتادة ايضاً . وعلى الدوام كان انعزالياً ، ومهما بدا الجمع
مرحاً ، بدا هو غير آبه بالمحيط من حوله . ولم يظهر ذلك الرجل
الغربي ، الذي صاحبه في اول مرة ، بعد ذلك ابدأ . لقد كان المعلم
وحده دائماً .

على اية حال ، في احد الايام ، بعد سباحته المعهودة ، كان المعلم
يوشك ان يرتدي بدلته الصيفية التي كان قد تركها على المصطبة عندما
لاحظ بأن البدلة ، لسبب ما ، قد تلوّث بالرمل . وحينما هزّ بدلته رأيت
نظارته ، التي كانت موضوعة تحت البدلة ، وهي تسقط الى الارض .
ويبدو انه لم يلحظ ذلك ، الى ان انتهى من شد حزامه . ولما بدأ يبحث
عنها ، اقتربت وانحنيت والتقطت النظارة من تحت المصطبة . وعندما
سلمته اياها قال : « اشكرك » .

في اليوم التالي تابعت المعلم الى البحر وسبحت وراءه . وحين
توغلنا الى اكثر من مائتي ياردة ، استدار المعلم وتحدث معي . ويبدو
انه لم يكن هناك أحد قريباً منا ، وقد امتد البحر من حولنا ازرق
شاسعاً . وفوق الماء والجبال نثرت الشمس الساطعة نورها على امتداد
البصر . وبدا جسمي كله طافحاً باحساس بالحرية والبهجة ، مما
جعلني اضرب ماء البحر بحيوية بالغة تطاير فيها الماء نثاراً . وتوقف

المعلم عن الحركة وطفئ على ظهره بهدوء . فحاكيته بما فعل . وسطح لون السماء الازرق الباهر على وجهي فشعرت كأن سهاماً صغيرة براقه تخترق عيني . وصرخت عالياً : «يالها من متعة!»

بعد فترة قصيرة اتخذ المعلم وضعاً مستقيماً وقال : «هل نعود؟» كنت اريد جداً البقاء لما اتمتع به من شباب وقوة، غير انني اعربت عن استعدادي الكافي للعودة قائلاً : «اجل ، هيا بنا نعود» . فرجعنا الى الشاطئ سوية .

تلك هي بداية صداقتنا . الا انني لم اكن اعرف المكان الذي كان يعيش فيه المعلم آنذاك .

احسب انه في عصر اليوم الثالث في اعقاب سباحتنا سوية وحينما تقابلنا في المقهى ، سألني بغتة : «هل تنوي البقاء في كاماكورا طويلاً؟» في الحقيقة لم تكن لدي فكرة عن طول مدة البقاء في كاماكورا ، لذلك قلت : «لا ادري» . حينذاك رأيت المعلم مكشراً ، فداخلني الارتباك فجأة ، وتمتمت : «وانت يامعلم؟» آنذاك فقط بدأت اطلق عليه لقب «معلم» . وفي تلك الامسية زرت المعلم في محل اقامته . لم يكن مقيماً في فندق صغير اعتيادي ، بل كان مقيماً في جناح في عمارة واقعة ضمن حدود اراضي معبد كبير . ولاحظت انه لم تكن بينه وبين الناس الآخرين المقيمين معه هناك اية وشائج . وابتسم ساخراً من الطريقة التي اصررت بها على مخاطبتي اياه باسم «المعلم» ، مما اضطرني الى ان اشرح له ان من عادتي ان ادعوا من هم اكبر مني سنأ بهذا الاسم . وسألته عن الرجل الغربي ، فأخبرني بأن

صديقه هذا قد بارح المكان . وحسب ما بلغني ، كان صديقه هذا شخصاً شاذاً نوعاً ما . ثم حدثني بأشياء اخرى متعلقة بالغربي وأشار الى علاقته الحميمة بهذا الاجنبي ، بالرغم من قلة معارفه من ابناء جلدته اليابانيين . في الاخير، وقبل ان اغادر، قلت للمعلم بأن لدي شعوراً بأنني قد التقيت به قبل هذا في مكان آخر، لكنني لا اذكر أين ومتى . ولما قلت هذا ساورني الامل ، لابل توقعت حقاً، ان يعرب لي عن شعور مماثل . غير ان المعلم ، بعد شيء من التأمل ، قال : «لاستطيع ان اتذكر انني التقيت بك قط . الست مخطئاً؟» فامتلاً فؤادي باحساس جديد وعميق من الخيبة .

*

في نهاية الشهر رجعت الى طوكيو . وكان المعلم قد غادر المنتجع قبل ذلك بفترة طويلة . لكن قبل ان نفترق سألته : «هل من بأس اذا ما زرتك في بيتك بين حين وآخر؟» وببساطة تامة اجاب : «لابأس طبعاً .» آنذاك كان انطباعي بأننا صديقان حميمان ، لذلك توقعت منه اجابة اكثر حرارة . وحسب ما اتذكر، تزعزت ثقتي بنفسي . وغالباً ما اصابني الاحباط على هذه الشاكلة في علاقتي بالمعلم . احياناً بدا لي انه كان يدري بما يصيبني من اذى ، وحياناً بدا انه لا يدري . لكن مهما قاسيت من تلك الاحباطات الصغيرة . فلم اشعر ابداً بالرغبة في الانفصال عن المعلم . في الحقيقة ، كلما جابهت منه صدوداً كلما ازدادت رغبة بدفع عجلة صداقتنا الى امام . وحسبت ان بمزيد من الود سوف اجد لديه الاشياء التي كنت افتش عنها . صحيح

انني كنت صغير السن، لكنني اظن بأنني لم اتصرف بمثل هذه البساطة التامة مع الآخرين. آنذاك لم افهم لماذا كنت اتصرف هكذا مع المعلم فقط، اما الآن، وقد مات المعلم، فقد بدأت افهم. لم يكن المعلم يكرهني في البداية. ولم يكن القصد من اساليه الفظة والفتارة نحوي هو التعبير عن كرهه لي بقدر ما كان يقصد منها التنبيه الى انه ليس الصديق المناسب. كان السبب في ذلك هو احتقاره لنفسه الراضة بأن تقبل بوذ الآخرين بقلب مفتوح. وانني لأشعر بالرتاء له.

لقد نويت بالطبع ان ازور المعلم حال عودتي الى طوكيو. وقبل بدء المحاضرات باسبوعين. رأيت ان ازوره. لكن بعد رجوعي بأيام قليلة بدأت اشعر بميل متضائل لتلبية هذه الرغبة. لقد اثرت بي اجواء المدينة الضخمة واعادت لي بعض الذكريات. وكنت كلما رأيت طالباً في الشوارع وجدت نفسي انتظر بفارغ الصبر السنة الدراسية الجديدة بشعور هو مزيج من الامل والاثارة البالغة. في غضون ذلك نسيت كل شيء عن المعلم.

بعد ابتداء المحاضرات بشهر ونيف شعرت بمزيد من الاسترخاء. وفي الوقت نفسه بدأت اجوب الشوارع ساخطاً وانظر الى غرفتي نظرة من يشعر بوجود نقص في حياته. وابتدأت التفكير بالمعلم ورأيت انني اريد ان اراه مرة ثانية.

وعند ذهابي الى منزله لأول مرة، لم اجده. واذكر انني كررت الزيارة في الاحد التالي. كان النهار بديعاً والسماء زرقاء والنفس ملأى

بالسعادة . وللمرة الثانية لم اجده . وحين كنا في كاماكورا اخبرني المعلم بأنه كان يقضي معظم وقته في البيت ، وانه كان يمقت الخروج حقاً . وما ان تذكرت ذلك حتى شعرت باستياء شديد لاخفاقي بأن اراه . لذلك تلكأت في الخروج من غرفة الجلوس الامامية وحدقت الى الخادمة التي ابلغتني من غياب سيدها . وبدا انها تتذكر زيارتي السابقة وتركي لبطاتي لديها . فطلبت مني المكوث وغادرت . بعد ذلك ظهرت سيدة خمنت بأنها ربة المنزل . كانت جميلة .

بلطف جم ، اخبرتني عن مكان المعلم . لقد علمت بأن من عادة المعلم ، في مثل هذا اليوم من كل شهر ، ان يأخذ معه باقة ورد الى قبر معين في المقبرة الواقعة في «زوشيغايا» . قالت السيدة معذرة : «لقد غادر قبل اكثر من عشر دقائق» . فشكرتها وغادرت . وقبل ان اتوغل بعيداً في الجزء المكتظ من المدينة ، رأيت ان التوجه الى زوشيغايا يشكل نزهة ممتعة . فضلاً عن ذلك ، ربما سألتقي بالمعلم . عند ذاك استدرت وبدأت السير صوب «زوشيغايا» .

دخلت المقبرة من جانب الحقل الايسر وتقدمت في طريق عريض مشجر الجانبين بأشجار القيقب . وفي نهاية الطريق المشجر مقهى ، وقد خرج منه شخص لاح لي انه يشبه المعلم . فمشيت نحوه ورأيت اشعة الشمس تنعكس عن اطار نظارته . حينذاك هتفت بصوت عالٍ : «يامعلم» فتوقف المعلم ورآني . قال : «واعجباً . . .» وكرر : «واعجباً . . .» وبدا لي ان كلماته المكررة قد تركت اثرأ ذا صدى غريب في هدأة العصر . ولم اعرف ماذا اقول .
«هل تبعثني ؟ كيف . . ؟»

كان الاسترخاء بادياً عليه وكان صوته هادئاً. غير ان وجهه اكتسى بتعبير غامض. فشرحت للمعلم كيف اني عرفت ذلك في بيته.
«هل اخبرتك زوجتي اي قبر ازور؟»
«اوه! كلا.»

«حسن. لا اظن ان هناك سبباً يدعوها لان تفعل. على كل حال، هذا لقاؤها الاول معك هذا اليوم. لا. طبعاً لا. لاحاجة بها لأن تخبرك.»
واخيراً لاح عليه الرضى. غير انني لم ادرك سبب تلميحاته. ومشيئنا بين شواهد القبور قي طريقنا للخروج. وكان الى جانب الكلمات المنقوشة امثال: «ايزابيلا فلان الفلاني . . .» و«لوغين خادم الرب»، كانت توجد كلمات بوزية منقوشة مثل: «تحمل الاشياء الحية كلها روح بوذا في دواخلها.» واتذكر ان «الوزير المفوض فلان الفلاني» قد نُقشت على احدى الشواهد ايضاً. وتوقفت امام احدى الشواهد الصغيرة واشرت الى الحروف الصينية الثلاثة عليها وسألت المعلم: «كيف يستطيع المرء ان يقرأها؟»
«احسب ان المراد منها ان تُقرأ «اندر» قال المعلم ذلك وضحك بجفاف.

لم يبدو ان المعلم قد لاحظ نوع الاختلاف في التقاليد والمنعكس على الشواهد وما يثيره هذا التباين من تسلية ومفارقة، مثلما فعلت انا. وفيما كنت اثرثر واشير الى هذه الشاهدة اوتلك، كان يصغي اليّ صامتاً. لكنه في الاخير التفت نحوي وقال: «انت لم تفكر جدياً بحقيقة الموت ابدأ، اليس كذلك؟» فسكتُ ولم ينطق المعلم بحرف آخر.

في نهاية المقبرة انتصبت شجرة الجنكة الصينية الوارفة الظلال فأخفت السماء عن النظر تقريباً. فصعد المعلم نظره الى اعلى الشجرة وقال: «في وقت قصير سيكون هذا المكان جميلاً. وسوف تصير الشجرة كتلة من اللون الاصفر، اما الارض تحتها فستغطي ببساط ذهبي من الاوراق الساقطة». ومن كلامه عرفت بانه كان يسير الى جانب تلك الشجرة في كل شهر.

وليس بعيداً عنا في المقبرة، كان هناك رجل يسوي جانباً من التربة الوعرة. ثم توقف واتكأ الى المجرفة وراقبنا. بعد ذلك انعطفنا يساراً، فوصلنا الشارع العام. ولما لم يكن في ذهني هدف معين، فقد واصلت المشي برفقة المعلم. لم يكن المعلم ميالاً الى الكلام في حينه. على كل حال، لم اشعر بارتباك حاد. لذلك واصلت السير الى جانبه دون اهتمام.

«هل انت ذاهب الى المنزل؟»

«نعم. ليس لدي ما افعله الآن.»

ومشينا باتجاه الجنوب صامتين نزولاً من التل. وقطعت الصمت مرة

ثانية سائلاً:

«هل هنا مدفن اسرتك؟»

«كلا.»

«قبر من اذن؟ أهو قبر قريب لك؟»

«كلا.»

ولم يزد على ذلك شيئاً. فقررت الا اشير الى المسألة فيما بعد.

لكنه بعد ان قطع مائة ياردة ونيف، استأنف الحديث فجأة.

« هنا مدفون صديق لي . »

« وتزور قبره في كل شهر؟ »

« نعم . »

وفي هذا اليوم، لم يزد المعلم على مقاله شيئاً.



عقب هذا اليوم بدأت ازور المعلم في فترات منتظمة . وكنت اجده في البيت دائماً . وكلما زادت زياراتي للمعلم، كلما زدت لهفة لكي اراه مرة ثانية . لكن بالرغم من هذه الزيارات لم يحصل تغير كبير في سلوك المعلم نحوي . فقد ظل هادئاً على الدوام . في بعض الاحيان كان على اشد ما يكون من الهدوء فأحسبه في وحشة . وكنت منذ البداية قد لمست فيه خصلة غريبة الا وهي اجتناب الحديث . مع ذلك، وفي الوقت نفسه، كانت تعتلج في داخلي رغبة عارمة بأن اكون اكثر قرباً من المعلم . ربما كنت انا الوحيد الذي راوده هذا الشعور نحوه . ولعل احداً ما يقول بأنني كنت أحرق او ساذجاً . لكنني اشعر بالفخر والسعادة الآن بهذا الولع التلقائي بالمعلم، هذا الولع الذي ظهر، فيما بعد، انه لم يكن غير ذي جدوى . هذا مع العلم . ان المعلم لم يكن ذلك الرجل الذي يقبل حب الاخرين من كل قلبه .

وكما سبق لي ان قلت، كان المعلم هادئاً دوماً، لا بل كان يبدو في حالة سلام مع ذاته . الا انني كنت الاحظ احياناً ظلاً يعبر وجهه، كظل طائر خارج النافذة، اذ سرعان ما يتوارى . كانت المرة الاولى التي

لاحظت فيها مثل هذا الظل في المقبرة في زوشيغايا عندما تحدثت معه . واذكر انني شعرت حينذاك ، ولو في لحظة عابرة ، بشيء ثقيل في قلبي . لكن ما اسرع ما زالت تلك الذكرى . وفي احدى الامسيات في نهاية صيف هندي عادت تلك الذكرى بلا توقع .

فبينما كنت اتحدث مع المعلم ، فكرت لسبب ما بشجرة الجنكة الضخمة التي اشار لها . وتذكرت انه لم تبق لموعد زيارته الشهرية للقبر سوى ثلاثة ايام . وحينما فكرت بأن هذه الزيارة سوف تقع في اليوم الذي تنتهي فيه محاضراتي ظهراً وانني سأكون طليقاً نسبياً ، فقد التفت نحو المعلم وقلت :

«يامعلم ! انني اتساءل : هل فقدت شجرة الجنكة في زوشيغايا جميع اوراقها الآن؟»

«اشك بأن تكون عارية تماماً الآن .»

كان المعلم ينظر اليّ بعناية . فقلت بسرعة :

«هل بوسعي ان ارافقك عندما تزور القبر في المرة القادمة؟ بودّي ان اتنزه معك هناك .»

«لكنك تعرف ، انما اذهب لازور القبر وليس لانتزه» .

«لكن من المؤكد اننا نستطيع ان نتنزه في الوقت ذاته .»

صمت المعلم قليلاً ، ثم قال : «صدقني ان زيارة القبر بالنسبة لي مسألة مهمة حقاً .»

وبدالي انه كان عازماً على التمييز بين حجه للقبر والنزهة الاعتيادية . لكنني تساءلت فيما اذا كان يقصد بهذا التبرير ان

لارافقه . وقتذاك ظننته طفولي النزعة على نحو غريب . الا انني اتذكر اني واصلت الالحاف عليه . قلت :

« حسن اذاً . اسمح لي ان اكون زائراً مرافقاً للقبر . »

في الحقيقة حسبت ان موقف المعلم غير معقول نوعاً ما . فعبر ظل حاجبه وشعت عيناه بغرابة . وليس بمقدوري ان احدد ماهية التعبير في وجهه : اهو انزعاج ام خوف ام كره؟ ومهما كان نوع التعبير، شعرت بأن هناك قلقاً قاتلاً تحته . وبغته تذكرت الحال التي بدا فيها يوم ناديت عليه في زوشيايا . قال المعلم :

«لاستطيع ان اقول لماذا . لكن لسبب وجيه ارغب بالذهاب الى ذلك القبر لوحدي . وكما ترى حتى زوجتي لم تذهب معي مطلقاً . »

※

خطر لي ان سلوكه هذا كان غريباً . الا انني لم ازر المعلم بقصد ان ادرس شخصيته ، لذا قررت ان لا اشغل بالي بالمسألة . فضلاً عن ان موقفني تجاه المعلم آنذاك ، حسب ما اذكر ، كان يتسم بقدر معين من الفخر . وكما اعتقد ، استظعنا لهذا السبب ان نكون صديقين حميمين . اما لو كنت فضولياً على نحو موضوعي وتحليلي ، لما بقيت الأصرة بيننا قطعاً وطبعاً لم اع ذلك في حينه . وانني لاكره ان افكر بالذي كان من الممكن ان يحصل ، لو انني تصرفت تصرفاً مخالفاً .

وفي علاقته معي كان دائب الخشية من التعرض للتحليل البارد . حينذاك بدأت اזור المعلم مرتين او حتى ثلاث مرات شهرياً . وفي احد الايام ، وقد لاحظ المعلم تكرار زياراتي ، قال فجأة :

«ما الذي يدعوك الى ان تقضي وقتاً طويلاً مع شخص على شاكلتي؟»
«لاارى هناك اي سبب خاص . . اتراني شخصاً بغيضاً ياسيدي؟»
«انا لم اقل ذلك .»

في الواقع انه لم يعدني شخصاً بغيضاً ابداً . وكنت ادري ان عدد معارفه محدود . وحتى اولئك الذين كانوا معه في الصف نفسه في الجامعة ، لم يتعد تعدادهم الاثنيين او الثلاثة في طوكيو . احياناً كنت اجد في بيته طلبة من ذلك الجزء الريفي نفسه الذي يتحدر هو منه ، غير انه بدالي انه لم تكن بينه وبين اي واحد منهم تلك العلاقة الحميمة التي بيني وبينه . قال المعلم : «انني رجل وحيد . لذا انا مسرور بمجيتك لرؤيتي . لكنني رجل سوداوي المزاج ايضاً . لذلك اطلب ان اعرف منك سبب رغبتك في زيارتي غالباً .»
«لكن لماذا تطلب مني ذلك؟»

لم يجب المعلم . عوضاً عن ذلك ، نظر لي وقال : «كم عمرك؟»
وبدت لي تلك المحادثة بلا جدوى . ودون المزيد من المتابعة لها غادرت . بعد ذلك بأربعة ايام رجعتُ الى منزله مرة أخرى . وحالما ظهر المعلم بدأ يضحك . قال . «ها قد عدت ثانية .»
«اجل ، عدت .»

قلت هذا وشاركته الضحك .

لوان شخصاً آخر غيره حدثني بهذه الطريقة ، شعرت بالضييق . اما مع المعلم فانها مسألة اخرى . وبدلاً عن ان اكون متضيقاً ، كنت سعيداً .

وفي تلك الامسية كرر: «اني رجل وحيد . اولى من الممكن
ايضاً ان تكون انت وحيداً؟ غير اني كبير السن واستطيع ان اعيش
وحدتي بهدوء . اما انت فصغير السن . ومن الصعب ان تقبل بالوحدة .
ولا بد انك تحاربها احياناً» .
«لكنني لست وحيداً ابداً . »
«الشباب اكثر المراحل وحدة . والالماذا تأتي الى بيتي غالباً؟» وواصل
المعلم :

«من المؤكد ، حينما تكون معي لاتستطيع انتشال نفسك من وحدتك .
فانس اني استطيع مساعدتك . وفتش عن مكان آخر تعثر فيه على
مايواسيك . وعمما قريب سوف تجد انك لم تعد بحاجة الى زيارتي . »
ولما قال المعلم هذا ، ابتسم ابتسامة حزينة .



من حسن الطالع ، كان المعلم مخطئاً . وبما اني كنت قليل الخبرة
آنذاك ، لم استطع ان ادرك الاهمية الواضحة لتلميحات المعلم .
فواصلت الالتقاء بالمعلم كالمعتاد . بعد ذلك بوقت قصير ، وجدت
نفسي اتناول العشاء معه احياناً . وبالنتيجة كان لزاماً علي ان احادث
زوجة المعلم ايضاً .

وكأي شاب اخر لم اكن غير مبال بالنساء . لكن لكوني شاباً وقليل
الخبرة بالدنيا ، لم تتح لي الفرصة بعد لأن أنشئ اية علاقة صداقة مع
امراة . كان اهتمامي بالنساء منحصرأ بالنظرات التي كنت اصوبها الى
النساء اللواتي لا اعرفهن . وفي المرة الاولى التي التقيت فيها بزوجة

المعلم في غرفة الجلوس الامامية حسبت انها جميلة . وكان انطباعي عن جمالها متشابهاً في كل مرة رأيتها فيها بعد ذلك . لكنني شعرت ، في البداية ، انه لا يوجد شيء مثير للاهتمام استطيع ان احدها به . وعوضاً عن ان نقول بانها لاتمتلك صفات مميزة خاصة جديدة بالملاحظة ، فمن الصحيح ان نقول بأنها لم تُمنح الفرصة لظهار صفاتها . وكنت اشعر دائماً انها اكثر من ان تكون مجرد عنصر ضروري في حياة المعلم البيتية . وكانت هي من جانبها ، ولو عن نية طيبة ، تعتبرني طالباً يأتي للتحدث مع زوجها . وماعدا الرابطة التي كانت تربطني بالمعلم ، لم يكن بيني وبينها اي تعاطف . ولاتحتوي ذاكرتي على أي شيء من تعارفي الاول بها سوى الانطباع عن جمالها . وفي احدي الامسيات دعاني المعلم الى ان اشاركه في تناول قده (ساكي) . واقبلت زوجة المعلم علينا وخدمتنا . وبدا المعلم اكثر ابتهاجاً من المألوف . وقال لزوجته وهو يقدم كأسه الفارغة : «تناولي شيئاً من الساكي ايضاً» .

«كلا . في الحقيقة لا . . .»

بدأت تقول هذا ، لكنها ما لبثت ان وافقت على اخذ القده دون رغبة . وبتقطيب قليل رفعت القده ، الذي ملأت نصفه . الى شفيتها . واعقب ذلك حديث بينها وبين زوجها . قالت : «هذا شيء غير مألوف . فما اندر ما طلبت مني ان اشرب الساكي » .

«هذا لانك لاتحبين الساكي . لكنه يفيدك لو شربته احياناً . ولسوف يبهجك .»

«بالتأكيد لن يفعل . انه يجعلني اشعر بالضيق . على اية حال ، يبدو
انك صرت مبهتجاً ، مع انك لم تتناول منه مقداراً كبيراً . »
«اجل يبدو انه يبهجني احياناً . لكنك تعلمين ، ليس الامر كذلك في
كافة الاحوال . »

«وكيف تشعر الليلة؟»

«اووه ، الليلة ! اشعر على احسن مايرام . »

«اذاً من الآن فصاعداً اشرب قليلاً منه في كل مساء . »

«هذا مالا استطيع فعله . »

ارجوك ان تفعل . حينذاك سيُزول عنك الانقباض . »

ولم يكن في البيت من احد سواهما غير الخادمة . وفي كل مرة كنت
اذهب الى هناك ، كان البيت يبدو ساكناً تماماً . ولم اسمع قط صوت
ضحك فيه ، وكان يبدو لي احياناً انني والمعلم الوحيدان في البيت .
قالت لي زوجة المعلم : «سيكون شيئاً لطيفاً لو صار لنا اطفال . »

اجبت : «اجل ، اليس كذلك؟» الا انني لم اشعر بتعاطف حقيقي
نحوها . وفي سني تلك ، كان يبدو لي ان الاطفال ازعاج لاضرورة له .
«مارأيك لو تبيننا طفلاً؟»

«اووه ، كلا . طفل متبني؟» قالت هذا ونظرت الي . فقال المعلم :

«لكنك تعلمين انه ليس بوسعنا ان نحصل على طفل خاص بنا ابداً . »

فسكتت زوجة المعلم . وسألت : «لِمَ لا؟»

«عقاب مقدس» اجاب المعلم وضحك ضحكة عالية تقريباً .

*

لقد بدا لي ان المعلم وزوجته زوجان مولع احدهما بالآخر. وبما انني لست عضواً في العائلة، فلا استطيع ان اعرف كيف كان يشعر احدهما نحو الآخر حقاً. لكن في كل مرة اجتمع فيها المعلم، كان المعلم ينادي على زوجته بدلاً عن الخادمة اذا اتفق انه بحاجة لشيء ما. كان اسم السيدة (شيزو). وكان المعلم ينادي: «شيزو» ويستدير صوب الباب. وكلما فعل ذلك، اتشحت نبرة صوته بالرقّة دائماً. اما تصرفها هي، عندما تظهر، فينم عن الاستعداد والطاعة باستمرار. وفي كل مرة كانا يدعوانني فيها بلطف الى العشاء، وتسمح لي الفرصة بأن اراهما جالسين الى المائدة، كان يتأكد انطباعي الطيب عن احاسيسهما المتبادلة بينهما.

احياناً كان المعلم يأخذ زوجته الى حفل موسيقي او الى المسرح. واتذكر ايضاً انهما سافرا سوية في اجازة امدها اسبوع، مرتين او ثلاث مرات في الاقل في الفترة التي تعرفت فيها عليهما. ولا زلت احتفظ ببطاقة بعثا بها الي من (هاكوني). كما اتذكر انهما عندما سافرا الى (نيكو)، تسلّمت منهما رسالة في طيها ورقة شجرة قيقب.

ومهما يكن من امر، توجد هناك حادثة واحدة افسدت انطباعي العام عن حياتهما الزوجية. ففي احد الايام، كنت واقفاً كالمعتاد في غرفة جلوسهما الامامية وكنت على وشك ان اعلن عن مقدمي. فسمعت اصواتاً مقبلة من غرفة داخلية. وبدا ان مناقشة وليس محادثة اعتيادية كانت تجري هناك. وكانت الغرفة الداخلية ملاصقة لغرفة الجلوس الامامية فسمعت ما فيه الكفاية بأن اعرف ان ما يجري كان

مشاحنة، وان احد الاصوات الذي كان يرتفع بين أن وآخر هو صوت المعلم . اما الصوت الآخر فكان اخفض من صوت المعلم ، ولم استطع ان اتأكد من كان صاحبه . وتأكدت فيما بعد بانه صوت زوجته . وبدا انها كانت تبكي . فوقفت في الغرفة قليلاً ، غير دار ماذا افعل . عقب ذلك غادرت ورجعت الى سكني .

امتلاً قلبي بقلق شديد . فحاولت ان اقرأ شيئاً ، لكنني وجدت انني لا استطيع ان اركز ذهني . بعد ذلك بساعة ، سمعت المعلم ينادي عليّ من تحت النافذة . وباستغراب أطلقت برأسي . قال : «هيا بنا نتنزه .» فنظرت الى ساعتني ورأيت ان الوقت قد تجاوز الساعة الثامنة . ولما كنت لم اخلع سروالي عند عودتي ، فقد غادرت غرفتي في الحال .

في تلك الامسية شربت انا والمعلم البيرة . ولم يكن المعلم يثقل في الشرب . ولم يكن من ذلك النوع من الاشخاص الذين يواصلون الشرب اذا لم يكن للكمية المعقولة المتناولة اي اثر بهيج عليه ، قال المعلم بابتسامة جافة :

«ليس له مفعول ، هذا المساء .» فسألته آسياً لحاله :
«الا تشعر بالسرور؟»

لم استطع ان انسى ماذا جرى مبكراً في هذا اليوم . فتضايقت جداً وكأن عظم سمكة انغررز في بلعومي . ولم استطع ان اقرر فيما اذا كان ينبغي ان اخبره اولا اخبره عن الامر . فلاحظ المعلم قلقي . قال : يبدو ان شيئاً ما يقلقك هذا المساء . ولاخبرك بالحقيقة ، انا نفسي

لست في وضعي الاعتيادي . الم تلاحظ؟
 وجواباً على هذا، لم استطع ان اقول شيئاً .
 «في الحقيقة لقد تشاحنت مع زوجتي قبل فترة قصيرة . وتركت لنفسي
 العنان بأن انفعل بحمق .
 «لكن لماذا . . ؟»
 بهذا بدأت، لكنني لم استطع ان احمل نفسي على قول .
 «تشاحنت» .
 «كما ترى، فزوجتي تسيء فهمي أحياناً . وحينما ابين لها ذلك ترفض
 الاستماع لي . ولهذا السبب فقد افلتت مني زمام السيطرة على
 اعصابي هذا اليوم . . »
 «بأي شيء تسيء فهمك يا معلم؟» فلم يجب المعلم على سؤالي .
 لكنه قال : «لو كنت ذلك النمط الذي في بالها من الرجال، لما كنت
 تعذبت كثيراً . »
 كيف تعذب؟ هذا ما لم يستطع خيالي ان يدركه في حينه .
 وفي طريق عودتنا مشينا بصمت لفترة قصيرة . ثم شرع بالكلام مرة
 ثانية .
 «لقد فعلت شيئاً إذا . ما كان لي ان اغادر البيت وانا في مثل هذه النوبة
 من الغضب . لا بد ان زوجتي قلقة عليّ الآن . وحين نفكر بالموضوع
 فالنساء مخلوقات تعيسة . فزوجتي مثلاً، ما من احد لها في هذه الدنيا
 تعتمد عليه سواي . »
 وصمت قليلاً . وبدا انه لم يتوقع مني جواباً . ثم استأنف :

«طبعاً، سوف تجعلك ملاحظتي الاخيرة تفترض بأن الزوج معتمد على ذاته . وهذا امر مضحك . الا قل لي : كيف ابدو في عينيك؟ هل تظنني رجلاً قوياً او ضعيفاً؟»

فأجبت : «بين بين . . .» ويظهر ان ردي لم يكن متوقعاً . فصمت مرة أخرى وواصلنا سيرنا .

كان الطريق المؤدي الى بيت المعلم يمرّ بالقرب من سكني تماماً . فلما وصلنا منعطف الشارع وكنت على وشك ان اودعه، ساورني شعور بأنها لقسوة مني اذا ما تركته في الطريق لوحده . قلت : «هن اوصلك الى البيت؟» فرد باشارة نفي سريعة بيده .

«الافوق ان تذهب الى سكنك . الوقت متأخر . وانا يجب ان اذهب الى بيتي فاكراًماً لزوجتي . . .»

كانت كلمات المعلم الاخيرة «اكراًماً لزوجتي . . .» قد ادخلت الدفء الى قلبي . وبسبب هذه الكلمات استمتعت بنوم هادىء في تلك الليلة . وبقيت تلك الكلمات «اكراًماً لزوجتي . . .» حية في خلدي ، زمناً طويلاً .

بعد ذلك عنمت بأن الخلاف الذي وقع بينهما كان طفيفاً . واستمررت على زيارتهما بانتظام واستطعت ان اعرف ان ما حصل كان شيئاً استثنائياً . فضلاً عن ذلك فقد وضع ثقته فيّ وقال لي في احد الايام : «في العالم قاطبة اعرف امرأة واحدة فقط . لا امرأة سوى زوجتي تثيرني كامرأة . وتعدني زوجتي الرجل الوحيد لها . ومن وجهة النظر هذه، بوسعنا ان نكون اسعد زوجين .»

لاستطيع ان اتذكر بجلاء لماذا حمل نفسه على اخباري بذلك .
بيد ان ما اتذكره هو ان طريقته كانت جادة آنذاك وانه كان هادئاً . وقد
ادهشتني تلميحته الاخيرة بغرابتها : «بوسعنا ان نكون اسعد زوجين»
لماذا قوله : «بوسعنا ان نكون»؟ لماذا لم يقل : «نحن اسعد زوجين»؟
هل كان المعلم سعيداً حقاً؟ لم يكن امامي ما استطيعه سوى السؤال .
لكن سرعان ما ازحت جانباً شكوكي بخصوص سعادة المعلم .
وفي احد الايام ، ولاول مرة منذ التقائي بها ، تجاذبت حديثاً ممتعاً
مع زوجة المعلم . وكان قد سبق لي ان طلبت من المعلم ان يناقش
معي كتاباً ، فدعاني بصدر رحب ان ازوره في ذلك اليوم لذلك
الغرض . وحسب الترتيب المتفق عليه ، وصلت في الساعة التاسعة
صباحاً . لم يكن المعلم موجوداً في البيت فقد علمت بأن صديقاً له
سوف يحرم من «يوكوهاما» وقد ذهب المعلم الى «شيمبوشي» لتوديعه .
وفي تلك الايام ، كان من المعتاد ان يغادر القطار من «شيمبوشي» الى
«يوكوهاما» في الثامنة والنصف صباحاً . وقد ترك المعلم لي رسالة
يطلب فيها مني ان انتظره لانه سرعان ماسيعود . لهذا ، بينما كنت انتظر
المعلم ، تجاذبت الحديث مع زوجته .

✱

حينذاك كنت طالباً جامعياً . وشعرت بأنني زدت نضجاً منذ زيارتي
الاولى لبيت المعلم . كما انني زدت ألفة مع زوجة المعلم . وعليه
حينما وجدت نفسي لوحدي معها لم اشعر بالارتباك ابداً . وتجاوزنا
اطراف الحديث . وما كنت لاتذكر الحديث لولم نتطرق فيه الى مسألة

كانت مثار اهتمامي الخاص . وقبل ان اسرد ماهية هذه المسألة ، يجدر بي ان أشرح نقاطاً قليلة عن المعلم .

كان المعلم خريجاً جامعياً . كنت اعرف هذا منذ البداية . لكنني اكتشفت انه لا يمارس عملاً بعينه عقب عودتي الى طوكيو من كاماكورا . وفي حينه عجبت كيف كان يدبر معيشته .

كان المعلم يعيش وضعاً غامضاً كلياً . فلم يعرف احد سواي عن دراسة المعلم وافكاره شيئاً . وغالباً ما ألمحت له بأن هذا امر مؤسف . لكنه لم يعرني اهتمامه . لقد قال لي في احدى المرات : « لامعنى لشخص مثلي ان يعبر عن افكاره جهاراً . » فحُبل اليّ بأنه متواضع ، كما انني تساءلت فيما اذا كانت هذه التلميح منه نابعة عن احتقاره للعالم الخارجي . في الحقيقة انه لم يتورع احياناً ان يقول اشياء قاسية عن زملاء صفه الذين حققوا شهرة لانفسهم بعد التخرج . وفي احدى المرات اشرت له بصراحة تامة عن هذا التناقض الظاهر في موقفه الذي يختلط فيه التواضع بالاحتقار . لم اتطرق الي ذلك بشكل مثير . فقد افصححت عن اسفي للدنيا التي لم تبال بالمعلم الذي اكن له الاعجاب كله . وبصوت هادىء جداً اجابني : « الاترى . . لاشيء في طوقنا ان نفعله في هذا الشأن . وليس لي الحق بأن اتوقع شيئاً من الدنيا . » ولما قال ذلك ، لاح على وجهه تعبير اثر في تأثيراً عميقاً . لكنني لم اعرف ماهية هذا التعبير : هل هو قنوط ام ندم ام حزن ؟ فلم املك الشجاعة لأضيف شيئاً الى قولي .

وعندما كنت اجلس مع زوجة المعلم وتبادل الحديث كنا نتطرق

الى موضوع المعلم . سألتها : «لماذا لا يخرج المعلم الى معترك الحياة ويجد لنفسه مكاناً يناسب مواهبه ، بدلاً عن تزجية وقته كله في الدراسة والتفكير في البيت؟»

«اخشى ان اقول : لا امل يرحى من هذا . فهو يكره ذلك .»

«احسب انه يرى ان من العيب ان يفعل هذا .»

«لكوني امرأة ، لا اعرف . لكنني اشك بأن يكون هذا هو السبب . في الحقيقة . انا واثقة بانه يحب ان يؤدي عملاً ما . لكنه لا يستطيع على نحو ما . ما اشد اسفي عليه .»

«لكنه في صحة تامة ، اليس كذلك؟»

«بكل تأكيد . انه في اتم صحة .»

«حسن اذاً ، لماذا لا يعمل؟»

«ليتي اعلم ، اتظن اني كنت سأقلق كثيراً لو علمت؟ انني اشعر بالاسف من اجله .»

وحملت نبرة صوتها قدراً كبيراً من العطف . وافترثرها ، بالرغم من ذلك ، عن ابتسامة خفيفة . وبقدر تعلق الامر بالمظهر الخارجي لكلينا ، يبدو انني اكثر منها قلقاً . فجلست معها صامتاً ورزينا . ثم رفعت نظرها كأنها تذكرت شيئاً ما بعته ، وقالت : «أتدري؟ انه لم يكن في شبابه ذلك الشخص الذي نعرفه الآن . كان مختلفاً . لقد تغير كثيراً .» فسألت :

«متى كان مختلفاً؟»

«اوه . . في ايام التلمذة .»

«وهل تعرفت عليه عندما كان طالباً؟»

فبان شيء من الحياء على وجه زوجة المعلم.

*

كانت امرأة من طوكيو. وكانت هي نفسها والمعلم ايضاً قد اخبراني بذلك من قبل. وكان ابوها من منطقة «توتوري»، اما امها فقد كانت مولودة في «ايتشيغايا» حينما كانت طوكيو معروفة آنذاك باسم «يدو». لهذا السبب قالت لي مرة شبه هازلة: «انا في الحقيقة من دماء خليطة». اما المعلم فقد كان من مقاطعة «نيغاتا». وعليه، كان واضحاً لي ان موطنها الاصلي لا يفسر لي كيفية تعرفها على المعلم حينما كان طالباً. بيد انني لم الحف في السؤال عندما لاحظت حمرة الحياء على وجهها عند الاشارة الى موضوع التعارف بينهما في مرحلة الشباب.

وفي غضون السنوات ما بين التقائي الاول بالمعلم وموته، تسنى لي ان اعرف كثيراً عن افكاره ومشاعره، اما بخصوص ظروف زواجه فلم يطلعني الا على النزر القليل. وكنت أميل أحياناً الى ان اعدّ هذا التحفظ من جانب المعلم امرأ يستحق الثناء. وكنت اطمئن النفس بأن من الطبيعي ان يجد المعلم في الحديث عن غرامه الاول لشاب مثلي ما يجعله غير لائق وبعيداً عن الفطنة. لكنني كنت اميل أحياناً الى ان انظر لتحفظه هذا في غير صالحه. وأنذاك كنت احب ان افكر بأن احجامة عن مناقشة هذه المسألة راجع الى التخوف الناجم عن تقاليد الجيل الماضي. وكنت احسب نفسي، بهذا الخصوص، اكثر انطلاقاً وسعة صدر من المعلم وزوجته. ومهما كانت افكاري المتعلقة بتحفظ

المعلم ، فهي طبعاً لاتعدو كونها مجرد نظرات . ووراء هذه النظرات كان يقوم افتراض دائم بأن زواجهما ثمرة غرام جميل .
لم يكن افتراضي خاطئاً تماماً . لكنني كنت اتخيل ان جزءاً صغيراً من هذه الحقيقة كامن وراء قصة حبهما . وما كان بوسعي ان اعرف انه كانت توجد مأساة مفرعة في حياة المعلم ، لانفصال لها عن حبه لزوجته . كما ان زوجته نفسها ما كانت لتعلم كم ان هذه المأساة قد جعلته تعيساً . ولغاية اليوم لاتعلم . فقد مات المعلم ولم يبح بسره لها . وقبل ان يحطم سعادة زوجته فقد حطم نفسه .

وهنا لن اتحدث عن المأساة في حياة المعلم . وكما اشرت مسبقاً ، لم يخبرني المعلم اوزوجه بشيء عن علاقتهما الغرامية التي قُيِّض لها ان تنشأ من اجل المأساة . لقد ذكرت زوجة المعلم شيئاً قليلاً عنها من باب التواضع ، اما بخصوص صمت المعلم فيوجد سبب اكثر غوراً .
وفي احد الايام ، في اثناء موسم مشاهدة الورود ، ذهبت انا والمعلم الى (يوثينو) . انني لاتذكر هذا اليوم جيداً . فبينما كنا نتجول هناك اتفق لنا ان نرى رجلاً وامرأة حسني المظهر ، الواحد منهما لصق الآخر ، تحت الاشجار المزهرة . لقد لاح بأن الواحد منهما مولع بالآخر ايما ولع . كان المكان عاماً ، لكنهما يبدوان اكثر اثاراً للعديد من الناس من الورد نفسه .

قال المعلم ، « يبدو انهما متزوجان حديثاً . »
« يبدو انهما مغرمان ببعضهما جداً ، اليس كذلك ؟ » قلت بنبرة صوت مسرورة . فلم يلح على وجه المعلم حتى اثر صغير لابتسامته . وياشر

السير مبتعداً عن الزوجين عامداً . ثم قال لي :
« هل وقعت في الحب يوماً ما؟ » فأجبت بالنفي .
« الا تريد ان تحب؟ » فلم اجب بشيء .
« ليس لانك لا تريد ان تحب ، اليس كذلك؟ »
« كلا . »

« لقد هزأت من ذينك الزوجين ، اليس صحيحاً؟ لكنك في الواقع
بدوت لي مثل شخص غير راض لانه لم يستطع ان يحب ، مع انه يريد
ذلك . »
« هل بدوت هكذا؟ »

« اجل بدوت . ان شخصاً واقعاً هو نفسه بالحب يكون اكثر تحملاً
ويشعر بمزيد من الدفء نحو الزوجين . لكن . . لكن الا تعرف ان في
الحب ذنباً ايضاً؟ اتساءل ان كنت تفهم مرادي . »
لقد دهشت ولم انبس بحرف .



كان جمع غفير من الناس حولنا ، وكان يبدو وجه كل واحد منهم
طافحاً بالسعادة . ولم تتوافر لنا الفرصة في تبادل الحديث الى ان بلغنا
الغابات حيث لا ورود ولا ناس . سألته بغتة : « هل حقاً في الحب
ذنب؟ »
« اجل ، بالتأكيد . »

قال المعلم بثقة كما فعل من قبل .

«لماذا؟»

«سوف تكتشف ذلك عما قريب . في الحقيقة كان ينبغي ان تعرف ذلك

الآن . فقد اقلق الحب قلبك لفترة من الزمن حتى الآن . »

وبحثت في قلبي عن الجواب ، لكن دون جدوى . قلت : «لكن

لا يوجد هناك من يتسنى لك ان تصفه بأنه موضع حبي . وانا لم اخفِ

شيئاً عنك ، يا معلم !»

«انك قلق لانه لا يوجد من هو موضع حبك . ولوتسنى لك ان تقع في

حب شخص معين ، لما كنت قلقاً . »

«لكنني لست قلقاً الآن . »

«الم تأت اليّ لانك شعرت بأن شيئاً ما ينقصك؟»

«اجل ، لكن مجيئي اليك لا يشبه في شيء حاجتي للوقوع في

الحب . »

«لكنه خطوة في حياتك باتجاه الحب . في الواقع ان الصداقة التي

نشدتها فيّ ، انما هي اعداد للحب الذي تنشده في المرأة . »

«اعتقد ان الشئيين مختلفان كلياً . »

«كلا . ليسا مختلفين . لكن بحكم كوني ذلك الانسان الذي تعرفه ،

لاستطيع ان اساعدك في تخليص قلبك من شعور النقص هذا . فضلاً

عن ذلك ان ظروفأ غريبة جعلت مني شخصاً غير ذي نفع اكثر مما انا

صديق . وانا آسف لذلك حقاً . وإن لجأت أخيراً الى من يواسيك

سواي ، فهي حقيقة يجب ان اقبل بها . حقاً ، حتى انت يجب ان تقبل

بها . لكن . . . »

وابتدأت اشعر بنوع غريب من الاسى .
«ايها المعلم! ان عنَّ لك حقاً انني سأُنفض عنك، فليس لديّ ما
افعله بهذا الخصوص . بيد ان فكرة كهذه لم تخطر على بالي ابدأً لحد
الآن .»

لم يصنع المعلم اليّ . واسترسل :
«لكن يجب ان تحترس . يجب ان تتذكر ان في الحب ذنباً . وينبغي
عليك ان لاتستمد كثيراً من الرضى من صداقتنا، ولو انها في الاقل ،
خالية من الاذى . هل تدري ما معنى ان يُربط المرء باحكام بشعر
طويل اسود؟» فخيّل اليّ انني فهمت مقصد المعلم، لكن لفضالة ما
اتمتع به من خبرة، لم تجسد كلماته الواقع لي . ثم انني ليست لدي
فكرة عما عناه بكلمة «ذنب» . فشعرت بشيء من عدم الرضى .
«يامعلم! اشرح لي بمزيد من الوضوح ماتعنيه بالذنب . والا فدعنا،
من فضلك لا تناقش هذه المسألة مرة ثانية، الى ان اكتشف بنفسى ما
المعني بالذنب .»

«كان خطأ منى . لقد قصدت ان اجعلك واعياً بحقائق معينة . عوضاً
عن ذلك، فقد افلحت في استفزازك فقط . كان خطأ منى .»
ومشيت انا والمعلم الهوينى باتجاه (يوغني سوداني)، مارين بظهر
المتحف . واستطعنا ان نرى من خلال الفجوات في السياج شجيرات
الخيزران القصيرة التي نمت بكثافة في جانب من الحديقة . واتسم
المشهد بمسحة من الهدوء العميق المعزول .
«هل تعلم لماذا اذهب الى قبر صديقي في زوشيغايا في كل شهر؟»

لم يكن سؤال المعلم هذا متوقعاً ابداً . وكان ينبغي بالطبع ان يعرف بأنني لا اعرف . فلزمت الصمت . بعد ذلك ، وكأنه ادرك ما قاله توأ ، فقد واصل المعلم قائلاً .

«لقد قلت الشيء الخطأ مرة ثانية . كنت اسعى لشرح ملاحظاتي الاولى لانني ظننت انها قد استشارتك . لكنني اجد في محاولتي للشرح انني قد استشارتك مرة ثانية . فدعنا ننس المسألة برمتها . لكن تذكر ان في الحب ذنباً . وتذكر ايضاً ان في الحب شيئاً مقدساً . »
وقد زادني حديث المعلم هذا التباساً . لكنني لم اسمع منه كلمة «حب» بعد ذلك ابداً .



وبما انني كنت شاباً فقد كنت أميل ما اكون الى الانصراف الى هدف واحد دون غيره . ولا بد ان يكون هذا هو التصرف الذي بدوت عليه امام المعلم ، في الاقل . وكنت اعدُّ الحديث مع المعلم اكثر نفعاً من المحاضرات في الجامعة . وكنت اقوم اراء المعلم اكثر مما اقوم اراء اساتذتي . فقد بدا لي المعلم الذي دأب على اسلوب الوحدة والاقتراب بالكلام اعظم من اولئك الاساتذة المشهورين الذين كانوا يلقون علي محاضراتهم من فوق منصاتهم . وفي احدي المرات قال لي المعلم :

«يجدر بك ان تكون اكثر اعتدالاً في آرائك عني . »

«لكن هذا هو ما انا عليه . »

صحتُ بثقة . فرفض المعلم ، على اية حال ، ان يأخذني مأخذ الجد .

« ان مثلك مثل رجل محموم . وستنقلب حماسك الي اشمئزاز، بعد انقضاء الحمى . ويجعلني رأيك الحالي فيّ تعيساً جداً . وحينما افكر بأن الوهم سوف ينجاب عنك مستقبلاً، اراني اشعر بأسف اعظم . . »
« أتحسبني طائشاً؟ أتجدني غير اهل للثقة؟ »
« بكل بساطة، انا آسف لك . »

« انني استحق عطفك وليس ثقتك . اليس هذا ما تقصد يامعلم؟ »
لقد لاح عليه الضيق وهو يدير وجهه صرب الحديدية . وقبل وقت قصير، كانت الحديدية مكتظة بورود الكاميليا . اما الآن، فان الورود اللاتي اصفت السناء على المشهد بلونها الاحمر الغزير، توارت كلها . وكان من عادة المعلم ان يطل من نافذة غرفته ويحدق اليها .
« لست انت بالذات الذي لاثق به ، بل البشرية كلها . »

واستطعت ان اسمع مناداة بائع السمك الذهبي من الزقاق الواقع على الجانب الآخر من سياج الشجيرات . لم يكن ثمة صوت آخر . كان البيت على مبعدة من الطريق الرئيس ، ويبدو اننا كنا محاطين بسكينة تامة . وكالمعتاد، كان كل شيء ساكناً في داخل البيت نفسه .

وكنت أعرف ان زوجة المعلم كانت في الغرفة المجاورة، اما شاغلة نفسها بالخياطة او بأي عمل مماثل . وكنت اعرف ايضاً انها كانت تستطيع ان تسمع ما نقول . لكنني نسيت هذا في تلك اللحظة، وقلت :

« اذن انت لاثق بزوجتك ايضاً؟ »

فبدا على المعلم شيء من القلق . وتجنب اعطاء جواب مباشر على سؤالي .

«انا لاثق حتى بنفسي . وبما انني لاثق بنفسي ، فمن الصعب ان اثق بالآخرين . ولا يوجد هناك ما استطيع فعله سوى ان العن نفسي . »
«من المؤكد، يامعلم، انك تفكر جدياً في مثل هاتيك الامور . »
«لاتتعلق المسألة بالشيء الذي أفكر فيه . إنها تتعلق بالشيء الذي فعلته وأدى بي الى ان أشعر بهذا الشعور . في البداية شعرت بالصدمة من فعلي هذا . ثم شعرت بفرع فظيع . »
كنت ارغب في مواصلة الحديث، لكن صوت زوجة المعلم قطع علينا حديثنا وهي تنادي عليه من وراء الباب . قال المعلم : «ماذا وراءك؟»

فقلت زوجته : «ايمكنك ان تأتي الى هنا للحظة؟»
ما ان بدأت اتساءل عن سبب استدعائه الى الغرفة المجاورة، واذا به يعود . واستأنف قائلاً : «على اية حال، لاتضع ثقة كبيرة في . ستعرف الندم إن فعلت . واذا ما شعرت يوماً ما بأني لم اكن عند حسن ظنك، فسوف تجد الحقد يأكل قلبك بقسوة . »
«ماذا تقصد؟»

«ان ذكرى ثقتك بي مرة سوف تتلبس كيانك، وسوف تنزع الى الحط مني بمرارة وخزي . انا لا اريد اعجابك بي الآن، لانني لا اريد منك الاهدانات لي في المستقبل . انني الود بالوحدة الآن لكي اتجنب وحدة اعظم في قادمات السنين . انك ترى . ان الوحدة هي الضريبة التي يجب ان ندفعها لاننا ولدنا في هذا العصر الحديث، المليء بالحرية والاستقلال والنفوس الانانية . »

فلم استطع ان افكر بأي شيء اقوله .

*

بعد ذلك اليوم ، صار من عادتي ان اتساءل في كل مرة أرى فيها زوجة المعلم فيما اذا كان موقفه تجاهها هو الذي عكس افكاره الباطنية ، واذا كان الامر كذلك ، فهل كانت هي راضية بحالها .

بيد انني لم ألمس الرضا او عدمه في سلوكها . بالطبع انني لم اكن قريباً منها بما يكفي لأن اعرف ماهية مشاعرها الحقيقية . فأنا لم ارها بعيداً عن المعلم الا نادراً ، وفضلاً عن ذلك ، كان سلوكها في حضوري دائماً سلوكاً مضيئة تقليدية .

وعجبت ايضاً من هذا الشعور الذي كان المعلم يكتنه نحو البشرية . وتساءلت مع نفسي : هل كان هذا الشعور حصيلة استقصاء غير متحيز لذاته الداخلية وللعالم المعاصر من حوله؟ واذا ما كان المرء مثل المعلم في تأمله وذكائه واعتزاله عن العالم ، فهل سيتوصل الى النتائج نفسها حتماً؟ وعلى اية حال ، ان امثال تلك التساؤلات التي خطرت في ذهني ، لم تشبع فضولي تماماً . فقد لاح لي ، ان اراء المعلم لم تكن حصيلة تأمل متوحد . وانها لم تكن ، اذا جاز التعبير ، مثل هيكل بيت حجري اتلفت النار اجزاءه الداخلية . انها اكثر حيوية من ذلك . صحيح ان المعلم كما عرفته مفكراً قبل اي شيء آخر ، غير ان افكاره كما لمست كانت مبنية باحكام على اساس من الاحساس القوي بالواقع . ولم يأت جل هذا الاحساس بالواقع من ملاحظته لتجربة الآخرين بقدر ما اتى من تجربته الخاصة .

ومهما يكن من امر، فقد أضافت تأملاتي تلك شيئاً الى فهمي للمعلم . وفي الحقيقة، فقد هيا لي المعلم السبب للاعتقاد بأن طبيعة تجربته هي التي فرضت عليه حقاً تلك الافكار . وكان قد المح اليها فقط، وكانت تلميحاته اشبه بسحابة كبيرة منذرة، معلقة فوق رأسي، ويرغم غموض شكلها العام الا انها مفزعة . ومع ذلك كان الخوف في باطني حقيقياً .

حاولت ان اشرح لنفسي وجهة نظر المعلم بالحياة بأن اتخيل وجود علاقة غرامية في شبابه - بالطبع بين المعلم وزوجته - منظرية على عاطفة عنيفة في البداية، ولربما على ندم فيما بعد . وطاب لي ان افكر ان يأخذ مثل هذا الشرح بنظر الاعتبار مسألة الربط بين الذنب والحب في عقل المعلم . الا ان المعلم كان قد اعترف لي بأنه لايزال يحب زوجته . وعليه فان سبب تشاؤم المعلم لايمكن، من الناحية المعقولة، ان يعود الى العلاقة بينهما . لذا بدت افكار المعلم المبهضة للبشر والتي افصح عنها لي، تصح على العالم الحديث عموماً وليس على زوجته .

وكانت ذكرى القبر في مقبرة زوشيغايا تراود ذهني بين حين وآخر . وكنت اعرف جيداً ان لهذا القبر معنى عميقاً عند المعلم . وكنت انا الذي غدوت اثيراً لدى المعلم لاعرف من امره الا قليلاً، لكنني كنت أحسب هذا القبر يحمل، بمعنى ما، شطراً من حياته . لكن اباماً كان مدفوناً فيه فهو ميت بالنسبة لي، وكنت أدري انني لن اجد فيها المفتاح لقلب المعلم . في الحقيقة، لقد وقف هذا القبر كهولة فاصلة بيننا على الدوام .

وفي غضون ذلك، اتفق ان سنحت لي فرصة بتبادل الحديث مع ربة المعلم . وكان هذا في ذلك الوقت من السنة الذي تقصر فيه الايام والذي يشيع فيه الشعور بالنشاط المتواصل في كل مكان . وفي حينه كانت هناك قرصة برد . وفي خلال الاسبوع المنصرم، وقعت سلسلة من السرقات في المنطقة المجاورة لبيت المعلم . ووقعت جميع هذه السرقات في الساعات الاولى من الامسيات . لكن لم تُسرق حاجات ثمينة . مع ذلك كانت البيوت تُنتهك . وكانت زوجة المعلم قلقة . ولسوء الحظ، كان مضطراً الى مغادرة بيته في احدي الامسيات . فقد جاء الى طوكيو صديق له، وهو من المكان الريفي نفسه الذي يتحدر منه المعلم، وكان هذا الصديق طبيباً في مستشفى اقليمية . وفي تلك الامسية كان المعلم متفقاً مع صديقين او ثلاثة على دعوة الطبيب الى العشاء في مطعم . وبعد ان شرح المعلم لي الموقف، طلب مني ان ابقى مع زوجته الى حين عودته . فقبلت ذلك عن طيب خاطر .

✱

كان الوقت غسقاً حين بلغتُ المنزل، وكان المعلم، وهو شخص حريص على الشكليات، قد غادر قبل وصولي .
«لم يرغب زوجي ان يتأخر . لقد غادر قبل دقيقة واحدة .»
هذا ما قالته زوجة المعلم وهي تقودني الى مكتب زوجها .
كان المكتب مؤثثاً، بعض أثاثه من الطراز الغربي وفيه منضدة ووضع كراسي . ومن خلال اللوحات الزجاجية لخزانة الكتب لاح عدد ضخّم من الكتب المجلدة تجليداً جميلاً . فطلبت مني زوجة المعلم

ان اقعد على وثار جنب كانون النار.

«يوجد هنا عدد كبير من الكتب لك ان تقرأ فيها اذا رغبت .»

قالت هذا وغادرت الغرفة . فلم استطع ان اداري شعوراً بالارتباك
وكأنني كنتُ زائراً عابراً في انتظار عودة رب البيت . وبدأت ادخن ،
جامداً في جلستي . واستطعت ان أسمع زوجة المعلم تتحدث الى
الخادمة في غرفة الصباح الواقعة على امتداد الرواق الذي يقع فيه
المكتب . على اية حال ، كان المكتب في طرف الرواق ، وعليه كان
في الجزء الهاديء جداً من المنزل . وحين انقطعت زوجة المعلم عن
الكلام ، احاط بي سكون شامل ولاني توقعت ان يظهر اللص في اية
لحظة ، فقد جلست ساكناً واصغيت لكل صوت مشتبه به مما يفسد
السكون .

وبعد حوالي نصف ساعة ظهرت زوجة المعلم عند الباب وقالت :
«حسناً . لقد لاح عليها الاستغراب والسرور حينما رأيتني جالساً
بجمود وجدية مثل ضيف غريب . قالت : «بيدوانك غير مرتاح جداً .»
«اوه ، كلا . انا مرتاح جداً .»

«اذن لا بد انك ضجر .»

«اوه ، كلا . انا متوتر الاعصاب لانتظاري اللص . لذلك انا لست
ضجراً .»

ظلت واقفة ويدها كوب شاي اوربي ، وضحكت . قلت :

«ان موقع هذه الغرفة في ركن بعيد من البيت لا يجعل منها مكاناً
نموذجياً لراصد .»

«حسن . في هذه الحالة ، اذا شئت ، تعال الى غرفة الصباح .
لقد جلبتُ لك شيئاً من الشاي ، ظناً مني بأنك ضجر . بوسعك ان
ترتشفة هناك .»

تبعته زوجة المعلم خارجاً من غرفة المكتب . وفي غرفة الصباح
كانت غلاية معدنية تترنم فوق كانون طويل انيق . وهناك اعطتني شاياً
اسود وكعكاً . اما هي فقد امتنعت عن شرب الشاي ، زاعمةً بأنها لن
تقدر ان تنام لو شربته . سألت :

«هل يخرج المعلم غالباً الى حفلات العشاء؟»

«كلا . ليس دائماً . يبدو مؤخراً انه صار اقل ميلاً لرؤية الناس .

وبدا ان زوجة المعلم لم نعرب عن اي قلق حينما قالت هذا ، لذا
تجرتُ اكثر وسألت :

«لابد انك الشخص الوحيد الذي يحب المعلم ان يكون معه .»

«بالتأكيد لا . انا مثل جميع الآخرين في نظره .» قلت :

«هذا غير صحيح . وانت تعلمين جيداً بأنه غير صحيح .»

«ماذا تقصد؟»

«حسن . اعتقد انه ضاق صدره بمصاحبة الآخرين لولعه بك .»

«ارى ان الثقافة العالية قد جعلتك ماهراً في التسويغ العقيم . كان
ينبغي ان تفكر بأنه لايمكن ان يولع بي ، لأنني جزء من العالم الذي
يكرهه .»

«هذا صحيح . لكنني محق في هذه الحالة .»

«دعنا من النقاش . فأنتم معشر الرجال تتناقشون بأي شيء وبلذة

متناهية جداً . وغالبا ما تساءلت كيف تستطيعون انتم الرجال ان تتبادلوا
اقداح الساكي الفارغة دون ان تملوا . «
حسبت ان كلماتها كانت قاسية نوعاً ما . لكنها لم تحمل اساءة لي .
لم تكن زوجة المعلم عصرية جداً بحيث تجد متعة ومباهاة في القدرة
على عرض براعتها العقلية الفائقة . وقد كانت تثمن كثيراً ذلك الشيء
المدفون عميقاً في قلب المرء .

※

وددت ان أطيل الكلام . لكنني خشيت ان تحسبني واحداً من
الرجال المناقشين ، لذلك لزممت الصمت .
« اتريد مزيداً من الشاي . »
قالت زوجة المعلم بلباقة لما رأته احرق ببلاهة الى الكوب
الفارغ . وبسرعة ناولتها الكوب .
« كم قطعة ؟ ، واحدة ؟ اثنتين ؟ »
والتقطت قطعة سكر باداة غريبة ، وكانت تنظر لي وهي تقول هذا .
وتوخياً للدقة ، فانها لم تسع للفوز برضاي ، لكنها كانت تحاول ، ان
تمحو عني تأثير كلماتها القاسية بتصرفها الفاتن .
وشربت الشاي بصمت . وبقيت صامتاً حتى بعد الانتهاء منه .
قالت : « يبدو انك بالغت في الصمت . »
« حسن . انا لا اريد ان أعنف لكوني مناقشاً . »
« هيا . هيا . »

وبدأنا نتحدث مرة ثانية . وبالطبع عاد بنا الحديث الى موضوع

المعلم . قلت :

«الا تسمحين لي بمواصلة ما كنت اتحدث فيه؟ لربما بدا لك انني قد انعمت في تسويغ غير ذي معنى ، لكن ، في الحقيقة ، كنت صادقاً .
«حسن . حسن .»

«الا تظنين بأن حياة المعلم من دونك سوف تكون كما هي؟»
«يقيناً لا ادري . لماذا لاتسأل المعلم؟ سيكون اكثر صواباً ان تسأله .»
«من فضلك . انا جادٌ . لاتحاولي التملص من سُؤالي بعبث . كم اود ان تصدقيني القول .»

«لكنني صادقة . بصراحة انا لا ادري .»
«اذن دعيني اسألك سُؤالاً تستطيعين انت وليس المعلم ان تجيبي عليه . انت مولعة بالمعلم جداً ، اليس كذلك؟»
«بالتأكيد ، لاحاجة لطرح مثل هذا السؤال ، وبوجه وقور ايضاً!»
«اتفصدين ان الجواب واضح؟ ، وان سُؤالي غبي؟»
«تقريباً .»

«اذن ماذا سيحدث للمعلم لو ان رفيقاً مخلصاً مثلك تركه فجأة؟ يبدو ، في الواقع ، انه يجد متعة قليلة في هذا العالم . ماذا سيفعل من دونك؟ انا لا اريد ان اعرف كيف يرد على هذا السؤال . اريد ان اعرف بماذا تفكرين بصراحة . هل تظنين انه سيكون سعيداً ام تعيساً؟»
«في الواقع ، انا اعرف الجواب . ولو ان المعلم لا يظنني اعرف ، سيكون المعلم تعيساً جداً من دوني . اجل ! من دوني ، لعله لن يرغب حتى ان يواصل العيش . ولربما يبدو هذا مباهاة مني ، لكنني أعتقد حقاً بأنني قادرة على ان اجعله اسعد ما يمكن لانسان ان يسعد غيره .»

واعتقد انه لا يوجد احد غيري قادر على ان يسعده سداً افعل انا . ولولا
اعتقادي هذا لما رضيت عن نفسي كما انا راضية الآن .
« من المؤكد ان قناعة كهذه يجب ان يعرف بها المعلم .
« هذه مسألة أخرى تماماً .
« هل لاتزالين راغبة في التأكيد على ان المعلم يكرهك؟
« اوه ، كلا ، لم يخطر على بالي للحظة بانه يكرهني . ولا يوجد سبب
بأن اكون موضع كرهه . لكنك ترى انه يبدو تعباً نوعاً ما من الدنيا . في
الحقيقة ، من الصواب القول بأن المعلم تعب من الناس في هذه
الايام . وحين أرى بأنني واحدة من المخلوقات التي تسكن هذا
العالم ، لا استطيع ان اتوقع ان يعتبرني مستثناة .
لقد بدأت افهم زوجة المعلم فهما افضل .

*

لقد تأثرت بعمق بقدرتها على التعاطف والتفهم . ومما اثرني ايضاً
هو انها لم تنجرف بالنزعة الشائعة آنذاك في استخدام الكلمات
« الحديثة » ، رغم ان تصرفاتها لم تكن تصرفات امرأة يابانية محافظة .
وكنت شاباً ساذجاً نوعاً ما ، وكانت النساء ، مثلاً ، غريبات كلياً عن
العالم الذي اعرفه او الذي خبرته . صحيح ، انني كرجل ، كنت اشعر
بلهفة غريزية نحو النساء ، غير ان هذه اللهفة لم تكن اكثر من حلم
غامض ، الا تختلف كثيراً عن لهفة المرء عندما يرى سحابة جميلة في
سماء ربيعية . وعندما كنت أجد نفسي وجهاً لوجه مع امرأة ، غالباً ما
كان يتوارى هذا الشوق فجأة . بيد ان رد فعلي لم يكن كذلك مع زوجة

المعلم . وعندما اكون معها لا اشعر حتى بتلك الفجوة الذهنية التي
نفصل بين الرجال والنساء غالباً . في الحقيقة سرعان ما نسيت انها
امرأة وصرت اعتبرها جزءاً من الشخص الوحيد الذي استطيع ان اشركه
في موضوع اهتمامي الصادق ، الذي اتعاطف معه ، الا وهو شخص
المعلم . قلت :

« هل تتذكرين عندما سألتك مرة عن سبب انكفاء المعلم عن العالم
الخارجي ، واجبتِ بأنه لم يكن بمنعزل عن العالم دائماً؟ »
« اجل اتذكر . وحقاً انه لم يكن منعزلاً . »
« كيف كان اذاً؟ »

« كان شخصاً من النمط الذي تتمناه ، ومن النمط الذي انا اتمناه . كان
ينطوي على الامل والقوة . »
« ما الذي جعله يتغير فجأة؟ »

« لم يكن التغير مفاجئاً . لقد حصل تدريجياً . »
« وانبِتِ كنتِ معه طوال الفترة التي كان يحصل فيها التغير؟ »
« طبعاً . كنتِ زوجته . »

« من المؤكد اذاً انك لا بد تعرفين سبب التغير . »
« لسوء الحظ ، كلا . انني لارتيك اذ اعترف بهذا ، لكن مهما فكرت فلا
يبدو انني بقادرة على ايجاد الجواب . لا يمكن ان تتصوركم مرة رجوته
ان يخبرني عن سبب التغير . »
« ماذا يقول حينما تسألينه؟ »

« يقول ان لاشيء لديه ليخبرني به ، ولا حاجة بي للقلق . كما يقول ان

هناك شيئاً في طبيعته يتغير هكذا .
ولم ازد شيئاً وسكتت زوجة المعلم . ولم يصدر صوت من غرفة
الخدمة . ونسيت امر اللص تماماً . وفجأة سألتني :
« هل تظن بأنني الملوثة؟ » قلت : « كلا » . قالت :
« أرجو ان تخبرني بما تفكر به حقيقة . فانا لا اطيق ان تفكر بي في شرك
بأنني المسؤولة . أرجو ان تفهم بأنني احب ان اوحى لنفسي بأن افعل
ايما شيء استطيع من اجل مساعدة المعلم . »
قلت : « انا واثق بأن المعلم يعرف ذلك ، أرجو ان لاتقلقي . صدقيني
فالمعلم يعرف . »

وسوت الجمرات في الكانون وصبت من ابريق مزيداً من الماء في
الغلاية المعدنية . فتوقفت الغلاية عن الترنيم .
« واخيراً لم استطع ان اتحمل هذا طويلاً ، فطلبت منه ان يخبرني
بصراحة ان كان قد وجد عندي خطأ في فعل اي شيء . وقلت له ، انه
لو اخبرني فقط عن اخطائي ، فسوف اسعى لاصلاحها اذا امكن ذلك .
اجاب بأنني ليست لدي اخطاء وانه هو نفسه الذي ينبغي ان يلام .
فجعلني رده حزينة جداً . وجعلني ابكي كما جعلني اريد منه ان
يخبرني بأخطائي اكثر من اي وقت آخر . »
وفي الوقت الذي قالت فيه زوجة المعلم هذا ، لاحظت وجود دموع
في عينيها .

✱

لاول وهلة ، ظننت ان زوجة المعلم امرأة ذات ذكاء . لكن طريقتهما

بدأت تتغير تدريجياً في مجرى الحديث، ووجدت بأنها لم تعد تجتذب ذهني بل بدأت تستثير قلبي .

لم يكن بينها وبين المعلم شعور غير ودي . في الحقيقة لم يكن هناك من سبب يدعو لذلك الشعور . مع ذلك ، كان يوجد شيء ما قد باعد بينها وبين المعلم . لكن مهما بذلت من جهد ، فانها لم تستطع ان تعرف الشيء الذي باعد بينهما . وباختصار ، كانت تلك محتتها .

وادعت بما ان المعلم قد كره الدنيا جداً ، فمن المحتم ان تصبح هي جزء من هدف كراهية المعلم . الا انها لم تستطع ان تقنع نفسها بأن هذا هو التفسير الصحيح . ولم تستطع السيدة المسكينة ان تتحاشى التفكير بأن العكس هو الصحيح تماماً ، واعني به : هو ان المعلم قد برم من الدنيا بسببها . لكنها مع ذلك لم تستطع ان تجد وسيلة تثبت فيها شكها . فقد كان تصرف المعلم تجاهها تصرف زوج محب . وكان لطيفاً معها مراعياً لحقوقها ومشاعرها . وهذا اذاً هو سرها الذي حفظته في فؤادها طوال تلك السنين بحزن معتدل وافشت به الي في تلك الليلة . وقالت :

«ماذا تظن؟ هل انه اصبح كذلك بسببي ام بسبب رأيه في الحياة؟ من فضلك لا تخفي عني شيئاً.»

لم تكن لذي اية نية في اخفاء اي شيء عنها . لكن ، مادمت اعرف بانه توجد أشياء في حياة المعلم لا ادرك كنهها ، فلم استطع ، لجهلي اياها ، ان أمل بادخال الراحة على قلب زوجة المعلم . قلت :
«انا لا اعرف حقاً.»

فبدت على وجهها مسحة احباط ، ورثيت لحالها . وقلت بسرعة :
«لكنني استطيع ان اطمنك بأن المعلم لا يكرهك . وانني اكرر عليك
فقط ، ما اخبرني به نفسه . وانت تعلمين ان المعلم لا يكذب ابداً . »
لم تنطق زوجة المعلم بكلمة . وبعد فترة قصيرة ، بدأت الكلام مرة
ثانية .

«اتذكر شيئاً ما . . . »

«هل تعنين ذلك الشيء الذي يجوز ان يفسر تغير المعلم؟»
«اجل . اذا كان هذا الشيء هو السبب ، فلم اكن انا مسؤولة عنه
آنذاك . لو كنت متأكدة فقط ، لكان العلم بهذا الشيء ، في الاقل ، قد
ادخل السكينة في فؤادي . »

«الا تخبريني؟»

ترددت وحدقت الى يديها المتشابكتين في حجرها . قالت :

«سوف اخبرك . ويجب ان تخبرني بما يدور في ذهنك . »

«سأفعل خير ما استطيع . »

«لن اخبرك بكل شيء . واذا فعلت ، سوف يغضب المعلم مني جداً .
سأخبرك بجوانب من القصة التي لا يستاء المعلم من اخباري اياك
بها . »

فشعرت بتوتر متزايد في داخلي .

«حينما كان المعلم لا يزال طالباً في الجامعة ، كان له صديق حميم
فيها . وقبل ان يوشك هذا الصديق على التخرج وافته المنية . لقد مات
فجأة . »

ثم اضافت بنبرة شبه هامسة :

« في الواقع ، لم تكن وفاته طبيعية . »

قالت هذا بطريقة لم استطع معها الا ان اسألها على التو: « كيف؟ »
« لااستطيع ان اخبرك بالمزيد . على اية حال ، في اعقاب وفاة هذا
الصديق ابتداء المعلم يتغير شيئاً فشيئاً . انا لااعرف سبب وفاته . واشك
ان كان المعلم يعرف ايضاً . ومن الناحية الاخرى ، حينما يتذكر المرء
ان التغير حصل بعد الوفاة ، يتساءل ان كان المعلم لايعرف حقاً . »
« هل هو ذلك الصديق المدفون في زوشيغايا؟ »

« هذا ايضاً شيء غير مسموح لي ان اخوض فيه . ولكن هل يمكن
لانسان ان يتغير هكذا لمجرد موت صديق؟ كم بودي ان اعلم ذلك .
هذا ما اريد منك ان تخبرني به . »
فكنت مضطراً للاعتراف بأنني لااظن ذلك .

*

وبقدر ما كنت استطيع حاولت ان ادخل الراحة على قلب زوجة
المعلم . ولاح لي انها هي ايضاً كانت تحاول ان تجد الراحة في
صحبتي . وواصلنا الحديث عن موت صديق المعلم وعن التحول في
سلوك المعلم الذي اعقب الوفاة . ومهما كان ، لم اعرف منها سوى
القليل عن هذه المسألة مما لم يتح لي ان اكون ذا عون كبير لها . ولم
يبدا ان زوجة المعلم كانت على علم كبير بالمسألة ايضاً ، ولم يتعد
قلقها سوى القليل من الشكوك الجادة . فضلاً عن ذلك ، لم تمتلك
الحرية في اخباري بجميع الاشياء التي تعرف . واذا ، عام كلانا ، انا

السذي توخيت اراحتها وهي التي توخت ان ترتاح مني ، في بحر من القلق ، قانطين .

وفي حوالي الساعة العاشرة سمعنا وقع خطوات المعلم وهي تقترب من البوابة الامامية . وكان زوجة المعلم قد نسيت جميع ما كنا نتحدث فيه ، قامت بسرعة واندفعت لملاقاته . وتركتني وحدي وراءها ، وكأنها نسيت وجودي كلياً . فتبع زوجة المعلم . ومن المحتمل ان الخادمة التي ركبها الكرى في غرفها ، قد أخفقت في الظهور في انصالة الامامية لتحية سيدها .

وبدا المعلم في مزاج رائق نوعاً ما . وكانت زوجته في حالة نفسية افضل . وانني لا تذكر الدموع في عينيها والقلق على سيماها ، وما كان بوسعي الا ان الاحظ التغير في مزاجها . ولم ارتب حقاً باخلاصها . الا انني كنت ميالاً ، مع شيء من التبرير ، ان احسب بأنها كانت تتلاعب بعاطفتي اثناء الحديث كما هي عادة بعض النساء . على اية حال ، لم اكن في حالة ذهنية نافذة ، ومهما كان وضعي ، فقد شعرت بالارتياح وانا اراها على هذه الدرجة من البهجة . وفكرت مع نفسي ، ان لاداعي لأي قلق من جانبي . وكشّر المعلم لي وقال : « اشكرك على تحملك الازعاج . لم يظهر على كل حال؟ » وأضاف : « هل صدمت؟ »

وفيما كنت على وشك ان اغادر ، قالت زوجة المعلم : « أسفة لانني سببت لك مضايقة . » وبدا ان اعتذارها لم يكن بسبب قسطها كثيراً من وقت طالب مشغول بدراسته ، بقدر ما كان بسبب عدم ظهور اللص ، وقد عبرت عن ذلك بأسلوب فكاهي . ثم اعطتني بقية الكعك لاحمله معي الى بيتي بعد ان غلفته بقطعة ورق . فوضعت اللقافة في

جيبى وخرجت تحت جناح الظلام البارد. وهرعت مسرعاً في المنعطفات والازقة المهجورة قاصداً الشوارع المكتظة.

لقد كتبت بتفصيل مطول احداث تلك الامسية، وانني اليوم اشعر بأهمية ما فعلت. لكن في تلك الامسية، وفي الوقت الذي غادرت فيه بيت المعلم، والكعك في جيبى، لم اعراهمية كبيرة للحديث الذي تداولته مع زوجة المعلم. وفي اليوم التالي، بعد المحاضرات، رجعت الى سكني كالعادة، بغية تناول الغداء. وعلى منضدتي استقرت لفافة الكعك التي اعطتني اياها زوجة المعلم. ففتحتها واخترت كعكة مغطاة بالشكولاته وبدأت أكلها. وفكرت بالزوجين اللذين اعطيانى اياها وقررت بأنهما لا بد ان يكونا سعيدين الواحد مع الآخر.

ومر الخريف دون احداث خطيرة. وبدأت احمل ملابسى لزوجة المعلم لتصلحها لي، وعند ذاك فقط بدأت أعنى بملبسى. وكانت هي لطيفة اذ عبرت عن ترحابها بهذا العمل كوسيلة لاشغال وقتها وهي بلا ولد.

وفي احدى المرات قالت: «هذه حياكة يدوية». وأشارت الى كيمونى. «انني لم اشتغل بنسيج رائع كهذا. الا ان من الصعب ان اخطه. لقد اثلمت ابرتان فيه لحد الآن.»

وحين شكت على هذه الصورة، لم يبد في صوتها ضيق حقيقي.

*

وفي ذلك الشتاء اضطررت للذهاب الى بلدي. فقد وصلتنى رسالة من امي تقول فيها بأن مرض ابي بلغ منعطفاً سيئاً، وانه وان لم

يكن ذا خطورة مباشرة، لكن من الافضل الالتحاق بهم كلما كان
ممكناً. وكما ذكرتني الرسالة، فقد كان ابي مسناً على اية حال.
كان ابي يعاني من ألم الكلية منذ فترة. وكما هي الحالة غالباً مع
الاشخاص الذين تجاوزوا اواسط العمر، فقد كان مرض ابي مزمناً.
بيد ان والدي وبقية الاهل كانوا يعتقدون، ان مع العناية الجيدة، من
الممكن كبح المرض، وما اكثر ما كان يتباهى امام زائريه بأنه ما كان له
ان يبقى حياً لولا عنايته بطريقة حياته.

ومهما يكن، فقد كانت حالته اسوأ مما تصورنا. وحسب ما ورد في
رسالة امي، انه سقط مغشياً عليه بينما كان يتمشى في الحديقة. وفي
البداية، كان الاعتقاد بأنه أصيب بسكتة خفيفة، غير ان الطبيب الذي
فحصه فيما بعد، قرر بأن نوبة الاغماء ناجمة عن مرض الكلية.
وبما ان اوان العطلة الشتوية لم يكن بعيداً، وبما انني فكرت بأن
لا ضرورة للذهاب فوراً، فقد قررت البقاء الى حين انتهاء الفصل
الدراسي.

وبعد يوم او يومين من وصول رسالة امي ابتدأت اقلق. وتصورت ابي
راقداً في الفراش وامي قلقة عليه، فقررت الذهاب على جناح
السرعة. لم يكن لدي ما يكفي من النقود لدفع اجرة القطار، ولغرض
ان اتجنب عناء الكتابة الى الاهل لتزويدي بالمبلغ ومن ثم انتظار
وصوله اليّ، فقد قررت الذهاب الى المعلم للاقتراض منه. وعلى اية
حال، كنت اريد ان ازوره زيارة وداعية.

كان المعلم يعاني من حالة برد. ولما لم يكن راغباً في الخروج الى

غرفة الجلوس، فقد دعيت لرؤيته في مكتبه. وكانت أشعة الشمس الرقيقة تملأ الغرفة، على ندرة مثل هاتيك الأشعة في ذلك الشتاء. وفي تلك الغرفة المشمسة جاء المعلم بكانون نار كبير. وفوق الكانون وُضِعَ اناء معدني مملوء بالماء لكي يريح البخار المتصاعد عنه انفاس المعلم. قال المعلم وابتسم لي ابتسامة حزينة: «من الافضل لي ان امرض مرضاً حقيقياً على ان اعاني من برد تافه كهذا.» قلت: «انا استطيع ان أتحمل برداً اعتيادياً. لكنني لا اريد، بالتأكيد، مرضاً أشد خطورة. يامعلمي، انا واثق بأنك سوف تشعر بمثل شعوري هذا، لو انك أصبت بمرض حقيقي.»

«اظن ذلك. في الحقيقة، انني لو اصببت بمرض حقيقي، فليشد ما اتمناه ان يكون مرضاً مميتاً.»

لم أعر كلمات المعلم اهتماماً كبيراً. واخرجت رسالة امي وطلبت من المعلم قرصاً. قال: «بكل تأكيد. اذا كان هذا كل ما تطلب، فانا واثق بأننا نستطيع ان نعطيك ماتريد على التو.»

نادى المعلم على زوجته وطلب منها جلب المبلغ. ورجعت، ووضعت المبلغ بأدب على قصاصة ورق بيضاء قائلة: «لابد انك قلق.» وسأل المعلم: «كم مرة أغمي عليه؟»

«لم تذكر امي ذلك. لكن، هل هوشيء اعتيادي ان يُغمي على المرء غالباً في مثل تلك الحالات؟»

«نعم.»

فيما بعد علمت ان حماة المعلم قد ماتت بسبب مرض مماثل في الكلية. قلت: «على اية حال، لايمكن لوالدي ان يكون بصحة

جيدة . » فقال المعلم : « لا اظنه كذلك . كم اتمنى ان اكون في مكانه .
هل يعاني من غثيان؟ »

« لا ادري . من المحتمل . . لا . في الاقل ، لا ذكر لذلك في الرسالة . »
قالت زوجة المعلم : « انه على مايرام ، مادام لا يعاني من الغثيان . »
وفي تلك الليلة غادرت طوكيو بالقطار .

*

لم يكن ابي مريضاً جداً كما توقعت . فعند رجوعي وجدته جالساً
في السرير . قال : « انني اقعد في السرير هكذا لكي لا يقلق الاخرون
عليّ . في الحقيقة ، اشعر بقدر من الصحة استطيع به النهوض من
الفراش . » وفي اليوم التالي ، غادر سريريه بخلاف رغبات امي .
قالت امي : « لانك هنا ، اقنع ابوك نفسه بأنه بصحة احسن . » لكن لم
يبد لي انه اتخذ مظهراً شجاعاً من اجلي .

كان اخي الاكبر يعمل في مدينة (كايشو) البعيدة ، وعليه لم يستطع
زيارة والدي ، الا اذا شعر بالحاجة الملحة لاداء ذلك . وكانت اختي
الكبرى متزوجة وتقيم في مقاطعة اخرى . وهي الاخرى ايضاً لم يكن
يسيراً عليها القدوم الى بلدتنا . وعليه ، لكوني طالباً ، كنت الوحيد من
بين ثلاثة اخوة ممن دعاهم الابوان الى المجيء الى البلدة بلا تقييد .
كان ابي مسروراً غاية السرور اذ رجعت اليهم غب استلامي رسالة
امي مباشرة دون انتظار مني الى نهاية الفصل . قال ابي : « أسف
لقطعك دراستك . لقد كانت هناك ضجة حول مرضي الخفيف .

وكتبت امك رسائل عديدة بهذا الشأن . « وبدا عليه انه استعاد صحته الاعتيادية . قلت : «سوف تمرض مرة ثانية ما لم تعن عناية افضل بصحتك . » فزاغ عن نصحي وقال بابتهاج : «لاتقلق . سأكون على خير مايرام ما دمت أعنى بنفسى كما عנית بها دائماً . »
في الحقيقة ، بدا ابى بعافية كافية . وتجول حول المنزل دون ان تظهر عليه اية علامة من الاجهاد . صحيح ، انه بدا شاحباً جداً ، لكن بما ان هذا الشحوب لم يكن عارضاً مرضياً جديداً ، فلم نعره سوى اهتمام قليل . »

وكتبت الى المعلم شاكرأ اياه على القرض . وأخبرته بأننى سوف اعود الى طوكيو في كانون الثاني ، واننى سوف اعيد له المبلغ عند عودتي اذا لم يكن يضايقه ذلك . واخبرته بأن والدى كان في صحة احسن مما توقعت ، وانه لا يوجد سبب لأي قلق عاجل ، كما انه لم يعان من نوبات الاعماء او الغثيان . واختتمت الرسالة بسؤال مهذب عن اصابته بالبرد ، التي كنت ميالاً الى اعتبارها مسألة ذات شأن قليل .
لقد كتبت الرسالة دون ان اتوقع تسلّم جواب من المعلم . وبعد ان بعثت بها بالبريد اخبرت والدىّ عنه . وبينما كنت اقوم باخبارهما وجدت نفسي افكر بالمعلم وهو في غرفة مكتبه .
«عندما ترجع الى طوكيو ، لماذا لا تأخذ له معك بعض الفطر المجفف؟»
«اشكرك . الا اننى اتساءل ان كان المعلم يأكل اشياء كالفطر

المجفف . «يجوز ان الفطر طعام غير شهبي ، لكن من المؤكد ان لا أحد يكرهه .» على نحو ما لم استطع ان أقرن الفطر المجفف بالمعلم .

واصابتني دهشة ما حين وصلتني رسالة من المعلم . ومما زاد دهشتي عند قراءتي اياها ، انها كُتبت كما بدا لي بلا هدف معين . لكنني اقررت بأنه كان لطفاً منه ان يرد على رسالتي . وقد جعلني هذا ، اي تكليف نفسه بالرد ، سعيداً جداً .

واذا ما اعطيت ، دون فطنة ، انطباعاً بأنني والمعلم كنا نتبادل السراسلة كثيراً ، فأودّ هنا ان اقول بأنني طوال المدة التي عرفت فيها المعلم تسلّمت منه رسالتين فقط ، من الصعب ان يطلق عليهما المراء اسم رسائل ، كانت احدهما تلك الرسالة البسيطة التي ذكرتها تواء ، وكانت الاخرى رسالة طويلة قد كتبها لي قبل وفاته بوقت قصير .

وبما ان والدي لم يُسمح له بمزاولة اي نشاط ، فانه لم يغادر البيت بعد نهوضه من الفراش . وفي احدى المرات ، وفي يوم مشمس خرج الى الحديقة . فخشيت عليه ولازمته . ولما حاولت اقناعه بالاتكاء على كتفي ضحك ولم يصغ لي .

*

وبغية ان اساعد ابي في نسيان ضجره ، كنت الابعه الشطرنج غالباً . كنا كلانا كسولين جداً بطبعنا . وكنا نجلس على الارض ونغطي جسدنا من الخصر الى الاسفل بلحاف واسع لغرض التدفئة . وبعد كل نقلة ، كنا نعيد ايدينا تحت اللحاف ، وبنا عزم ان لانضحى براحتنا

من اجل اللعب . واحياناً كان يضيع منا بيدق او بيدقان ولا نكتشف ذلك الا حين نعاود اللعب مرة ثانية . وقد سرّنا جميعاً عندما عثرت امي في احدى المرات على القطع الضائعة بين جمرات الموقد ، اذ التقطتها من النار بملقط . قال ابي في احدى المرات :

« ان الشيء الجيد في الشطرنج هو اننا نستطيع ان نلعبه بهذا الوضع المريح . انه لعبة مثالية للكسالي من امثالنا . »

كان ابي يرغب بان يلعب دوراً جديداً دائماً ، سواء ربح ام خسر . وكان يبدو انه لا يتعب من لعب الشطرنج ابداً . في البداية كنت تواقاً جداً لأن اللعب معه . فقد كانت تجربة جديدة لي ان امضي الوقت علي هذه الصورة وكأني رجل عجوز متقاعد . لكن بانصرام الايام برمت من هذه الحياة الخاملة . فقد كنت افيض بحيوية الشباب الدافقة بحيث لم ارض ان اكون ملاعباً لابي . واحياناً ، في معمعة اللعبة ، كنت اثئاب بقوة .

وفكرت بطوكيو . وبدا لي ، ان الشوق في داخلي للنشاط قد تفاقم مع كل نبضة قلب . وعلى نحو غريب ، شعرت كأن المعلم كان الى جانبي وهو يشجعني على أن أقوم واذهب .

وقارنت ابي بالمعلم . كان كلاهما من النمط الذي يمحذاته . في الحقيقة ، كان محو الذات هذا عند كليهما في ما يتعلق بالعالم من حولهما ، يعطي الانطباع بأنهما ميطان . فمن وجهة نظر الناس ، كانا بلا وجود تماماً . لكن ، في الوقت الذي اخفق فيه ابي ان يسليني ، فإن المعلم الذي لم انشد التسلية في صحبتي له ، قد منحني اشباعاً فكرياً

عظيماً. لربما لا يجد ربي ان استخدم كلمة «فكرياً»، لانها تنطوي علي معنى بارد وغير شخصي. والاحرى ان استخدم كلمة «روحياً» بدلاً عنها. في الحقيقة لم اجد في ذلك مبالغة في حينه، اذ اخترقت قوة المعلم الروحية بدني، وانسابت حياته نفسها في عروقي. ولم اكتشف حقيقة مشاعري نحو هذين الرجلين، انتابني صدمة. أفلم اكن من لحم ابي؟

وفي الوقت الذي بدأت اشعر فيه بالضييق في البيت، بدأ ابي وامي ايضاً يضيقان بي ذرعاً. وتخرمت روعة اللقاء الجديد. ومن المحتمل ان الغالبية من الناس الذين يعودون الى بيوتهم بعد غياب طويل قد خاضوا مثل هذه التجربة. ففي الاسبوع الاول ونيف تتصاعد حمى اللقاء، لكن ما ان تخفت الاثارة الاولى، حتى يبدأ العائد يفقد بريق حضوره. والآن قد مضت المرحلة الاولى على مكثي في البيت. فضلاً عن ذلك، كنت في كل مرة ارجع فيها الى البيت، اكون متأثراً بمزيد من الحياة في طوكيو. وهذا الشيء لم يحبه او يفهمه ابوي. وكما يحلوا للبعض من اهل الزمان الغابر ان يعبروا، كنت كمن يدخل هبةً من الروح المسيحية على عائلة تدين بالكونفوشيوسية. وبالطبع كنت احاول اخفاء ايما تغييرات طبعتها طوكيو على سلوكي. غير ان طوكيو صارت جزءاً من كياني، لذلك لم يعد بوسع ابوي الا ان يلاحظ ما طرأ علي من تغيير. فانقطعت عن الشعور بمتعة وجودي في البيت، وطفقت اعجل بالعودة الى طوكيو.

ولحسن الحظ، لم تبد حالة ابي في ارتكاس نحو الاسوأ. ولاجل

ان تطمئن نفوسنا طلبنا من طيب بارز كان يسكن على مبعدة من منزلنا ان يأتي ويفحص ابي بعناية . وقد اطمأن الطيب على صحة ابي كاطمئناننا نحن عليه . فقررت ان اغادر في بحر ايام قليلة قبل انتهاء العطلة الشتوية . وبما ان الطبيعة البشرية شكسة ، فقد عارضا قراري . قالت امي : « اتركنا بهذه السرعة؟ انك لم تقض وقتاً طويلاً؟ » وقال ابي : « من المؤكد انك تستطيع ان تمكث معنا اربعة او خمسة ايام أخرى . »
بيد اني لم اغير رأبي .

✱

ولما عدت الى طوكيو اكتشفت ان جميع معالم الزينة للعام الجديد قد رفعت . لكنني لمست شيئاً من روح العام الجديد باقية عند سيرتي في الشوارع الباردة الجاثمة تحت الريح .
وبعد وصولي مباشرة زرت المعلم لكي أعيد اليه المبلغ الذي اقترضته منه . كما اني حملت معي الفطر المجفف . وفكرت ان من الجائز ان ييدو غريباً تقديم الفطر بلا شيء من التوضيح ، لذلك ما ان وضعته امام زوجة المعلم حتى شرحت لها بعناية بأن امي هي التي رجتني ان اقدمه لها وللمعلم . وكان الفطر موضوعاً في صندوق كعك . فشكرتني زوجة المعلم بأدب ، وحينما نهضت ، حملت الصندوق وذهبت به الى الغرفة المجاورة . ومن المحتمل انها دهشت لخفة حملة ، فقالت : « اي نوع من الكعك هذا؟ »
وكلما زاد المرء الفة مع زوجة المعلم ، كلما بدت له الجوانب البريثة والطفولية في شخصيتها .

وكان لطفاً منهما اذ سألاني عن صحة ابي . قال المعلم : «يبدولي ان اباك بصحة تامة في الوقت الحالي . لكن يجب ان يكون حذراً وان لا ينسى بأنه مريض . »
وظهر ان المعلم كان يعرف اشياء مختلفة كثيرة عن مرض الكلية الذي لا اعرف عنه .

وواصل المعلم : «ان المشكلة في مرض ابيك هو ان الشخص المصاب به لا يحسُ به غالباً . ان موظفاً كنت اعرفه مات بهذا المرض فجأة في نومه . ولم يتيسر لزوجته التي كانت نائمة الى جانبه الوقت الكافي لتفعل شيئاً من اجله . كان قد ايقظها مرة واحدة في الليل واخبرها بأنه لم يكن على مايرام . وفي الصباح التالي كان ميتاً . والشيء المنحوس هو ان زوجته قد كونت انطباعاً بأنه قد عاود النوم . »
فركبني القلق فجأة ، انا الذي كنت ميالاً للتفاؤل حتى تلك اللحظة . «هل تظن ان الشيء نفسه سوف يحصل لابي ؟ لا يستطيع المرء ان يقول بأنه لن يحصل ، أليس كذلك؟»
«ماذا يقول الطبيب؟»

«يقول بأن ابي لن يشفى ابداً . لكنه يقول ايضاً بأنه لا ضرورة للقلق عليه لفترة من الزمن . »

«حسناً . اذا كان هذا ما يقوله الطبيب ، فكل شيء على مايرام . فالرجل الذي حدثك عنه كان قبل كل شيء مهملًا في حق نفسه . فضلاً عن ذلك ، كان جندياً وعاش حياة غير معتدلة . »
فأدخلت ملاحظات المعلم الاخيرة شيئاً من الراحة على قلبي .

وبعد ان راقبني المعلم هنيهات ولاحظ الراحة على وجهي ، قال : « غير ان الرجال مخلوقات تعيسة جداً سواء أكانوا اصحاء او غير اصحاء . من ذا يستطيع ان يقول كيف سيموتون او متى ؟ »

« انت من دون الناس كلهم تفكر بهذا . »

« طبعاً . ربما انا اتمتع بالصحة ، لكن هذا لا يمنعني من التفكير بالموت . » وابتسم المعلم ابتسامة خفيفة .

« من المؤكد ، يوجد كثير من الرجال الذين يموتون بغتةً ، لكن بهدوء ، بأسباب طبيعية ، كما يوجد اولئك الذين يموتون موتاً مباحثاً ومثيراً بعنف غير طبيعي . »

« ما الذي تعنيه بالعنف غير الطبيعي ؟ »

« لست متأكداً تماماً ، لكن . . ألا تتفق معي بأن الاشخاص الذين ينتحرون انما يلجأون الى عنف غير طبيعي ؟ »

« اذن افترض انك تتفق معي بأن الاشخاص الذين يُقتلون انما يموتون ايضاً عن طريق عنف غير طبيعي . »

« لم يخطر على بالي ذلك ابداً . لكنك على صواب طبعاً . »

بعد ذلك بفترة وجيزة تركت المعلم وذهبت الى مسكني . وفي تلك

الليلة لم اقلق كثيراً من مرض والدي ، كما لم اصرف وقتاً طويلاً في

معاودة التفكير بما قاله المعلم عن الموت . كنت منشغل التفكير جداً

بمسألة اطروحة التخرج التي حاولت البدء بها مرات عدة ولم أفلح .

وقلت لنفسي ، ينبغي عليّ حقاً ان استعد للبدء بكتابتها في الحال .

※

كان المتوقع ان اخرج في حزيران من تلك السنة، وطبقاً للاصول المرعية كان يجب اكمال الاطروحة في نهاية نيسان . ولما عدت الايام المتبقية لي، بدأت افقد الثقة . وقد ظهر لي، انه في الوقت الذي كان فيه الآخرون منشغلين لفترة من الزمن بجمع المواد وحشد الملاحظات، كنت انا وحدي الذي لم أفعل شيئاً سوى ان اعد نفسي بأنني سوف ابدأ العمل بأطروحتي في السنة الجديدة .

في الحقيقة شرعت في الجزء الاول من العام، لكن لم يمر وقت طويل حتى وجدت نفسي في حالة من الشلل الذهني . ولقد خيل لي باعجاب انني بمجرد ان افكر بمسائل كبيرة محددة على نحو غامض، سوف استطيع ان اضع هيكلًا متماسكاً ومتكاملاً لا طروحتي . الا انني ما ان بدأت بالعمل جدياً حتى اكتشفت حماقتي . فياست . ثم بدأت أضيق دائرة موضوع الاطروحة . ولغرض ان اتحاشى المشكلة في تقديم افكاري الخاصة بطريقة منتظمة، قررت ان اجمع المعلومات ذات الصلة بالموضوع من كتب مختلفة وان اضيف اليها النتيجة المناسبة .

وكان الموضوع الذي اخترته ذا صلة وثيقة بمجال اختصاص المعلم . ولما سألت المعلم ان كان يظن هذا الموضوع مناسباً، قال بأن من المحتمل ان يكون كذلك . وحالما انتابنتي حالة من الذعر، هرعت راجعاً الى المعلم اسأله عن الكتب التي يجب ان اطالعها . فزودني بجميع المعلومات التي لديه عن طيب خاطر، ثم عرض عليّ ان يعيرني كتابين او ثلاثة كتب كانت ضرورية لعملي . لكنه رفض

بثبات ان يرشدني الى اكثر من ذلك .
«مؤخراً لم اعد اقرأ كثيراً . ثم انني لم اطلع على الدراسات الحديثة .
ومن الخير لك ان تسأل اساتذتك في الجامعة .»
ولما قال المعلم ذلك ، تذكرت ملاحظة زوجته في احدى المرات
بأن المعلم ، وان كان قارئاً نهماً في السابق ، الا انه فقد اهتمامه القديم
بالكتب . وللحظة نسيت امر اطروحتي وقلت : «ايها المعلم ، لماذا
انت غير مولع بالكتب مثلما كنت سابقاً؟»
«لا يوجد سبب معين . حسناً . ربما السبب هو انني فكرت بأنني مهما
قرأت من كتب ، فلن اغدو انساناً افضل مما انا عليه الآن . و . . .»
«و . . ؟»

«هذا غير مهم ، لكن . . لكي اقول لك الحقيقة ، كنت أعد الامر شائناً
اذا ما اكتشف الناس بأنني جاهل . اما الآن ، فلا اجد نفسي خجلاً من
كوني اعرف اقل من غيري . كما انني أقل ميلاً للضغط على نفسي
بقراءة الكتب . باختصار ، لقد كبرت واصبحت عاجزاً .»
كانت طريقة هادئة تلك التي قال بها هذا الكلام . فلم أتأثر كثيراً بما
قال ، ربما لأن لهجته لم تحمل مرارة امريء ادار ظهره للعالم . وتركت
البيت من غير ان اظن بأنه صار عاجزاً او ترك في أثره خاصاً .
ومنذ ذلك الحين فصاعداً . حومت الاطروحة فوق رأسي كاللعنة ،
فعملت عليها كمجنون بعينين محتقتين دماً . وسارعت بالاتصال
بالاصدقاء الذين تخرجوا قبل عام لاستشارتهم في جميع الامور . لقد
اخبرني احدهم بأنه لولا ركوبه عربة الركشة وذهابه الى ابنية الجامعة

لما افلح في تسليم اطروحته قبل الموعد المحدد. واخبرني آخراً بأنه سلم اطروحته متأخراً عن الموعد بخمسة عشر دقيقة، ولولا تدخل استاذة الاول لما قبلت. لقد اقلقتني مثل هذه الحكايات، لكنها منحنتني الثقة في الوقت نفسه. وفي كل يوم، كنت ابذل قصارى الجهد وأقضي ساعات طويلة في العمل. فاذا لم اكن جالساً الى منضدتي، اكون في المكتبة المورثة للكآبة، متصفحاً بسرعة عناوين الكتب على الرفوف العالية، وكأني صائد تحف.

في البداية برعمت أشجار الخوخ، ثم غيّرت الريح الباردة اتجاهها صوب الجنوب. فيما بعد بفترة، سمعت بأن أشجار الكرز قد بدأت تزهر. لكنني لم أفكر بشيء سوى اطروحتي. وقبل الجزء الاخير من نيسان لم ازر المعلم ولا مرة واحدة، واكملت اطروحتي أخيراً.

✱

وفي النهاية، حينما تساقطت جميع براعم الكرز المزدوجة وبدأت تحل محلها اوراق خضرمعتمة، فرغت من العمل وصرت طليقاً. كانت بداية صيف. لقد ابتهجت بحريتي كطائر صغير طار من قفصه الى الفضاء الرحب. وفي الحال زرت المعلم. وفي طريقي الى بيته لاحظت ان البراعم الصغيرة على أماليد شجيرات السفرجل قد صارت اوراقاً، كما لاحظت ايضاً ان اوراق اشجار الرمان الداكنة اللماعة قد عكست ضوء الشمس على نحو خفيف. واستمتعت بهاتيكم المشاهد كما لو انني كنت اراها لأول مرة في حياتي.

ولما رأى المعلم وجهي السعيد، قال: «هكذا اكملت اطروحتك اخيراً. انني لسعيد.» قلت: «نعم، اشكرك. لقد اكملتها اخيراً.»

وليس لدي ما افعله الآن . »

لقد شعرت بالسعادة، وفكرت في حينه انني ما دمت قد انجزت ما هو مطلوب مني ، فلم يبق لدي حقاً ما افعله غير ان استرخي وامتّع ذاتي . وقد نظرت الى اطروحتي بملء الثقة والرضا . وحدثت المعلم بلا انقطاع عما كتبتة فيها . وقد أصغى المعلم لي بطريقته المألوفة ، وما عدا مداخلات عرضية مثل : « افهم » او « هل هو كذلك ؟ » ، فقد امتنع ان يعلق بشيء . ولم اشعر بعدم الرضا بقدر ما شعرت بالتضائل . ومهما يكن ، فقد كنت افيض حيوية في ذلك اليوم للححد الذي اردت فيه ان أسحب المعلم من فتوره . وحاولت ان اغريه بالخروج الى الدنيا الخضراء اليانعة .

« يا معلم ! دعنا نخرج في نزهة . ياله من نهار جميل ! »

« نزهة ؟ اين ؟ »

لم آبه الى اي مكان نذهب . في الواقع انني اردت ان اخرج مع المعلم . وبعد ساعة تركنا مركز المدينة وتمشينا في ضاحية هادئة بدت لنا ريفية الطابع تقريباً . وقطفت ورقة زعرور بري غضةً وابتدأت أصفر فيها . لقد كنت صافراً متمرساً في ورق الاشجار نوعاً ما ، وكان صديق لي من (كاغوشيما) قد علمني حيلة هذا الصفير . وبزهو واصلت صفيري لهنيهات ، اما العلم فقد واصل المشي دون ان يعرني اقل انتباه . وبعد وقت قصير قادتنا اقدامنا الى درب قصير يبدو انه كان يؤدي الى بيت فوق تل صغير . كان التل مغطى بكتلة من اوراق النباتات الخضرة . وفي آخر الدرب كانت بوابة ، وعلى احد عموديهما وضعت

رقيقة نبهتنا الى اننا كنا عند مدخل مشتل زراعي . عند ذلك عرفنا بأن الدرب لا يؤدي بنا الى عقار خاص . فرجع المعلم بصره نحو البوابة ، وقال : « هل ندخل ؟ » فأجبت على الفور : « اجل . انهم يبيعون الاشجار هنا ، اليس كذلك ؟ » وتابعنا السير في الدرب الملتوي خلال الاجمة حتى وصلنا البيت الذي كان يقع الى شمالنا . وقد تركت الابواب الزلاقة مفتوحة ، فأستطعنا ان نرى ما بداخل البيت تماماً . وبدلنا ان لا احد موجود في المكان . وفي حوض واسع امام البيت استطعنا ان نرى اسماكاً ذهبية صغيرة فيه . قال المعلم : « المكان هادىء هنا بكل تأكيد . الا انني اتساءل : هل يحق لنا الدخول بلا استئذان ؟ »

وواصلنا السير ، ومع هذا لم نصادف احداً . وحولنا من كل جانب ، تألقت نباتات الازالية بكل روعتها . و اشار المعلم الى احداها وقد كانت انمى طولاً من غيرها وكان لونها احمر مشرباً بصفرة . قال المعلم : « اظن ان هذه هي الازالية التي نطلق عليها اسم كرشيمما⁽¹⁾ وكانت الفاوانيا⁽²⁾ ايضاً تغطي مساحة قدرها حوالي عشر تسويات .⁽³⁾ بالنسبة لها كان الوقت صيفاً ولم يحن الاوان لتزهر ، لكنها

١- وهي تعني حرفياً باليابانية : جزيرة الضباب .

٢- الفاوانيا . نبات ذو زهرات كبيرة حمراء او قرنفلية او بيضاء .

٣- tsubo : وحدة قياس يابانية تساوي اربع ياردات .

ازهرت قبل الميعاد . وعلى حافة حقل الفأوانيا هذا كانت مصطبة قديمة . فجلس المعلم عليها مرخياً جسده . اما انا فقد جلست على طرفها وبدأت ادخن . وحدّق المعلم الى السماء التي بدت من شدة زرقتها شفافة . اما انا فقد فتنتني الاوراق الغضة المحيطة بي . ولما نظرت اليها بعناية ، لم اجد حتى شجرتين لاوراقهما لون واحد بالضبط . ولقد كان لاوراق كل شجرة قيقب ، مثلاً ، لون متميز خاص . وهبت نسمة ، فطيرت قبعة المعلم التي كان قد علقها على طرف غصن أرز رشيق .

*

التقطت القبعة على الفور . وبعد ان نفضت عنها ذرات التراب الاحمر ، قلت : «يامعلم ، لقد وقعت قبعتك .»
«اشكرك .»

وقام المعلم نصف قيام ليأخذ قبعته . وبعدئذ ، وهوباق في هذا الوضع - بين القعود والقيام - سألني سؤالاً غريباً .
«يجوز ان يكون سؤالى مبالغتاً ، لكن قل لي : هل عائلتك ثرية جداً؟»
«حسناً . لااظن ان ما نملكه يمكن ان يوصف بكونه ثروة .»
«تقديراً ، كم تمتلكون؟ انا لااقصد ان اكون فظاً .»
«في الحقيقة لاادري . اننا نملك بعض الغابات وعدداً قليلاً من الحقول ، لكنني اشك بأن لدينا اي مال .»

كانت هذه هي المرة الاولى التي يسألني فيها المعلم مباشرة عن اموال العائلة . كما انني لم اسأل المعلم ابداً عن مصدر دخله . وطبعاً

كنت اتساءل كيف كان يتسنى له ان يعيش عيشة بطالة . الا انني امتنعت عن ان اسأله عن الوسيلة التي كان يؤمن بها عيشه ، ظناً مني بأن من السماجة ان افعل ذلك . وقد جعلني سؤال المعلم انسى الاشجار التي كنت اتأملها بهدوء ، لكنني وجدت نفسي فجأة اسأله :

«وانت يامعلم؟ اي نوع من الثروة تمتلك؟»

«هل انني اشبه ثرياً في نظرك؟»

لم يكن المعلم يرتدي لباساً غالياً . وكانت في بيته خادمة واحدة فقط ولم يكن بيته واسعاً مطلقاً . وحتى انا الذي لم اكن فرداً من افراد عائلته استطعت ان الاحظ بجلاء بأنه كان يعيش عيشة رخيصة . صحيح ، انه لم يعيش حياة بطرة ، لكن من ناحية اخرى لم تكن هناك ضرورة لأن يقتر على نفسه . قال :

«انت موسر ، اليس كذلك؟»

«لدي بعض المال طبعاً . لكنني لست موسراً البتة . ولو كنت ، لابتليت لنفسي بيتاً اوسع قبل اي شيء آخر .»

وفي تلك اللحظة اعتدل المعلم في جلسته على المصطبة ، ولما انهى كلامه بدأ يخط دائرة على الارض بعصاه الخيزرانية . وعندما اكمل الدائرة غرز عصاه في الارض .

«كنت غنياً مرة .»

وقد لاح لي ان المعلم كان يحدث نفسه اكثر مما يحدثني . وكنت في حيرة من امري ماذا اقول . فلزمت الصمت . وقال مرة ثانية :
«أتدري انني كنت غنياً يوماً ما؟» في هذه المرة نظرت اليّ وابتسم . مع

ذلك، بقيت صامتاً. وشعرت بالضيق ولم استطع ان اقول شيئاً. بعدئذ
غير المعلم الموضوع.

«كيف حال ابيك في هذه الايام؟»

لم اكن قد تسلمت اخباراً عن مرض ابي منذ كانون الثاني. لقد
استمر ابي يكتب لي رسالة قصيرة في كل شهر عندما كان يبعث لي
بحوالة مالية. الا انه كان يذكر الشيء القليل عن مرضه. ثم ان خطه
ظل متماسكاً ولم يظهر على حروفه ما يتوقعه المرء من اضطراب فيها.
«انه لا يخبرني قطعاً عن حالته الصحية. لكنني اعتقد بأنه في صحة
جيدة الآن.»

«أمل ان يكون اعتقادك صحيحاً. لكن مع مرض كمرضه من الصعب
ان تتأكد.»

لا اظن هناك املاً كبيراً بالنسبة له. اليس كذلك؟ «لكنني مع ذلك
اعتقد بأنه سوف يظل بصحة جيدة لفترة أخرى. على اية حال، لم
اتسلم منه انباء سيئة حتى الآن.»
«أهو كذلك؟»

حينذاك خمنت بأن اسئلة المعلم عن ثرزة عائلتي ومرض ابي لم
تكن لتعبر الا عن اهتمام اعتيادي بشؤوني، وبما انني لا اعرف كثيراً
عن تاريخ حياة المعلم فلم يكن بمقدوري ان احسب بأن اسئلته
انطوت على اكثر مما بان في ظاهرها.

✱

«اذا كان لعائلتك ملكية، ففي هذه الحالة يجدر بك ان تحسم مسألة

ميراثك فيها على نحو صحيح . انا اعلم ان هذا الامر ليس من شأني .
لكن ، الا تعتقد انه مادام ابوك حياً انه ينبغي عليك ان تضمن تسلم
حصتك الصحيحة؟ فعندما يموت المرء فجأة ، يسبب عقاره مشكلات
اكثر من اي شيء آخر. »

« نعم . سيدي . »

ولم أعر كلمات المعلم كثيراً من الانتباه . لقد كان اعتقادي انه
لا يوجد فرد في عائلتي كلها له اهتمام بمثل هذه الامور . فانتابني
صدمة خفيفة وانا ارى المعلم على هذه الشاكلة العملية المفرطة .
على اية حال ، لم اقل شيئاً ، لانني لم ارغب ان ابدو وقحاً .
« اذا كنت قد ضايقتك بالتظاهر بأني اتوقع وفاة ابيك ، فأرجو منك
المعذرة . وانت تعلم ، اننا جميعاً فانون يوماً ما . وحتى الاصحاء من
الناس ، كيف لنا ان نعرف متى سوف يموتون؟ »

بدت لي لهجة المعلم مريرة على نحو مألوف . قلت معتذراً تقريباً :
« لاهتم ابدأ . » سأل المعلم : « قل لي : كم عدد اخوانك واخواتك؟ »
واستأنف السؤال عن اقربائي الاخرين كالاعمام والحالات .
« هل هم جميعاً اناس طيبون؟ »

« حسناً . ليسوسيين بالضبط . انهم ، قبل كل شيء ، ريفيون في
المقام الاول . »

« لماذا لا يكون الريفيون سيئين؟ »

وبدأت اشعر بالضيق جداً . ولم يفسح المعلم لي وقتاً لأجيب على
سؤاله الاخير .

«في الحقيقة، يميل الريفيون الى ان يكونوا اسوء من ابناء المدينة . لقد قلت الآن بأنه لا يوجد احد بين اقربائك ممن تعتبره سيئاً من الناحية العملية . ويبدو انك واقع تحت انطباع مفاده بأنه توجد سلالة خاصة من البشر الرديئين . فلا شيء يوجد من قبيل القالب البشري الرديء في هذا العالم . ففي الظروف الاعتيادية يكون كل انسان تقريباً اعتيادياً في الاقل . لكن أعزهم ، ولسوف يتبدلون فجأة . وهذا هو الشيء المرعب في الناس . يجب ان يكون المرء دائم الاحتراس . »

وبدا المعلم كأنه يريد الاستمرار . وارتدت ان اقول شيئاً بهذا الخصوص . لكن كلباً بدأ ينبج من ورائها فجأة . فأستدرنا بدهشة .

لقد تكاثر خيزران قصير بكثافة فوق رقعة صغيرة من الارض وراء المصطبة وبالقرب من شجيرات الارز . وكان الكلب ينبج بغضب وهو يرمقنا من فوق عيدان الخيزران . ثم ظهر صبي في سن العاشرة تقريباً . فركض صوب الكلب وويخه . بعد ذلك التفت نحو المعلم وانحنى دون ان يخلع قبعته المدرسية السوداء . قال : «سيدي ، الم يكن هناك احد عند مجيئك؟»

«كلا . لم يكن هناك احد . »

«انت تعلم ان اختي الكبرى وامي في المطبخ . »

«أهو كذلك؟»

«نعم سيدي . كان عليك ان تنادي عالياً : «مساء الخير» قبل ان تدخل . »

فابتسم المعلم ابتسامة خفيفة . واخرج محفظة نقوده وعثر على

قطعة من فئة خمس سنتات واعطاها الى الصبي .
« اذهب وقل لامك اننا نود ان تسمح لنا بالاستراحة هنا لفترة قليلة . »
وبضحكة تشع من عينيه الذكيتين اوماً برأسه .
« في هذه اللحظة ، انا رئيس فرقة الكشفة . » قال هذا واسرع هابطاً من
التل خلال نباتات الازالية واسرع الكلب وراءه وذيله مرفوع . وبعد
لحظة او لحظتين مرّ من امامنا صبيان او ثلاثة بعمر رئيس فرقة الكشفة
راكضين ، وما لبثوا ان تواروا عن الانظار عند سفح التل .

*

لولا الظهور المفاجيء للصبي والكلب ، لكان المعلم قد اوضح لي
المقصود بملاحظاته . وفي تلك اللحظة لم اكن متيقناً من السبب
الذي جعل المعلم يحدثني بهذا الحديث . في الحقيقة ، انا لا اشاطر
المعلم في اهتمامه بمسائل المال والميراث وما شاكل ذلك ، اولاً
بسبب ظروفه الميسورة نوعاً ما ، وثانياً بسبب طبعي . والآن عندما افكر
بنفسي وقتذاك ، اجد انني كنت ساذجاً جداً . ولو كنت أعرف معنى
الصعوبة المادية آنذاك ، لكنت قد اصغيت للمعلم بعناية اكبر . على
اية حال ، بدا المال لي مشكلة بعيدة عني جداً . ومن بين الاشياء التي
قالها المعلم واثارت اهتمامي اكثر من غيرها ملاحظته بأنه لا يوجد
انسان لديه مناعة ضد الاغراء . وطبعاً ادركت تقريباً ما رمى اليه
المعلم . الا انني أردت من المعلم ان يستفيض في الحديث عن هذه
المسألة .

وعقب ذهاب الكلب والصبيان ، عاد الهدوء الى الحديقة الواسعة

مرة أخرى . وجلسنا ساكنين للحظة اولحظتين وكأن الصمت من حولنا أحالنا جماداً . وشيئاً فشيئاً بدأت السماء الجميلة تفقد تألقها وبدت امامنا اوراق القيقب الخضِر الرقيقة ، الشبيهة بقطرات ماء على وشك السقوط من الاغصان ، وهي تصير غامقة اللون . ومن الطريق الذي تمتنا في اسماعنا صوت عجلات عربية . فتصورت ان رجاً من القرية ، قد حمّل عربته بالنباتات والخضراوات وكان في طريقه الى سوق موسمهِ لبيعها هناك . ونهض المعلم وكأن الصوت ايقظه من تأمله . قال : «هيا بنا نذهب الى البيت . لقد صارت النهارات اطول . لكن يبدو ان الغسق يخيم بسرعة عندما نكون جالسين بكسل .»

كان ظهر سترة المعلم متسخاً ، فنظفته بيدي .

«شكراً . اتلاحظ آثار راتينج عليها؟»

«كلا . انها نظيفة تماماً الآن .»

«لقد خيبت هذه السترة لي مؤخراً . واذا ما اتسخت فستويخني

زوجتي . شكراً.»

وفي طريق نزولنا على الدرب معتدل الانحدار مررنا بالبيت مرة

أخرى . وفي هذه المرة رأينا سيدة البيت في الرواق الامامي وهي تَلْف

خيطةً حول بكرة بمساعدة فتاة شابة في سنتها الخامسة عشر او السادسة

عشر تقريباً . وتوقفنا عند حوض الاسماك الذهبية الكبير وقلنا :

«شكراً لك على ضيافتك .» فقالت المرأة : «العفو» وشكرتنا على

القطعة النقدية التي تسلمها صبيها .

وبعد ان مشينا مئات قليلة من الياردات عن البوابة ، سألت المعلم

فجأة: «يامعلم، ماذا كنت تقصد عندما اشرت الى ان اي انسان سينقلب شريراً فجأة اذا ما تعرض للاغراء؟»

«ماذا اقصد؟ لا يوجد معنى عميق في اشارتي . انت تفهم، انني لم اكن انظر. انني كنت اذكر حقيقة جلية فقط .

«لا اريد ان انكر بانها حقيقة . الا ان ما اريد ان اعرفه بالضبط هو نوع الاغراء الذي اشرت اليه .»

وبدأ المعلم يضحك كأنه لم يعد راغباً في مناقشة المسألة جدياً .

«المال طبعاً . اعط نبيلاً مالاً، وسوف يقلب وغداً في التو.»

كان جواب المعلم المبتدئ محبطاً لي . ورفض ان يكون جاداً، فتخدشت كبريائي . وبمظهر غير مكترث بدأت احث الخطي مسرعاً وخلفت المعلم ورائي .

«هيه!» نادى علي . قال: «أترى؟»

«ماذا، سيدي؟»

«اشارة بسيطة واحدة كما ترى، وموقفك العام نحوي قد تبدل.»

فأستدردت لانتظر المعلم، وحينما تحدت سألته نظرتة على عيني .

في تلك اللحظة كرهت المعلم * . وبعد ان عاودنا سيرنا جنباً

لجنب، امتنعت من توجيه الاسئلة التي كنت اريد السؤال عنها . لم استطع ان اتبين ان كان المعلم قد عرف اولم يعرف ما هية شعوري .

على اية حال، بدا لي انه لم يهتم كثيراً بتصرفي . وبينما كان يسير صامتاً الى جانبي، لم يغير من وضع شخصيته المسترخية المألوفة .

فحقدت . وأردت ان أقول شيئاً يقلل من شأنه . قلت: «يامعلم!»

«نعم . ما الأمر؟»

«يامعلم ، لقد انفعلت قليلاً حينما كنا نستريح في المشتل الزراعي ، اليس كذلك؟ وانت نادراً ما تنفعل ، واشعر اليوم بأنك قد سمحت لي ان الاحظ حدثاً غريباً نوعاً ما .»

لم يجب المعلم فوراً . وظننت ان ملاحظاتي ربما كان لها تأثير فيه ، لكنني في الوقت نفسه لم يكن بيدي الا ان اشعر بأحباط قليل . ففكرت ان لا ازيد القول . وفجأة ترك المعلم المشي بجانبي وتوجه نحو شجيرة مقصوفة بأتقان وبدأ يريق الماء . فوقفت بحمق وانتظرته . ولما شرعنا بالسير مرة ثانية قال : «اعذرني» فنزعت كل فكرة بأن احاول اهانتة . ورويداً ورويداً صار الطريق اكثر اكتظاظاً . والحقول المكشوفة التي كانت مرئية من قبل ، توارت الآن تماماً وراء صفوف المنازل .

ومع ذلك بقيت هناك مشاهد ذكرتنا بالريف الهادىء منها : نمو البازلاء حول عيدان الخيزران في الحدائق الخاصة ، والاحتفاظ بالدجاج في حظائر مسيجة بالشباك السلكية . ومررنا بموكب لانهاية له من العربات التي تجرها الخيول وهي راجعة من المدينة . ولما كنت ميالاً للاستغراق بتفصيلات المشهد من حولي كلها ، فسرعان ما توقفت عن الاستياء مما قاله المعلم . في الحقيقة كنت قد نسيت كلماته لي كلياً ، حينما قال فجأة :

«هل بدوت منفعلاً في نظرك عندما كنا في المشتل؟»

«ليس تماماً ، ربما قليلاً .»

«انا لاجد بأساً ابدأ بقولك انني كنت منفعلاً جداً . انت تلاحظ بأنني

انفعل حقاً عندما ابدأ الحديث عن المواريث وما شابه . من الجائز ان لا يبدو الامر كذلك بالنسبة لك ، اما انا فأنطوي على طبيعة حقود . ولم أنس بعد ما قاسيت من اهانات ومظالم قبل عشر سنوات - وحتى قبل عشرين سنة . وكانت كلمات المعلم حتى اقل كبحاً او تحفظاً من الكلمات التي قالها في وقت سابق من ذلك اليوم . ولم تدهشني لهجة صوته بقدر ما ادهشني الذي قاله بالفعل . بالطبع لم يخطر على بالي ابداً اني سوف اسمع اعترافاً كهذا من المعلم او ان اتصور وجود أثر من التشبث بالحقوق في شخصيته . كنت اعتقد بأنه شخص ضعيف نوعاً ما . وقد احببت المعلم لضعفه هذا ، سواء كان ضعفاً حقيقياً او متخيلاً ، بشكل لا يخل بحبي لفضائله . ومع انني حاولت افتعال مشاجرة معه قبل وقت قصير ، بدأت اشعر بالصغار . قال المعلم : « في وقت ما خدعت . والادهى ، ان اقاربي بالدم هم الذين خدعوني . لن انسى ذلك ابداً .

وحيثما كان والدي لا يزال حياً يُرزق ، فقد تصرفوا نحوي بحشمة . لكنه ما ان مات حتى انقلبوا اوغاداً . ولم أزل احمل اثر هذا الحيف الذي الحقوه بي في الشباب . وسأظل احمله معي ، كما اعتقد ، الى ان اموت . وما فعلوه بي سوف اتذكره ما دمت حياً . الا انني لم انتقم لنفسي منهم . غير انني عندما افكر في ذلك ، اجد انني قد اقترفت ما هو اسوأ من الانتقام . اذ لم اكتفِ بصب الحقد عليهم وحدهم ، بل على الجنس البشري قاطبة . اظن في هذا كفاية . » ولم تنبس شفطاي حتى بكلمات موسية .

ولم نستفص بالحديث عن هذا * الموضوع في ذلك اليوم . لقد المرعبي طريقته نوعاً ما ، ثم انني لم ارد ان اسأله اية اسئلة أخرى . ولما وصلنا حدود المدينة الاصلية ، استقللنا تراماً . ولم يبادل احدنا الآخر الحديث الا لماماً اثناء العودة . وبعد وقت قصير من نزولنا من الترام المترقنا . وفي غضون ذلك الوقت تبدل مزاج المعلم . وقبل ان يفارقني ، قال بلهجة اكثر ابتهاجاً من المؤلف : «سوف تكون طليقاً حقاً من الآن لغاية حزيران ، اليس كذلك؟ ربما لن تكون طليقاً ابداً في حياتك مرة ثانية من عبء المسؤولية . فمتع نفسك بقدر ماتستطيع .» فكشرت له وانا ارفع قبعتي تحية له . ولما نظرت الى وجهه ، تساءلت كيف ان رجلاً مثله يطيق ان يحمل هذا الحقد الكبير في قلبه . الا ان عينيه وشفتيه الباسمات لم تنما عن كراهيته للبشر .

وهنا يطيب لي ان اقول بأنني أفدت فائدة لا بأس بها من محادثاتي مع المعلم . ومع هذا ، وفي كثير من المرات ، وجدت المعلم غير أهل لأن يكون ناصحاً مخلصاً . وشعرت غالباً بأنه كان يتقصد الغموض : وهذا هو ما كان عليه احساسي بخصوص محادثة ذلك اليوم . ولكوني شاباً متبلد الذهن وجافاً ، فقد اخبرت المعلم ، يوماً ما ، بأنني وجدت محادثتنا غير حاسمة . ضحك المعلم ، وقلت : «ما كنت لأهتم كثيراً ، لو انني ظننت بأنك لم تكن شخصاً بليداً لاتدرك بأن ملاحظاتك غير واضحة لذي غالباً . لكنني اهتم لانني اعرف بأن في طوقك ان تخبرني بالمزيد اذا شئت .»

«لم اخفِ عنك شيئاً .»

«نعم، سيدي، هذا ماتفعل.»

«يبدو أنك غير قادر أن تميز بين آرائي في الحاضر وما مرّ بي من أحداث في الماضي. أنا لست ذلك المفكر الذي تتصوره، إلا أنني لا أربغ أن أخفي ما أملك من آراء قليلة عن الآخرين. وليس عندي سبب لذلك. أما إذا كنت تقصد أنني ينبغي أن أخبرك بكل شيء عن ماضي، حسناً. فتلك قضية أخرى تماماً.»

«أنا لا أتفق معك. وأنا أؤمن آراءك لأنها ثمرات تجربتك. ولولم تكن آراؤك كذلك، لما كانت لها قيمة. وفي هذه الحالة تكون آراؤك كالدمى الخالية من الروح.»

فرمقني المعلم بدهشة. ولاحظت أن يده التي كان يمسك بها سيكارة كانت ترتجف قليلاً. قال:

«من المؤكد أنك شاب جريء.»

«كلا، سيدي. أنا، بكل بساطة، إنسان صريح. وبالصرحة كلها، أربغ أن اتعلم عن الحياة.»

«حتى للحد الذي انبش فيه ماضي؟»

وبعثة انتابني خوف. وشعرت كأن الرجل الجالس قبالي كان مجرماً بشكل ما، وليس ذلك المعلم الذي كنت أكن له الاحترام. كان وجه المعلم شاحباً. قال: «أني لا أعجب أن كنت صريحاً حقاً. وبسبب ما وقع لي، صار من أمري أن أشك بكل إنسان. وفي الحقيقة، أنني ارتاب فيك أيضاً. لكن لسبب ما لا أربغ أن أشك فيك. ويجوز أن سبب ذلك هو أنك تبدو بسيطاً جداً. وقبل أن أموت،

يطيب لي ان يكون لي صديق واحد يستطيع ان اثق به حقاً. انني لاتساءل اذا كان ممكناً ان تكون ذلك الصديق. هل انت مخلص حقاً؟» قلت: «ايها المعلم، لقد كنت صادقاً معك، ما لم تكن حياتي كلها اكذوبة.» وبينما تحدثت، ارتعش صوتي. قال المعلم: «حسناً جداً. اذن سوف اخبرك. سوف اخبرك بكل شيء عن ماضي. لكن تذكر، كلا، لاتهتم بذلك ابداً. في الواقع دعني احذرك. ان معرفتك بماضي ربما لاتفيدك شيئاً. ومن الخير لك الا تعرف. وانا لااستطيع ان اخبرك عنه بعد. ولا تتوقع مني ان اخبرك الى ان يحين الاوان المناسب لذلك.»

ورجعت الى مسكني بشعور ثقيل الوطأة في داخلي، كالشعور بقدر

(مشؤوم).

*

من الواضح، ان اساتذتي لم يكونوا رأياً عالياً عن اطروحتي كما فعلت انا. ومهما يكن، فقد سمحوا بتخرجي في ذلك العام. وفي يوم حفل التخرج، اخرجت من حقيبتني بدلتني الشتوية القديمة البالية وارتديتها. وفي قاعة التخرج بدا الجميع من حولي منفعلين. وانتاب بدني احساس كأنه في غلاف مختوم من الصوف السميك. وبسرعة صار المنديل الذي كنت أمسك به بيدي يقطر ماء. وحال انتهاء الحفل سارعت بالعودة الى مسكني وتعريت من ملابسي تماماً. وفتحت نافذة غرفتي التي كانت في الطابق الثاني وتخيلت ان شهادتي في الدبلوم منظار استطيع به ان اجري مسحاً وان ارى اوسع ما استطيع من العالم. ثم القيت بالشهادة على المنضدة وتمددت على الارض في وسط

الغرفة . وفي هذا الوضع عاد بي التفكير الى الماضي وحاولت ان اتصور المستقبل الذي سأكون عليه . وفكرت بشهادة الدبلوم الراقدة على المنضدة . ومع انها ظاهرياً ذات أهمية في كونها علامة لبداية حياة جديدة ، الا انني لا استطيع ان اخفي شعوري بأنها لا تزيد عن كونها قصاصة ورق لا معنى لها .

وفي تلك الامسية ذهبت الى بيت المعلم لتناول العشاء . وكنت قد وعدته مسبقاً انني اذا ما تخرجت فسوف اتناول العشاء معه وليس مع احد سواه .

وبهذه المناسبة وضعت المائدة في غرفة الاستقبال بالقرب من الشرفة . كانت المائدة مغطاة بشرشف مطرز ومنشئ ، وقد انعكس النور الكهربائي عنه على نحو بديع . وفي كل مرة تعشيت فيها في بيت المعلم كنت اجد دائماً الاواني وعيدان الطعام موضوعة بأناقة على المناديل الكتانية كالتي يراها المرء في المطاعم الغربية الطراز . ودائماً ما تكون المناديل الكتانية خالية من البقع ، مكوية حديثاً .

وفي احدي المرات قال المعلم : « الشيء نفسه مع الياقات والاكمام . واذا اراد المرء ان يستعمل كتاناً متسخاً ، فالأفضل ان يبدأ بكتان ملون . الا ان الكتان الابيض يجب ان يكون خالياً من البقع دائماً . »

حقاً ، كان المعلم انيقاً جداً . وكانت غرفة مكتبه ، مثلاً ، مرتبة تماماً . وبما انني كنت مهملاً ، فقد أجتذبت اناقة المعلم انتباهي .

وسألتُ زوجته مرة: «هل ان المعلم شديد الحساسية في مسائل الذوق؟»

قالت: «ربما هو كذلك . وحينما يتعلق الامر بالملابس ، فمن المؤكد انه ليس مفرط الحساسية .» قال المعلم الذي كان يصغي لنا ضاحكاً: «لأقل الحقيقة ، انا مفرط الحساسية ذهنياً . وهذا هو سبب قلتي الدائم . ومن المؤذي جداً ان تكون لانسان طبيعة مثل طبيعتي .» فلم اعرف الذي كان يقصده بـ«الذهن المفرط الحساسية» وبدالي ، ان زوجته لم تعرف ذلك ايضاً . لربما كان يقصد ان يقول بانه كان مفرط الاحساس بما هو صحيح وما هو خطأ ، اوربما كان يقصد ان فرط حساسيته بلغ حد الحب المرضي للنظافة .

في تلك الامسية جلست الى المائدة مقابلاً المعلم . وجلست زوجة المعلم بيننا في مواجهة الحديقة . قال المعلم : «تهانينا» ، ورفع قدح الساكي في نخبي . لم تُدخل حركته هذه السرور الى قلبي ، اولاً لانني لم اكن فرحاً جداً بتخرجي وثانياً لأن لهجة صوت المعلم لم تستفزني استجابة فرحة . صحيح انه كثر في وجهي لما رفع قدحه ، وانني لم المس اي تهكم في تكشيرته ، لكن تكشيرته لم تنم عن سعادته بنجاحي . بدالي ان تكشيرته تقول : «يُعدُّ من المناسب ، لسبب غريب ما ، ان نهنيء الناس في مناسبات كهذه المناسبة .»

وكان شيئاً لطيفاً جداً ان قالت زوجة المعلم : «أحسنَتَ صنعاً . لا بد ان اباك وامك سوف يفرحان بالنتيجة .» وبغته ذكرتني هذه الملاحظة بأبي المريض وفكرت : «يجب ان اسرع بالعودة الى البيت وان اريه

شهادتي في الدبلوم .»

«ماذا صار من شأن شهادتك في الدبلوم ، يا معلم؟»
«أنا اتساءل... ألم تحتفظي بها في مكان ما؟» سأل المعلم زوجته .

«اجل . اظن ذلك . لا بد انها في مكان ما في البيت .»
«ولاح لي الا احد منهما يعرف مكان الشهادة بالضبط .»

❖

حينما حان الوقت لتقديم الوجبة الرئيسة بعثت زوجة المعلم بالخادمة التي كانت جالسة الى جانبها الى المطبخ ، وقامت هي نفسها بخدمتنا . واعتقد بأن تلك هي الاصول المتبعة عندما يدعون الاصدقاء ، لا الضيوف الرسميين ، الى العشاء . في المرتين او المرات الثلاث الاولى التي تناولت فيها العشاء عندهم شعرت بقليل من الحرج ، لكن تعلمت أخيراً ان اطلب من زوجة المعلم ان تعيد ملء صحنى دون اقل تردد او ارتباك .

«شايماً؟ رزاً؟ من المؤكد انك تأكل كثيراً .» كانت تقول ذلك احياناً بطريقة طبيعية محببة . اما في تلك الامسية ، فلم افسح لها مجالاً في ان تلحف عليّ . ولكون الوقت صيفاً ، لم تكن لدي شهية قوية .
«لقد انتهيت قبل الاوان؟ من المؤكد انك صرت مقللاً في الاكل هذه الايام؟»

«لولم يكن الجو حاراً ، لكنك قد اكلتُ اكثر كالمعتاد .»
وبعد ان رفعت الخادمة الصحون عن المائدة ، قدمت لنا زوجة

المعلم فاكهة ومثلجات .

«أتدري؟ . . انا التي صنعتها بنفسى .»

وبدا أن لم يكن لزوجة المعلم ما تفعله في البيت، لذلك كان بوسعها، ان شاءت، ان تقدم لضيوفها مثلجات من صنع يديها . لقد تناولت ثلاثة اقداح من هذه المثلجات . سأل المعلم :

«واخيراً قد تخرجت، فما الذي تنوي ان تفعله؟» وحرك وسادته باتجاه الشرفة واتكأ الى الباب المنزلق . فأنهمك ذهني بالتفكير بمسألة تخرجي وكيف انني لم ابدأ التفكير جدياً بقضية مستقبلي . ولما لاحظت زوجة المعلم ترددي قالت : «اتنوي ان تعلم؟» وللمرة الثانية لم ارد مباشرة، فأضافت : «اوربما تعمل في الحكومة؟» فبدأ كلانا، انا والمعلم، بالضحك .

«بصراحة، ليست عندي فكرة . في الحقيقة لم افكر كثيراً بمهنتي . واجد من الصعب ان اقرر اية مهنة سوف تناسبني، لأنني لا املك خبرة.» قالت :

«هذا جائز . لكن لكون اهلك من ذوي اليسر، فانت لاتعبأ بمستقبلك . ولو كنت في ظروف أقل حظاً، لما أخذت الامر مأخذاً سهلاً .»

بالطبع عرفت أنها كانت على صواب . فقد بدأ بعض اصدقائي في الجامعة البحث عن وظائف لهم في المدارس الثانوية قبل ان يتخرجوا بزمان طويل . لكنني قلت : «ربما تأثرت بالمعلم .» قالت : «حقاً . ما كان ينبغي ان تسمح لنفسك بأن تتأثر بهذه الطريقة .» فأبتسم المعلم

بسخرية وقال : «انا لاعبأ ان كان بتأثيري اوسواه . لكن كما سبق لي ان قلت ، يجب ان تتأكد ان اباك سوف يترك لك قدراً معقولاً من المال . والال ن يكون بوسعك ان تظل لامالياً . »

بعدئذ تذكرت حديثنا في المشتل في ذلك اليوم من بواكير مايس حينما كانت الازالية في فترة الازهار . وتذكرت كلماته المنطوقة بأنفعال ونحن في طريق العودة . وفي حينه افزعنتي كلماته ، لكن لجهلي بماضي المعلم ، لم امحضها اهتمامي . قلت : «سيدتي : هل انت والمعلم ثريان جداً؟»

«لماذا تسأل هذا السؤال؟»

«سألت المعلم ولم يجيني . » ضحكت ونظرت الى المعلم .

«ربما تردد ان يخبرك لانه لايمتلك كثيراً . »

«لكنني اريد ان اعرف مقدار المبلغ الكافي في تمكيني من العيش المماثل لعيش المعلم ، حتى اذا ما تحدثت مع ابي عن ميراثي فستكون عندي فكرة ما عما اريد . »

كان المعلم ينظر الى الحديقة ويدخن سيكارته بهدوء . وللمرة الثانية اخذت زوجته الاجابة على عاتقها : «نحن لانملك كثيراً . كل ما في الامر ، اننا نجعل ما لدينا من مال يلبي حاجاتنا . فضلاً عن ذلك ، ما نملك من مال لاعلاقة له بمستقبلك . وانت يجب ان تفكر جيداً بمهنتك . ويجب الاتعيش حياتك في تسكع تام مثل المعلم . »

«انا لاعيش في تسكع تام . »

قال المعلم هذا والتفت قليلاً صوبنا .

*

غادرت بيت المعلم بعد العاشرة بقليل . وبما انني قررت العودة الى الاهل في بحريومين او ثلاثة ايام ، فقد قلت كلمات توديعية قليلة قبل نهوضي عن المقعد .

«سوف لا اراكم رداً من الزمن .» قالت زوجة المعلم :

«اظنك ستعود الى طوكيو في ايلول؟»

لم تكن لدي النية بالعودة الى طوكيو في آب ، في عز حر الصيف ، ولم افكر بالبحث عن وظيفة في اقرب وقت . وفي الحقيقة لم تكن هناك ضرورة لعودتي في ايلول ما دمت قد انهيت الجامعة . لكنني قلت :

«اجل ، ربما سأعود في ايلول .» قالت : «اهتم بنفسك جيداً . من الواضح ان صيفاً رديئاً سيقبل علينا . ولربما سنرحل الى مكان ما ايضاً . ولو فعلنا ، سوف نبعث لك بطاقة بريدية .»

«الى اين تظنين انكما راحلان؟» قال المعلم الذي كان يصغي لنا بتكشيرة غريبة على وجهه : «في الحقيقة نحن لاندرى بأننا سوف نرحل الى اي مكان كان .»

وبينما انا على وشك النهوض ، قال المعلم فجأة : «بالمناسبة ، كيف حال ابيك؟» فقلت له بأنني لا اعلم ، لكنني افترضت بأنه لم يكن بحال اسوأ ، لان الرسائل من الاهل لم تذكر شيئاً عن صحته .

«يجب الا تنظر الى مرض ابيك بأستخفاف . فحالما يصيبه التسمم البولي سوف ينتهي .»

لم تكن لدي فكرة عن التسمم البولي . فالطبيب الذي رأيت في اثناء

العطلة الشتوية، لم يقل شيئاً عن هذا بكل تأكيد. قالت زوجة المعلم: «حقاً يجب ان تُعنى بها عناية فائقة. واعلم، عندما يصل التسمم الدماغ، فلا يبقى هناك أمل. وليس في الامر ما يضحك.» وكنت قد ابتسمت ابتسامة حائرة، غير دارٍ ماذا اقول. قلت: «على اية حال، لاشفاء له من هذا المرض. ولا فائدة تُرجى من القلق.»

قالت بهدوء: «اذا كنت حقاً مستسلماً للقدر، فلا محل لمزيد من القول.»

واخفضتُ عينيها وكأنها كانت تفكر بأمرها التي ماتت بالمرض نفسه. الا انني بدأت اشعر بالحزن في ما يتعلق بمصير ابي. وبغته التفت المعلم نحو زوجته. «شيزو! انني اتساءل: هل ستموتين قبلي؟» «لماذا؟»

«لماذا؟ انني اتساءل فقط. ام انني سأموت قبلك؟ يبدو ان النساء يعمرن اكثر من ازواجهن.» «ربما، لكن كيف يستطيع المرء ان يتأكد؟ طبعاً، ان الرجال اكبر عمراً من زوجاتهم عادة.»

«هكذا تفكرين اذاً، فالازواج يموتون قبل زوجاتهم. في هذه الحالة، انا موقن بالرحيل عن هذا العالم قبلك. اليس الامر كذلك؟» «كلا. ابدأ. انت حالة مختلفة.» «حقاً؟»

«انت تتمتع بصحة جيدة. ولم تمرض الا نادراً. ولا ريب، سأكون
انا التي ترحل قبلك .
«هل انت متأكدة؟»
«اجل . طبعاً .»
نظر المعلم الي . فأبتسمت . ثم استأنف قائلاً:
«لكن اذا مت قبلك ، ماذا ستفعلين؟»
«ماذا سأفعل . . . ؟»

تلكأت زوجة المعلم . وللحظة بدت خائفة وكأنها رأت بعين خيالها
لمحة موجزة لحياة الاسى التي ستحيها بعد رحيل المعلم . لكن ما ان
رفعت بصرها مرة ثانية حتى تبدل مزاجها . وقالت بمرح : «سوف
اهدهد النفس بأن ، الموت يأتي الي المسنين والشباب على حدٍ
سواء ، كما يقول المثل .» وحينما قالت هذا نظرت الي قاصدة .

*

كنت على وشك ان اغادر عندما بدأ الحوار ، الا انني قررت البقاء
فترة اطول في صحبة الزوجين . سألني المعلم :
«ماذا تظن؟»

من ذا سيموت قبل غيره؟ من الواضح ، كان هذا سؤالاً لا يستطيع
الاجابة عليه بذكاء ، وعليه ابتسمت قائلاً:
«انا لا اعرف ما هو المقدر لك من فسحة الحياة!»

«انها بالتأكيد مسألة قضاء وقدر ولا شيء سوى ذلك .» قالت زوجة
المعلم : «اننا حينما نولد يكون قدراً علينا ان نعيش عدداً معيناً من

السنين . هل تعلم ان والدي المعلم قد ماتا في وقت واحد تقريباً؟
« في اليوم نفسه؟ »
« كلا . ليس في اليوم نفسه . لكن احدهما مات بعد الآخر بفترة قصيرة . »
هذا الشيء ، لم اكن اعرفه . وحسبته امرأ غريباً نوعاً ما .
« وكيف حدث انهما ماتا في وقت واحد؟ »
وبينما أوشكت زوجة المعلم ان تجيب على سؤالي ، قاطعها زوجها:
« كفك حديثاً في هذا الموضوع . لافائدة منه . »
واحدث المعلم بمروحة اليدوية اقصى ما استطاع من ازيز . ثم استدار نحو زوجته مرة ثانية .
« شيزو ، سيكون هذا المنزل ملكاً لك بعد وفاتي . »
ضحكت زوجة المعلم .
« يجدر بك ان توصي لي بالارض ايضاً . »
« لا استطيع ان اعطيك الارض لانها لاتعود لي . غير ان كل ما املك هو لك . »
« اشكرك جداً . لكن اية فائدة سوف اجنيها من الكتب الاجنبية التي تتركها لي؟ »
« بمقدورك ان تبيعها الى اصحاب مكتبات الكتب القديمة . »
« وماذا احصل من بيعها لو فعلت؟ »
لم يرد المعلم . وواصل الحديث عن موضوع موته . وطوال الوقت

بدا لي ان موته قبل زوجته مسألة مفروغ منها في نظره . في البداية بدا انها وطدت العزم على النظر الى الموضوع بروح عابثة . لكن في الاخير، بدأ الحديث يسحق قلبها النسوي الحساس .

«الى متى سوف تواصل القول : عندما اموت، عندما اموت، ؟ بحق السماء، ارجوك الاتقول : عندما اموت، مرة ثانية . فمن النحس ان نتحدث هكذا . فعندما تموت سأفعل ما ترومه مني . الى هنا، لنضع حداً لهذا الكلام .»

استدار المعلم صوب الحديقة وضحك . ولكي يسري عنها، اسقط الموضوع . ولما تأخر الوقت، نهضت لكي ابارح المكان . فراقني المعلم وزوجته الى القاعة الامامية . قالت : «أحرص على العناية بأبيك .»

اما هو فقال : «اذن، حتى ايلول .»

فودعتهما وخطوت خارجاً من المنزل . وكانت توجد شجرة كثة ما بين المنزل والبوابة الخارجية . وفي سُدْف الظلام مدّت اغصانها كأنها تعترض سبيلي . ونظرت الى شكل الاوراق المعتم وفكرت بالازاهير الفواحة التي ستفتح عليها في الخريف . وقلت لنفسني بأنني صرت أعرف هذه الشجرة جيداً، وانها غدت في ذهني جزء غير منفصل عن بيت المعلم . وبينما وقفت امام الشجرة مفكراً بالخريف القادم الذي سأعود فيه للمشي في هذا الممرمة ثانية، انطفأ نور الرواق فجأة . ومن الواضح ان المعلم وزوجته قد ذهبا الى غرفة نومهما . فخرجت الى الشارع المظلم لوحدي .

لم ارجع الى سكني مباشرة . كنت اريد شراء اشياء قليلة قبل ذهابي الى البيت ، كما شعرت بأني بحاجة الى المشي بعد وجبة العشاء الدسمة التي تناولتها . فيممت شطر الجزء الصاخب من المدينة . وهناك ، كان الليل قد حلّ تَوّاً . وكانت الشوارع مكتظة بالرجال والنساء الذين بدا انهم قد خرجوا دون هدف معين . والتقيت بصديق جامعي كان قد تخرج في هذا اليوم ايضاً . فألحّ علي بأن ادخل حانة معه . وهناك في الحانة كان يجب ان اجلس واصغي لزميلي المتخرج الذي كان حديثه ذا رغبة كرهوة البيرة . ولما عدت الى غرفتي كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل .

*

لقد طلب مني اهلي ان اشترى لهم حاجات قليلة قبل مغادرتي طوكيو، لذلك امضيت اليوم التالي متسوقاً على الرغم من حرارة الجو . في ذلك الصباح ، وبينما شرعت بقضاء حاجاتي وجدت نفسي متضايقاً جداً من سيرتي في تلك الشوارع المزدحمة في مثل هذا اليوم الحار . ولما جلست في الترام وجففت العرق عن وجهي بدأت اكره اهل الريف الذين يزعجون دائماً الآخرين ، الاكثر انشغالاً منهم ، بطلباتهم المزعجة .

لم اكن انوي ان امضي الصيف بالتسكع . وقد باشرت باعداد نوع من المنهاج اليومي الذي صممت على اتباعه حين عودتي الى الاهل ، لذلك كان يجب ان اشترى كتباً معينة . فقصدت مكتبة (ماروزين) ، ربما انني كنت مستعداً لقضاء نصف النهار فيها اذا اقتضى الامر ، فقد

تفحصت جميع الكتب التي تناولت موضوع دراستي بعناية .
ومن الحاجيات التي طلب مني شراؤها والتي سببت لي ازعاجاً
كبيراً هو القَمِيصُ^(١) . كان مساعد صاحب المحل على استعداد كافٍ
ليعرض عليّ ان ارى ما اشاء من انواعه، الا انني وجدت من الصعوبة
بمكان ان اقرر النوع الذي يجب ان اشتريه . ثم ان الاسعار كانت
كبيرة التفاوت . وظهر ان الانواع التي حسبتها رخيصة كانت غالية
جداً، والانواع التي بدت غالية كانت رخيصة جداً . ولم استطع ان
ادرك بالضبط ما الذي جعل قَمِيصاً ما اجود من غيره . وندمت لانني لم
اطلب الى زوجة المعلم ان تشتري لي واحداً منها . واشترت حقيبة
ايضاً . وبالطبع كانت رخيصة ومن صنع ياباني . بيد انها كانت تحتوي
على تركيبات معدنية تشع بريقاً، مما يجعلها ذات تأثير يأخذ بالباب
اهل الريف . وكانت امي قد طلبت اليّ في احدى رسائلها ان اشتري
مثل هذه الحقيبة لنفسي اذا ما تخرجت، لكي يتسنى لي ان اعود بها
الى الاهل وهي محشوة بالهدايا . لقد ضحكت عندما قرأت الطلب .
كنت افهم دوافع امي ولم اكن قاسياً اذ وجدت الطلب مضحكاً .
بعد ذلك بثلاثة ايام تركت طوكيو، حسب القرار الذي اتخذه عندما
استأذنت المعلم وزوجته . لم اكن شديد القلق بخصوص والذي على
الرغم من التحذيرات التي طرحها المعلم عن حالته المرضية منذ فصل
الشتاء . في الواقع شعرت بالاسى على امي ، لانني اعرف ان حياتها

١- كساء زينة يُمَلَأُ به صدر الفستان المقترح

بعد وفاة ابي ستكون ملامى بالوحدة . ومما لاريب فيه انني فكرت بأنه بات محتماً ان يموت والدي عن قريب . وفي رسالة لاخوي الاكبر في (كاوشو) قلت بأنه لم يبقَ أمل في استرجاع ابي لعافيته السابقة . وفي رسالة أخرى نصحته بالعودة الى البيت في ذلك الصيف اذا كان ممكناً، ليرى ابي قبل ان يموت . وطفح بي الكيل فأضفت بأنفعال عاطفي نوعاً ما، بأننا، نحن اولادهم ، يجب ان نشعر بالرثاء لحال هذين العجوزين اللذين قضيا حياة وحدة في الريف . حينما كتبت هذه الرسائل كنت صادقاً تماماً . لكن بعد كتابتها تغير مزاجي .

في القطار فكرت بما انا عليه من تقلب . وكلما زدت تفكيراً بالامر كلما بدوت اكثر طيشاً، ولم أعد راضياً عن نفسي . بعدئذ فكرت بالمعلم وزوجته، وبالامسية الاخيرة التي تعشيت فيها معهما . وتذكرت قول المعلم : «مَنْ منا سيموت قبل غيره؟» وفكرت : «كيف نستطيع اي انسان ان يجيب على هذا السؤال؟ واذا كان المعلم يعرف الجواب ، فماذا سيفعل؟ وماذا ستفعل زوجته ، لو عرفت؟ لربما سيتصرفان كما لو انهما لايعرفان بالضبط . اجلس هنا، قانطاً، وأنا اعرف بان ابي في انتظار الموت»

عند ذلك شعرت بياس الانسان وتفاهة حياته .

انا ووالدي

ولما وصلت البيت أدهشني انه لم يبد تغيير كبير على صحة أبي في
غضون الأشهر التي كنت فيها غائباً . قال : «ها قد عدت . كم سرني
انك أستطعت ان تتخرج . أنتظرنى لحظة . سأذهب وأغسل وجهي . »
لقد وجدته في الحديقة . كان يرتدي قبة قشبية ، ربط بها منديلاً
وسخاً ، شيئاً ما ليقى رقبته من حر الشمس . وعندما مشى باتجاه البئر
الواقعة خلف البيت ، رفرف المنديل مع رفرقة النسيم .
لقد كنت انظر الى التربية الجامعية بكونها شيئاً اعتيادياً ، الا ان
سرور ابي غير المتوقع بتخرجي ترك في نفسي اثراً . وكرر قائلاً :
«انا مسرور لانك قدرت ان تتخرج . » وفي باطني ، قارنت سرور
ابي التلقائي بطريقة المعلم التي هنأني فيها على مائدة العشاء في تلك
الليلة . وكنت أحمل اعجاباً بالمعلم الذي يكن احتقاراً خبيثاً لأشياء
مثل الدرجات الجامعية ، اعظم مما أحمله لابي الذي بدا انه يقدرها
أكثر مما تستحق . وفي الاخير بدأت اكره ريفية ابي الساذجة .

وتمتت :

«يجب الا تخلق ضجة حول شيء تافه من قبيل الدرجة الجامعية .
ناهيك ، ان مئات الطلبة يتخرجون في كل عام .»
فنظر الوالد اليّ بغرابة .

«بصراحة انا لست فرحاً بتخرجك ، انت تعرف . بالطبع انا فرح
بأنك تخرجت . لكنك لاتعرف الاسباب التي تجعلني اقول بأنني
فرح . ليتك تستطيع ان تفهم . .»

فسألته عمّا يقصده . تردد في اخباري ، لكنه في النهاية قال :
«أسمع . انا فرح من اجل نفسي . كما تعلم انا رجل مريض .
ففي الشتاء الماضي ، حينما جئت الينا ، كنت مقتنعاً أنني لن أبقى
على قيد الحياة اكثر من ثلاثة او أربعة شهور . وبفضل العناية الالهية
لازلت حياً ومتماسكاً على نحو مريح . اما الآن ، فأنت قد تخرجت .
وانا مسرور لانك قد استطعت ان تتخرج قبل وفاتي وانا مازلت اتمتع
بالعافية ، وكان هذا بفضل ما بذلته انت من جهد في دراستك . ومن
المؤكد ، بحكم كوني اباك ، لذي السبب بأن افرح . وبالطبع ، لديك
أفكار اكبر من أفكاري ، وانه ليشايقك ان تراني اخلق ضجة حول امر
ثانوي كتخرجك . لكن حاول ان تنظر الى الموضوع من وجهة نظري .
وانا لست فرحاً من اجلك بقدر ما انا فرح من اجل نفسي . هل تفهم؟»
لم انطق بحرف . ولم تكن هناك كلمة اعتذار بوسعها ان تعبر عما
شعرت به . وظل رأسي منصّباً بخجل عميق . واعتقاداً منه بأنه سوف
يموت قبل تخرجي ، فقد ظل ينتظر موته بهدوء . وكنت أغبي من ان

ادرك ماذا كان يعنيه تخرجي بالنسبة له وهو باق على قيد الحياة .
فأخرجت شهادتي في الدبلوم من حقيبتى وأريتها لابي وأمي بحرص
كبير . كانت مبعجة على نحو سيء لانني لم اغلفها جيداً . قال
والدي :

« كان يجب ان تطويها على شكل اسطواني وان تحملها بيدك . »
وقالت امي وهي جالسة الى جانبه :
« كان يجب ان تحفظها بغلاف متين . »

نظر ابي اليها لوقت قصير ونهض واتجه نحو الركن المزخرف من
الغرفة ووضعها في مكان يستطيع كل واحد ان يراها فيه . ومن المألوف
انه كان يجب ان اقول شيئاً ما ، لكنني في تلك اللحظة ، لم اكن في
وضعي الاعتيادي . ولم تكن لدي الرغبة بأن اناقش والدي . فالتزمت
الصمت وتركت ابي يفعل ما شاء . كانت الشهادة من ورق متين ، وبما
ان طي لها قدر بعجها فقد حال ذلك دون ثباتها ، وكانت تهاوى في
كل مرة حاول فيها ابي تشيبتها .

*

انتبذت بأمي جانباً وسألته عن مرض ابي .
« هل يصح لأبي ان يبذل جهداً؟ خروجه للحديقة مثلاً . . . »
« يبدو انه لا يعاني من شيء الآن . ربما قد شُفي . »

كانت امي من النوع المتفائل وغير القلق على نحو مدهش . وكما
هي الحالة المألوفة مع كثير من النساء اللواتي يقمن بين الغابات
والحقول بعيداً عن المدن ، فقد كانت امي جاهلة تماماً بمثل هذه

المسائل . وانني لاتذكر كيف انها دُهِشت وفزعت ، لكن بشيء من القلق ، عندما أُغمي عليه .

« غير ان الطيب حذرنا في حينه ان مرض الوالد خطر . »

« ولهذا السبب أظن ان لاشيء اغرب من جسد الانسان . انظر اليه الآن . . انه معافي تماماً على الرغم من قلق الطيب . في البداية كنت قلقة وحاولت ان أبقيه ساكناً . لكنك تعرف وضعه . فقد صمم بأنه سليم ولم يصغ لايما شيء اقول . »

وتذكرت المرة الاخيرة التي جئت فيها الى الاهل وكيف أصراً ابي على مغادرة الفراش . فقد قال بعد ان اتم حلاقته : « انني بصحة جيدة الآن ، وامك تعظم الامور . » وحين تذكرت هذه الحادثة فكرت الالوم على امي . وكنت على وشك أن اقول : « لكن يجب ان تأخذي مرضه مأخذ الجد حتى لورفض ، » لكنني قررت الا أقول شيئاً على الاطلاق . وفكرت ان ليس من العدل ان اقرعها . وعوضاً عن ذلك ، اخبرتها بكل ما اعرف عن مرض ابي . وطبعاً كنت أعرف شيئاً قليلاً اكثر مما اخبرني به المعلم وزوجته . وبدا لي ان امي لم تتأثر او تهتم اهتماماً خاصاً بما قلت . وقد ابدت ملاحظات من قبيل : « هل الامر كذلك؟ هل ماتت السيدة بالمرض نفسه؟ هذا شيء سيء جداً . وكم كان عمرها حين ماتت؟ »

فأقلعت عن اقناع امي بخطورة مرض ابي وقررت ان أتحدث مع ابي . لقد أصغى لي بأهتمام اكبر مما اصغت الي . قال : « طبعاً انت

على صواب . لكن ، على اية حال ، انني أعرف من غيري بجسدي .
فانا اعرف ما ينفعه وما يضره . ومن التجربة وحدها ، ينبغي ان أعرف
كيفية العناية به أحسن من غيري . « ولما أخبرت امي بما قاله ابي
أبتسمت بتهكم وقالت : « أتري ؟ ماذا قلت لك ؟ »

قلت لها : « لكن ، على الرغم مما يقول ، فهو يعدُّ نفسه للموت كما
تعلمين . وهذا هو سبب فرحه حينما رجعت بشهادة الدبلوم من
الجامعة . فقد قال هو نفسه بأنه كان محظوظاً جداً لانني تخرجت وهو
مازال ممتعاً بالصحة وليس بعد وفاته كما كان يخشى . » قالت امي :
« أقواله وأفكاره أشياء مختلفة تماماً . أقول لك ، انه يظن بأنه قد
شُفي . »

قلت : « انني اتساءل ان كنت على صواب . »

اجل . انه ينوي ان يعيش عشر او عشرين سنة أخرى . صحيح ، انه
يقول لي اشياء محزنة أحياناً . فقبل يوم واحد فقط قال لي : « لا يبدو
انني سوف اعيش اطول . ماذا ستفعلين عندما اموت ؟ هل تنوين
العيش لوحدهك تماماً في هذا البيت ؟ »

ومع نفسي تصورت البيت الريفي القديم الواسع خالياً من ابي ،
وتصورت امي تعيش فيه لوحدها . هل من الممكن ادارة البيت من
دونه ؟ ماذا ستفعل امي ؟ ماذا ستقول امي ؟ هل سيكون بمقدوري ان
اترك البيت وأعيش بلا قلق في طوكيو؟ وبينما كنت جالساً هناك ، مقابل
أمي ، بدأت افكر بنصيحة المعلم بأن احاول الحصول على حصتي
من ثروة العائلة ما دام ابي على قيد الحياة .

بعدئذ قالت امي : «لا حاجة للقلق . ومتى مات امرؤأب على ان يقول بأنه سوف يموت؟ وبخلاف ما يقوله ابوك بأنه يتوقع ان يموت قريباً، فمن المحتمل انه سيظل حياً سنوات أخرى من الآن . في الواقع، اننا نحن الواثقون جداً من سلامة صحتنا، من نواجه خطراً حقيقياً .»

وأصغيت الى ملاحظات أمي التافهة في صمت وانا اعجب ان كانت تظن ان افكارها لاتُدحض منطقياً وانها افكار معتمدة على حسابات احصائية .

*

بدأ ابواي يناقشان خططاً لاقامة حفل عشاء على شرفي . ومنذ عودتي كنت في سري أخشى ان تدخل رأسيهما فكرة كهذا . وعلى الفور أعترضت : «من فضلكما، لاتفعلا شيئاً باذخاً كهذا من أجلي .» كنت اكره نمط الضيوف القادمين الى حفل عشاء ريفي . كانوا يأتون وفي ذهنهم هدف واحد الا وهو: ان يأكلوا ويشربوا . كما كانوا من النمط الذي ينتظر بلهفة اية مناسبة توفر لهم كسررتابة حياتهم . ومنذ الطفولة كنت اكره ان اراهم في بيتنا وان اتصرف معهم بأحترام . اما الآن، اذ سيُدعون الى العشاء على شرفي ، فقد شعرت بأن هذا الامر سوف يجعلني أقل وداً لهم لكن كان من الصعب ان اقول لوالدي : «لاتدعوا اولئك السذج المشاكسين الى هنا .» لكنني تظاهرت آنذاك بأنني كنت اكره البذخ في حفل كهذا . قالت امي : «بذخ؟ لا بالتأكيد . فمناسبة كهذه لاتأتي الامرة واحدة في العمر .»

فشيء طبيعي ان ندعوضيوفاً لمشاركتنا الاحتفال . لاتكن منكمشاً
على نفسك . »

ويبدو ان أمي تعطي من الاهمية لتخرجي بقدر ما يتوقع منها ان
تعطي لزواجي . قال أبي : « طبعاً ، لسنا مجبرين على دعوتهم . لكن
اذا لم ندعهم ، فسيكون هناك لغط . »

كان يخشى من اللغط . وكنت على يقين ان جيراننا كانوا يأملون ان
توجه لهم الدعوة ، اما اذا خاب أملهم فسوف يشرعون باللغط . قال
ابي : « نحن لسنا في طوكيو ، كما تعلم . فالريفيون صعبو الارضاء
وسريعو الامتعاض نوعاً ما . » وقالت أمي : « عليك ان تفكر بسمعة أبيك
أيضاً . »

لم يكن بوسعي ان أبقى على عنادي . وبدأت افكر بأن من الافضل
ان اترك لوالدي ان يفعلوا ما يشاء ان .

« اقول فقط بأنكما لستما بحاجة الي ان تفعلوا هذا من أجلي . اما
اذا كنتما خائفين من اللغط ، فالمسألة تختلف طبعاً . ومن انا حتى
ألحف على شيء من الجائز ان يسبب الاذى لكما؟ »

قال ابي ممتعصاً : « انك لتحيرني بجدلك . » وقالت امي : « لم يقل
ابوك بأننا لانقيم هذا الحفل من اجلك . لكن يجب ان تعي أيضاً
واجب المرء تجاه جيرانه . »

كانت امي ، كالنساء جميعاً ، ميالة احياناً الى طرح ملاحظات غير
مترابطة منطقياً . وعلى أية حال ، ففي مجال الهذر كانت اكثر من ندي
لابي ولي معا حتى اذا اتفقنا ضدها . قال ابي : « مشكلة الثقافة انها

تجعل المرء جدلياً .»

ولم يقل كلمة أخرى بعدئذٍ . لكن في هذه الملاحظة البسيطة لاحظت بجلاء نوع ضيقه بي والذي كنت قد لمستته من قبل . ودون ان أدرك بأنني نفسي صعب نوعاً ما ، شعرت بحدة بظلم تعنيف ابي . وفي ذلك المساء حصل تغيير في مزاج ابي . فقد سألتني عن الوقت الذي اراه ملائماً لاقامة حفل العشاء . وكان يعرف بالضبط انني كنت في حينه أمضيتي وقتي بتسكع تام . وعليه كان توجيهه للسؤال بمشابه محاولة لخلق تسوية . فما كان بمقدوري الا ان أتأثر بلطف ابي وان أبدي مزيداً من الطاعة . وبعد مناقشة قصيرة اتفقنا على الموعد . ومهما يكن ، فقبل حلول يوم حفل العشاء وقع حادث مهم . فقد أعلن عن مرض الامبراطور «ميجي» . وقد بلغنا هذا النبأ الذي اعلنته الصحف بين الناس مثل هبة ريح ، فأطاح بجميع استعداداتنا لاقامة حفل التخرج التي كنا قد اتخذناها ، بعد مكابدة ، لاسيما في بيت ريفي بسيط . «اعتقد بان من الافضل ان نلغي حفل العشاء ،» قال ابي عندما قرأ النبأ ، وهو ينظر الي من فوق اطار نظارتيه . بعد ذلك صمت ، وبدالي انه كان يفكر بمرضه . وبالمثل التزمت الصمت وفكرت بالامبراطور الذي كان قد حضر حفل التخرج في الجامعة كما اعتاد ان يفعل في كل عام .

*

أخرجت الكتب من حقيتي وبدأت اقرأ في ذلك البيت القديه الساكن ، والواسع بالنسبة لثلاثتنا . ولسبب ما ، لم أستطع ان اروض

نفسى . هذا بينما كان يسيراً عليّ ان ادرس في وسط ضجيج طوكيو .
ففي الغرفة الصغيرة في الطابق الثاني من القسم الداخلي حيث كنت
استطيع سماع اصوات الترامات المتحركة البعيدة ، لم أجد صعوبة في
التركيز على أيما شيء اقرأ . في الغالب كنت اجد نفسي غافياً فوق
كتبي ، وأحياناً كان يبلغ بي الامر ان أجلب وسادتي واستغرق في
اغفائة حقيقية . وكنت أفيق على صياح حشرات الزيز التي كان يبدو لي
صياحها في البداية جزء من أحلامي ، ثم أستيقظ فجأة استيقاظاً كاملاً
وأجد الصياح الحاد غير مسموع تقريباً . وأحياناً كنت أرقد ساكناً
وأصغى له لدقيقة او دقيقتين ، فيمتلىء قلبي حزناً .

لقد كتبت الى اصدقاء شتى . أحياناً بعثت بملاحظات موجزة
مكتوبة على بطاقات بريدية ، وأحياناً رسائل مطولة . كان بعض
اصدقائي مازالوا في طوكيو ، وكان بعضهم قد رحلوا الى اقاليمهم
النائية . بعضهم ردّ على رسائلي وبعضهم لم يرد . وطبعاً لم أنس
المعلم . لقد كتبت له رسالة مطولة بثلاث صفحات من القطع الكبير
وبخط صغير الأحرف ، وأخبرته بكل ما جرى لي منذ عودتي . وأغلقت
الظرف وتساءلت ان كان المعلم مازال في طوكيو . وفي كل مرة كان
المعلم يرحل فيها مع زوجته ، كان من المعتاد لسيدة في الخمسين من
عمرها ، ذات شعر مقصوص مسدل على غرار تسريحة السيدات من
عمرها ، ان تأتي وترعى المنزل . وفي احدى المرات عندما سألت
المعلم عن تلك السيدة ، سألتني هو بدوره : «من تظنها تكون؟» ولما
قلت بأنني أظنها احدى قريباته ، أجاب : «لكن ليست لدي قريبات .»

في الحقيقة، لقد بلغ الامر بالمعلم ان أغفل تماماً وجود أسرته في اقليمه الام . وظهر ان تلك السيدة كانت قريبة لزوجته المعلم . لقد فكرت بتلك السيدة آنذاك حينما خرجت لارسل الرسالة بالبريد، وتساءلت ان كان لديها الاحساس واللطف بأن توجه الرسالة اليهما، اذا ما كان المعلم وزوجته قد رحلا في وقت وصول الرسالة الى طوكيو. وطبعاً كنت اعلم بأنني لم اذكر شيئاً ذا بال في الرسالة . ببساطة بينت انني كنت في وحدة . وكان املي ان اتلقى جواباً منه، لكن لم يأت ابداً .

ولم يبدِ والدي اهتماماً بالشطرنج بقدر ما فعل في الشتاء المنصرم . وقبعت رقعة الشطرنج في الركن المزخرف والتراب يغطيها . وبدا اكثر هدوءاً من السابق منذ مرض الامبراطور . وفي كل يوم كان ينتظر وصول الصحيفة، وحين وصولها كان هو اول من يقرأها . ثم كان يأتي بها اليّ ويقول: «انظر، هناك مزيد من الاخبار عن صاحب الجلالة اليوم .» ودائماً ما كان يشير الى الامبراطور بلقب، صاحب الجلالة . وقال مرة: «لا اريد ان ابدو غير متسم بالاحترام، لكن يظهر كأن مرض صاحب الجلالة أشبه ما يكون بمرضي .»

واستطعت ان ارى قلقاً عظيماً على سيماه حينما قال هذا، ففكرت مع نفسي : «كم سيطول ذلك قبل ان يُغْمى عليه مرة ثانية؟» قال ابي : «لكنني واثق ان صحة صاحب الجلالة سوف تتحسن . اجل . فاذا كان شخص تافه مثلي يستطيع ان يقوم ويقعد مثلما افعل . .» على اية حال، بالرغم من محاولاته أن يكون متفائلاً، فقد كان لدي شك بأنه

كان يخشى على نفسه من سوء المصير. فقلت لأمي: «انت تدرين، ان والدي قلق جداً من مرضه. فهو لا يبدو كأنه يتوقع ان يعيش عشر او عشرين سنة أخرى، كما يبدو لك انه يفكر بمثل ذلك.» وظهر لي ان كلماتي اربكت امي وقالت: «لماذا لاتقنعه بأن يلاعبك الشطرنج؟» فجلبت رقعة الشطرنج ونفضت عنها التراب.

*

ساءت صحة أبي بأطراد. وان القبعة القشية القديمة المرتبطة بمنديل والتي بهرتني جداً حين رأيتها على رأس ابي لأول مرة، كانت مطروحة جانباً الآن. وفي كل مرة كنت اراها مطروحة على الرف المسود بفعل الدخان، أشعر بالحزن عليه. قبل ذلك، حينما كان نشطاً، كنت أتمنى الا يكثر من الحركة هنا وهناك. اما الآن فقد كرهت ان اراه يفقد قوته القديمة وان أجده جالساً في البيت بهدوء. وغالباً ما تحدثت مع امي عن صحة ابي. وفي مرة قالت أمي: «انها حالة نفسية. وهو مكتئب.» والظاهر انها كانت تظن ان اكتئاب ابي سببه مرض الامبراطور. لكنني لم اتفق معها. قلت: «لااعتقد انها حالة نفسية حقاً. بل اعتقد انه يشعر بالمرض فعلاً.»

فيما بعد بدأت افكر جدياً بأستدعاء طبيب أخصائي للمرة الثانية لكي يفحص أبي. قالت أمي: «ليس بوسعك ان تؤنس نفسك كثيراً في هذا الصيف. اننا لم نحتفل حتى بتخرجك. فأبوك منحرف الصحة، والآن، صاحب الجلالة. . كان الاحرى بنا ان نقيم حفل عشاء بعد رجوعك مباشرة.»

لقد رجعت الى بيتي في الخامس او السادس من تموز، وبعد عودتي بأسبوع تقريباً بدأ والداي يناقشان امور العشاء . حينذاك قررا اقامة الحفل في الاسبوع التالي . ومن الجائز القول بأنني قد جُنبت التزاماً اجتماعياً غير محبب لنفسي ، بفضل تصرفات ابوي المتباطئة مثل بقية الريفيين الآخرين الذين لا يتعجلون الامور . غير ان امي ، التي لم تفهمني ، لم تستطع ان تلاحظ ذلك . ولما وصلت الصحيفة المعلنه عن وفاة الامبراطور، قال ابي : «اوه ! اوه !» وبعدئذ : «اوه ! اخيراً مات صاحب الجلالة . انا ايضاً . . . » ثم صمت ابي .

ذهبت الى المدينة لشراء شارة حداد من ورق الكريب الاسود . ولفنا قطعة منه حول الكرة الذهبية في طرف سارية العلم . ومن قطعة كريب أخرى صنعنا شريطاً عرضه ثلاث بوصات وعلقناه بالسارية قريباً من قمته . وكان العلم مشدوداً على نحو مائل بأحدى دعامتي البوابة . كان الهواء ساكناً جداً ، لذا تدلى العلم والشريط بأسترخاء . وفوق البوابة القديمة لبيتنا كان يوجد سقف قشي . وقد اكتسب السقف القشي لوناً رمادياً شبيهاً بالرماد لتعرضه للريح والمطر لسنوات طويلة . وفي مواضع منه ، بوسع المرء ان يرى انه صار غير متساوٍ . خرجت الى الطريق وحدي ونظرت الى العلم المصنوع من قماش الموسلين الابيض وعليه شمس مشرقة حمراء في الوسط . لقد برز العلم والشريط الاسود يتدليان امام خلفية من القش الرمادي الوسخ . وبغته طراً على بالي سؤال سألتني المعلم . سأل : «ما شكل بيتك؟» اتساءل ان كان

طراز المعمار في ذلك الجزء من ريفك مختلفاً عن الطراز عندنا؟» لقد رغبت بان يرى المعلم البيت القديم الذي ولدت فيه . وفي الوقت نفسه شعرت بشيء من الخجل من بيتي .

رجعت الى البيت . جلست الى مكثبي ، وبينما كنت أطلع الصحيفة فكرت بطوكيو البعيدة . وتخيلت هذه المدينة ، وهي كبرى مدن اليابان ، غارقة في الكآبة ، لكنها تموج نشاطاً بالرغم من الظلام . لم يكن فيها سوى نور واحد ، وكان هذا النور قادماً من بيت المعلم . في حينه ما كان بوسعي ان أعلم ان دوامة صامته سوف تبتلع هذا النور أيضاً . وما كان بوسعي ان اعلم بأن هذا النور سوف ينطفئ قريباً ، وسأبقى انا في عالم من الظلام الشامل .

ولما فكرت بالكتابة للمعلم عن وفاة الامبراطور ، التقطت قلمي . وبعد ان كتبت عشرة اسطر او ما يوازيها ، قررت الا اكتب الرسالة قطعاً . فمزقت الورقة ورميت المِزق في سلة المهملات . (لقد فكرت بأن لامعنى لكتابتي له عن هذه المسألة . فضلاً عن ذلك ، كان لدي امل ضعيف بأن اتلقى جواباً منه . .) وفكرت بأنه إذا كتب لي ، فلعلمه بأنني لم ابدأ الكتابة له الا بدافع من الوحدة .

*

وفي وقت ما في اواسط آب ، تسلمت رسالة من صديق لي ، يسألني فيها ان كنت معنياً بالتوظيف في مدرسة ثانوية اقليمية معينة . هذا الصديق ، وبداعٍ من الحاجة ، صرف وقتاً طويلاً في البحث عن وظائف لنفسه . كانت هذه الوظيفة قد مُنحت له ، لكن ، بما انه قبل

عرضاً من مدرسة في اقليم افضل ، فقد كان لطفاً منه ان يبلغني عن هذا الشاغر. وفي الحال كتبت له جواباً بينت له فيه بأنني غير معني بالعرض واقترحت عليه ان يكتب لصديق مشترك لنا كنت اعلم بأنه راغب بالوظيفة التعليمية أشد ما تكون عليه الرغبة .

وبعد ان بعثت الرسالة بالبريد اخبرت ابوي عن الشاغر. فلم يظهر استياء لما سمعا بأنني قررت صرف النظر عنه . قالوا : «بالتأكيد لا ضرورة للذهاب الى مثل هذا المكان . سوف تحصل على عرض أفضل .»

عند ذاك بدأت أظن بأن والديّ يعلقان آمالاً كبيرة على مستقبلي . واتضح لي حالاً ، برغم جهلهما ، بأنهما كانا يتوقعان لابنهما المتخرج من الجامعة ان يجد وظيفة مهمة براتب كبير . قلت : «يجب ان تفهما بأن من الصعب العثور على الوظائف الجيدة في هذه الايام . ارجوان تتذكرا بأن مجال اختصاصي مختلف عن مجال اخي الاكبر . فالامور تبدلت أيضاً منذ ايامه . ويجب الا تفكرا بأنني في الوضع السعيد نفسه الذي كان فيه اخي حينما تخرج .» فقال ابي بشيء من التجهم : «لكنك خريج جامعي علي اية حال . يجب الا تلومنا الآن اذا ما توقعنا لك ان تكون مستقلاً مادياً . انت تعلم ، بأنني اشعر بالارتباك عندما لا املك جواباً لسائل يسأل : الآن وقد تخرج ابنك الاصغر ، ماذا سيعمل ؟»

ان العالم الصغير ، الذي كان ابي جزء منه طوال هذه السنين العديدة ، هو عالمه وليس بوسعه ان يفكر خارج نطاقه . وكان الشيء

الذي اراد مني ان افعله هو ان أجد وظيفة تناسب مؤهلاتي كيلا تثلم سمعته في المجتمع . وهو لم يرغب ان يصيبه الارتباك اذا ما سأله جيرانه : «تظن ان ابنك سيكسب الآن مالاً كثيراً بعد ان تخرج من الجامعة؟» او «ربما، سيكسب مائة يناً تقريباً في الشهر.» اما انا الميال الى التفكير بأن العاصمة هي قاعدة نشاطاتي ، فلا بد ان أبدو مخلوقاً غريباً يمشي بقدمين مقلوبتين في الهواء ، في نظر والدي . في الحقيقة كنت أشعر بنفسني غريباً عن محيطي وان ما افعله هو فعل هذا الكائن . وبدلاً عن ان اشرح لهما بوضوح ماهية مشاعري ، فقد قررت ألا أقول شيئاً . فالفجوة بيني وبينهما كبيرة جداً . قالت امي :

«تلك هي الفرصة التي ينبغي فيه للانسان ان يستفيد فيها من علاقاته بالآخرين . والآن ، وماذا عن ذلك الرجل المعلم ، الذي طالما حدثتني عنه؟»

كان هذا هو مدى فهمها لعلاقتي بالمعلم . وما كان متوقعاً منها ان تفهم . ومع ان المعلم نصحني بأن اتأكد من ميراثي قبل وفاة ابي ، فلم يكن ذلك الشخص الذي يتخلى عن اسلوبه ويساعدني في ايجاد وظيفة . سأل ابي : «ماذا يعمل هذا المعلم؟» فأجبت : «لا يعمل شيئاً .»

وكان الانطباع لذي أنني سبق ان اخبرت والدي بأن المعلم لا يزال عملاً ، واذا لم يكن انطباعي خاطئاً ، فلا بد ان ابي قد تذكر ذلك . قال ابي بشيء من السخرية : «قل لي ، ما هو العمل الذي يزاوله؟ ان المرء ليحسب ان رجلاً مثله ، ممن يبدو انك تكن له احتراماً عالياً ، لا بد ان

يجد شغلاً . »

ان ما اراد ان يقوله حقاً ، كما بدا لي ، هو ان الرجل الذي يستحق ملحه ، هو من يجد عملاً نافعاً لنفسه ، وان من لا يعمل شيئاً نافعاً ابداً سوف يقنع بحياة التسكع . واستأنف ابي : « صحيح اني لا اكسب راتباً ثابتاً ، لكن يجب ان تعترف بأنه حتى الانسان البسيط مثلي يجد ما يفعله . ما من احد يستطيع القول إنني لا افعل شيئاً . » وبقيت ملتزماً الصمت .

قالت امي : « اذا كان هذا الرجل بارعاً كما تقول ذلك عنه ، فأنا واثقة بأنه سوف يجد لك عملاً . هل سألته ؟ »

قلت : « كلا . » قالت امي : « حسن . هذا لا ينفع . لماذا لا نسأله ؟ »

اكتب اليه رسالة . »

« اجل . » أجبت بتور وغادرت الغرفة .

*

كان جلياً ان ابي يخشى من مرضه . لكنه سعى الى ان يكتفم مخاوفه في نفسه ، وفي كل مرة كان الطبيب يأتي اليه ، لم يضايقه بأسئلة لاجدوى منها . وظل الطبيب ، بدوره ، ملتزماً الصمت بحكمة .

ولاح أن والدي كان يفكر فيما سوف يقع بعد مماته . فمن الواضح ، انه هو في الاقل الذي حاول غالباً ان يتصور مع نفسه الحياة في المنزل من دون حضوره . وفي احدى المرات قال لي : « انت تعرف ، ان في تعليم المرء لاولاده منافع واضراراً . فهو يتجشم العناء في تزويدهم بالتربية ، لكنهم ما ان ينهوا دراستهم حتى ينفضوا ولا يعودون الى

البيت ابداً. اجل، بوسعك ان تقول ان التربية وسيلة للفصل بين
الاولاد وابائهم .»

في الحقيقة كان سبب هذا القول هو ان اخي الاكبر حصل على
تربية جامعية ثم رحل بعيداً الى اقليم ناء. وانا ايضاً، بسبب هذه
التربية قد قررت الاقامة في طوكيو. فمن المعقول اذاً، اذا ما اشتكى
والدي من اولاده. ومما لا ريب فيه، كان شيئاً محزناً له ان يتخيل بقاء
امي وحيدة في البيت الريفي الذي عاش فيه سنين طويلاً.

في نظره كان البيت بيت الاسرة، ولم يفكر قطعاً ان يعيش في اي
مكان آخر غيره. وكان أمراً مفروغاً منه، في نظره ايضاً، بأن امي ستبقى
فيه الى حين مجيء منيتها. وعليه فتفكيره بأمي وهي تعيش في البيت
الكبير في وحدة، قد سبب له قلقاً كبيراً. وفي الوقت نفسه ألح عليّ بأن
اذهب الى طوكيو وان أجد وظيفة محترمة لي. وقد ادهشني هذا
الالاح واعتبرته دليلاً على التناقض. لكن هذا التناقض من جانبه
أضحكني. الا انني رحبت به، لانه صار بوسعي ان اذهب الى طوكيو
بموافقته التامة.

ولم اجازف بأن اجعل ابي وامي يظنان بأنني لم ابذل قصارى
جهدي بغية العثور على وظيفة. وكتبت للمعلم وشرحت له الوضع في
البيت. وقلت له بأنني على استعداد لان امارس اي عمل ما دمت
مؤهلاً له، وطلبت منه ان يساعدني في العثور على وظيفة شاغرة. وعند
كتابة الرسالة كان اعتقادي ان المعلم لن يأبه بطلبي. علاوة على
ذلك، فقد فكرت مع نفسي بأنه حتى لو رغبت في مساعدتي

فبأستطاعته ان يفعل شيئاً قليلاً . مادام يعيش حياة انطوائية . مع ذلك ، كنت واثقاً بأنه سوف يرد على رسالتي .

وقبل ان اغلق الرسالة ذهبت الى امي وقلت : « انظري ، لقد كتبت رسالة الى المعلم حسب ما اقترحت . الا تقرأيها؟ »

وكما توقعت ، لم تقرأ امي الرسالة . قالت : « هل فعلت؟ في هذه الحالة ، من الافضل ان تبعث بها في الحال . كان الاجدر ان تكتبها قبل هذا بوقت طويل . فليس المرء بحاجة الى الحث لانجاز هذه الامور . »

كانت امي لاتزال تعاملني كطفل . ولكي اكون صادقاً ، فقد شعرت شعوراً طفولياً عند ذلك . قلت : « على اية حال ، ينبغي ان انبهك . ان مجرد كتابة رسالة غير كاف . يجب ان اذهب الى طوكيو . . ربما في ايلول . »

« لعل ذلك صحيحاً ، لكن لاضرر البتة في الكتابة الى الاصدقاء اولاً . لكن كيف تعرف أنهم لن يعثروا لك على وظيفة فجأة؟ »

« نعم ، طبعاً . حسن . دعينا نتحدث عن ذلك مرة ثانية عندما أتسلم رسالة من المعلم . من المؤكد انه سيكتب الي . »

لقد اعتقدت أن المعلم في مثل هذا الشأن سيكون حي الضمير . وعليه انتظرت بثقة ان اسمع منه . لكن خاب املي . فقد انصرم اسبوع ولم تصل منه رسالة .

« من المحتمل انه رحل في العطلة . » قلت لامي ، شعوراً مني بأنني يجب ان اقدم نوعاً من الاعتذار لصيتم المعلم . انني لم احاول ان

اقنع امي بذلك حسب ، بل لاقنع نفسي أيضاً ولغرض تطمين بالي ،
كان يجب ان اشرح لنفسي أن المعلم لم يكن ليغفل طلبي دون ان
يكون لديه سبب وجيه .

واحياناً كنت انسى مرض ابي ، فتراودني فكرة بأن اغادر الى طوكيو
في الحال . وبدا ان ابي ايضاً قد نسي احياناً بأنه مريض ، ومع انه كان
يعي ضرورة وضع الامور في نصابها قبل موته لكنه لم يفعل شيئاً
بخصوصها . ولم تسنح لي فرصة ابدأ بأن اطرح عليه موضوع حصتي
في العقار حسب ما نصحتني به المعلم .

*

اخيراً ، في بداية ايلول ، قررت الذهاب الى طوكيو . وسألت ابي ان
كان سيواصل ارسال المبلغ الذي كنت اتسلمه منه عندما كنت في
الجامعة . قلت : « يجب ان اذهب اذا كنت اقصده العثور على عمل من
النوع الذي هو في بالك . »

جعلت الامر يبدو كما لو انني كنت ارغب في الذهاب الى طوكيو
لغرض تحقيق آمالي ابي في فقط .

« طبعاً انني اريد المبلغ فقط الى حين أعثر على عمل . »

وشعرت في سري بأن الامل ضعيف في العثور على وظيفة
محترمة . غير ان والدي الذي كان منعزلاً عن وقائع العالم الخارجي ،
كان يعتقد اعتقاداً راسخاً بخلاف ذلك . قال : « حسن . مادام ذلك
سيكون لفترة قصيرة فقط ، فسوف أولي الامر عنايتي لتسلم المبلغ .
لكن تذكر . . لفترة قصيرة فقط . يجب ان تستقل بنفسك حالما تجد

عملاً . في الحقيقة ليس من الصواب ان يعيش المرء عالية على الآخرين بعد تخرجه . ويظهر ان جيل الشباب اليوم يعرف كيف يصرف النقود فقط . وبدوانه لم يخطر لهم على بال بأن النقود يجب ان تُكسب ايضاً .

وقال أشياء أخرى في محاضرتي لي ، من بينها : « في زمني كان الاولاد يعينون اباؤهم . اما اليوم فالاباء يعينون ابناءهم على الدوام . » فأصغيت بهدوء .

في النهاية بدا ان المحاضرة قد انتهت ، وكنت على وشك ان انهض حينما سألتني ابي عن الموعد الذي نويت ان اغادر فيه . فقلت بأنني سأذهب بأقرب وقت ممكن . قال ابي : « اسأل امك لتختار لك يوماً ملائماً للسفر . » قلت : « اجل ، سأفعل . »

كنت مطيعاً على نحو غير اعتيادي . ولم أرد ان اغضب ابي قبل تركي البيت . وقبل مبارحتي الغرفة كانت كلماته الاخيرة لي : « بذهابك سوف يبدو البيت موحشاً مرة ثانية . لن يكون فيه أحد سوى امك وسواي . تمنيت ان تكون صحتي افضل . اما وهي على ماهي عليه ، فليس بالوسع ان نقول ماذا سيحصل . »

طمأنت ابي بأحسن ما استطعت ورجعت الى مكتبي . وجلست بين كتبي التي كانت منتشرة في جميع ارجاء المكان ، وفكرت طويلاً بكلمات ابي المتشكية وبالحزن في عينيه وهو ينطق بها . واستطعت ان اسمع حشرات الزيزوهي تغرد في الخارج . وكانت هذه مختلفة عن تلك التي سمعتها في المرحلة الاولى من الصيف . كانت هذه هي

حشرات الزيز الصغيرة المسماة تسوكو- تسوكو- بوشي. ^(١) ففي كل صيف، عندما اعود الى البيت في العطلة، اجلس غالباً واستمع الى تغريد حشرات الزيز الحاد، فأجد نفسي اسير حالة نفسية حزينة. ومع صباح هذه الحشرات كنت اشعر كأن حزناً كان يزحف الى قلبي. فأظل ساكناً تماماً وافكر بوحشتي.

لكن في ذلك الصيف بدا ان طبيعة كآبتي قد تبدلت تدريجياً. وغالباً ما فكرت بقدر اولئك الذين عرفتهم، وتساءلت احياناً ان لم يكن قدرهم شبيهاً بقدر حشرات الزيز الكبيرة في بواكير الصيف والتي سرعان ما حلت محلها صغار التسوكو- تسوكو- بوشي. ففكرت بأبي الحزين، ومن ثم بالمعلم الذي لم يرد على رسالتي بعد. وكان شيئاً طبيعياً ان اربط بين الاثنين في افكاري. لقد كان التناقض حاداً بينهما بحيث انني لا استطيع ان افكر بأحدهما دون التفكير بالآخر.

لم يكن هناك الا النزر القليل الذي لا اعرفه عن ابي. وان الحزن الذي سأشعر به اذا ما افترقنا لن يكون اكثر من حزن يشعر به اي ابن مولع بأبيه. من الناحية الاخرى، كان هناك الشيء الكثير الذي لا اعرفه عن المعلم. انه لم يخبرني عن ماضيه بعد كما وعدني. بأختصار، لا يزال المعلم، في نظري، شخصية شبه مخفية في الظلال. ولن يرضيني شيء حتى تنكشف لي شخصيته بالكامل. وليس بمقدوري ان اتحمل فكرة الافتراق عنه قبل هذا الكشف.

١- هذا الاسم مطابق مع الصوت الصادر عنها

لقد استشارت امي التقويم، وقررنا اليوم المناسب لسفري .

*

قبل يومين من ميعاد رحيلي ، حسب ما اظن ، أغمي على ابي مرة أخرى . كان الوقت مساء وكنت قد انتهيت توأ من حزم حقويتي المحشوة بالكتب والكساء . كان والدي قد ذهب ليستحم . وكانت امي ، التي تبعته لتفرك له ظهره ، قد نادت عليّ بصوت عالٍ . لقد وجدت ابي ممدداً بين ذراعي امي . لكن حالما عاد الى غرفته قال : « انني على مايرام الآن . » مهما يكن ، جلست الى جانبه وبللت جبينه بقطعة قماش رطبة . كانت الساعة التاسعة قبل ان يتسنى لي ان اتناول وجبة خفيفة بدلاً عن العشاء الذي فاتني . وفي اليوم التالي بدا أفضل مما توقعنا . وذهب الى الحمام وحده ، دون ان يعير تحذيراتنا اهتماماً .

« انني على مايرام الآن ، » كان يقول هذالي بتكرار ، كما كان قد فعل في الشتاء المنصرم . حينذاك كان على مايرام تقريباً كما ادعى . وفكرت آملاً ان يتحقق تحسن في صحته مرة أخرى . وبالرغم من استلتي المُلحّة لم يخبرني الطبيب بشيء سوى ان العناية الدائبة به ضرورية . وحلّ اليوم المقرر لرحيلي ، لكن بسبب قلقي على ابي ، قررت ارجاء سفرتي الى طوكيو . قلت لأمي : « اعتقد انني سأبقى الى ان تتبلور الامور . »

فقلت امي متوسلة : « نعم ، ارجوك ان تفعل . »
وفي كل مرة كان يُظهر فيها ابي تحسناً يستطيع معه ان يتجول في

الحديقة او الباحة الخلفية، كانت تظهر امي تفاعلاً مفرطاً. اما الآن فقد كانت قلقةً وعصبية اكثر من اللازم، حسب ظني .
«الست ذاهباً الى طوكيو اليوم؟» سألني ابي فيما بعد من ذلك اليوم .

«اجل، لكنني قررت ان أطيل مكثي قليلاً .» فسأل: «بسببي؟»
ترددت لحظة. لواجبت بالايجاب، فسيكون اعترافاً مني بأنني أعتقد بأنه حالته خطيرة. ما اردته هو ان أرحم مشاعره ما استطعت الى ذلك سبيلاً. لكن يبدو انه قد قرأ افكاري .
«آسف،» قال، واستدار صوب النافذة .

رجعت الى غرفتي وحدثت الى الحقيقية الجاثمة على الارضية . كانت مشدودة شداً محكماً وهي جاهزة للسفر تماماً . وقفت امامها فترة قصيرة متسائلاً على نحو غامض ان كان من الاجدر ان ابدأ بفك احزمتها .

ومضت ثلاثة او اربعة ايام . كنت فيها في حالة من القلق الذهني شعرت معه بأنني اشبه ما اكون برجل لاهوبقائم او بقاعد . وأغمي على ابي مرة ثانية . في هذه المرة أمر الطبيب بالتزام الهدوء المطلق .
«ماذا سنفعل؟» قالت امي بما يشبه الهمس لثلاث ايام . وبان عليها الخوف واليأس نوعاً ما . وكنت مستعداً لان أبعث برسالتين الى أخي الاكبر واختي الصغرى . بيد ان ابي ، الذي كان ملازماً السرير الآن، لم يبد عليه انه يعاني من ألم ابدأ . واذا ما نظر اليه المرء او استمع اليه وهو يتحدث ، لقال بأنه

لايعاني من شيء خطير ماعدا البرد. والادهي ان شهيته للطعام كانت اقوى منها في الحالة الاعتيادية. وهولم يصغ الي تحذيراتنا كلما نبهناه الى مغبة الافراط في الاكل. قال مرة: «سأموت على أية حال، فلا بأس اذاً ان أكلت الاطعمة الشهية مادمت أستطيع ذلك.» ان فكرة ابي عن «الاكلة الشهية»، لفتت انتباهي الى ناحيتين: اولاهما مضحكة وثانيتهما مشجية. فهو لم يكن من ابناء المدينة، وعليه لم يكن يعرف ماهي الاكلات الشهية الحقيقية. وغالباً ماكان يطلب في وقت متأخر من الليل قرص رز مشوي، فيأكله بشهية متناهية.

قالت امي: «لماذا هودائم الجوع؟ انني لأتساءل. من الجائر جداً انه لايزال يمتلك شيئاً من القوة في جسده.»

لقد اختارت امي المسكينة اخطر الاعراض لتعلق عليها آمالها. وعندما زارنا خالي لم يدعه ابي يذهب. لقد ناشده بأن يبقى ليبرد عليه الوحشة طبعاً، لكن الشك راودني بأنه اراد ان يشكونا لأحد ما حول ترددنا في اعطائه صنف الطعام الذي كان يتلهف اليه.

*

ظل ابي على هذه الحال اسبوعاً او مايقاربه. وفي غضون ذلك، كتبت رسالة مطولة الى أخي في كايوشو. وطلبت من امي ان تكتب لاختي. وفكرت بأن من المحتمل ان تكون هذه هي المرة الاخيرة التي نكتب فيها لهما عن صحة ابي. ولهذا السبب راعيت بأن يتم لفت انتباههما بأن اي اتصال قادم معهما سيكون عن طريق برقية نطلب فيها حضورهما.

كان اخي كثير العمل . وكان لاختي طفل . وعليه لم تتوقع منهما
المجيء الينا الا اذا تعرضت صحة والدي للخطر . من ناحية أخرى لم
نرد لهما ان يتجشما عناء المجيء كله لكي يرياه ، واذا بهما يكتشفان
انهما قد جاءا بعد فوات الاوان . ولم يعلم احد ما مقدار القلق الذي
اصابني حول مسألة تحديد الوقت الملائم لارسال برقيتين لهما . قال
الطبيب الذي جئنا به من أقرب مدينة كبيرة : «لاستطيع ان اخبركما
بالضبط متى ستحصل الازمة . كل ما استطيع قوله انها من الجائز ان
تحصل في اي وقت .»

وبعد ان تناقشت مع امي ، قررت ان اطلب من الطبيب ان يرسل لنا
ممرضة يُعتمد عليها من مستشفى المدينة . ووصلت الممرضة وهي
بردائها الابيض ، ولما قدمت نفسها لابي نظر اليها باستغراب . ومنذ
فترة كان ابي قد عرف بأن مرضه قاتل . لكن ، مؤخراً ، عندما اصبح
الموت قاب قوسين او ادنى ، لم يبدو عليه انه يعترف بذلك . قال :
«حينما ستتحسن صحتي ، يجب ان اذهب الى طوكيو مرة أخرى وأمتع
نفسي . من منا يدري متى سيموت؟ ينبغي لنا ان نفعل جميع الاشياء
التي نرومها ما دمنا قادرين على ذلك .» لم يكن لدى امي ماتقوله
سوى : «عندما تذهب ، ارجوك ان تأخذني معك .» لكن احياناً ، كان
الحزن يشتد على ابي فيقول لي : «عندما أموت ، ارجوك ان ترعى
امك .»

آنذاك تذكرت تلك الالامية في بيت المعلم ، بعد تخرجي مباشرة ،
حينما استخدم المعلم بتكرار عبارة «عندما أموت» في حضرة زوجته .

وتذكرت الابتسامة على وجه المعلم وهو يقولها، كما تذكرت رفض زوجته الاصغاء الى المزيد منها، قائلة: «ارجوك ألا تقول هذا مرة ثانية. انه جالب للنحس.» وفي تلك الامسية كان الموت مادة للتأمل، اما الآن فقد بات شيئاً قابلاً للتحويل الى واقع قريباً. لم يكن بوسعي ان اقلد زوجة المعلم. لكن كان يجب ان اقول شيئاً أحرف به ذهن ابي عن التفكير بالموت.

«ارجوك ألا تتحدث بهذا الشكل. تذكر، انك ستذهب الى طوكيو لتمتع نفسك فيها عندما تتحسن صحتك. وامي ستأتي معك. لسوف تندهش حقاً عندما ترى التبدل الكبير الذي جرى في طوكيو منذ زيارتك الاخيرة لها. مثلاً، لقد زاد عدد خطوط الترام، لكنك تعلم كيف ان هذه الخطوط تؤثر على مظهر الشوارع. كما جرت أيضاً اعادة ترتيب القصبات. أجل! بوسع المرء ان يقول بأنه لا توجد في طوكيو اليوم لحظة هدوء، في النهار او الليل.»

وانطلاقاً من رغبتى بأدخال المسرة في قلب ابي، ربما اكون قد ثرثرت بما فاق الحد المطلوب. لكنه، على اية حال، بدا مستمتعاً بالاصغاء اليّ.

وبسبب مرضه فقد ازداد عدد زائري بيتنا. وغالباً ما جاء اقرباؤنا الساكنون قريباً منا لرؤيته، ربما بمعدل شخص واحد في كل يومين. وحتى اولئك الاقرباء الساكنون بعيداً عنا والذين باتوا غرباء عنا، كانوا من بين الزوار.

وبعد ان رأى ابي قال أحدهم: «اجل. انه أحسن حالاً مما ظننت.

انا واثق انه سيكون على مايرام . وليست لديه مشكلة في الكلام ، ولا ارى ان وجهه قد زاد نحافة .
كان هناك آخرون ، اضافة اليه ، ممن امتلكوا الشعور نفسه ازاء حالة ابي .

ان اسرتنا ، التي صدمتني بكونها هادئة جداً عند عودتي ، انقلبت لتكون ذات جلبة على نحو مزعج . وكان ابي ، الشخص الوحيد الجامد في وسط هذه الفوضى ، قد ساء حالاً بأطراد . وبعد مشاورة مع امي وخالي قررت ان ابعث بالبرقيتين . وجاء الرد من اخي قائلاً بأنه سيغادر الينا قريباً جداً . ووصلتنا برقية من زوج أختي يعلمنا فيها عن قدومه . وكان قد حصل اسقاط لاختي في حبلها الاول ، وقد أقسم زوجها انه سيفعل في المرة القادمة كل ما بوسعه مما يساعد في منع حدوث هذا الامر . وعليه فقد فكرنا بأن من المحتمل انه سيأتي لوحده .

*

وعلى الرغم من الظروف غير المستقرة كان بإمكانني ان انعم بلحظات من العزلة . وحيثاً كان يتوافر لي الوقت الكافي لأن اقرأ عشر صفحات من كتاب دونما مقاطعة من احد . وكانت الحقيقية التي حزمتها قبلاً بعناية ، جاثمة الآن على الارضية وهي مفتوحة . وما اكثر ما توجهت اليها واستللت منها كتاباً كنت اريد قراءته . ولما القيت نظرة على الجدول الذي كنت وضعت له لنفسي قبل مغادرة طوكيو ، قررت بأنني سأكون قادراً على اكمال ثلث العمل الذي كان من المفروض ان

اكون قد اكملته كله حالياً. وغالباً ماراودني الشعور المقيت من قبل
بكوني لم أجهد نفسي في العمل، لكنني نادراً ما انجزت عملاً قليلاً
كما فعلت في هذا الصيف. فكلكت عليّ فكرة كثيبة مفادها ان هذه
الحالة هي حالة الاشياء الاعتيادية في حياة كل انسان.

وعلى هذه الحال جلست محزوناً وفكرت بمرض ابي مرة أخرى.
وتساءلت ماذا ستؤول اليه الامور بعد موته. ومرة أخرى، جنباً لجنب
مع صورة ابي، لاحظت في افكاري صورة المعلم. وبعين عقلي رمقت
هاتين الشخصيتين المختلفتين عن بعضهما في الموقع والتربية
والشخصية.

واطلت عليّ امي من باب غرفتي فوجدتني جالساً بين كتبي
المتناثرة، وذراعي مطويتان. ولم يكن قد سبق لي ان اترك جانب
سرير ابي فترة طويلة. قالت: «لماذا لاتغفو قليلاً؟ لا بد انك تعب.»
ولم يكن بمقدورها ان تلاحظ بأنني لم اكن أعاني من ارهاق جسدي.
ثم انني لم اكن طفلاً حتى اتوقع ان تحدث امي حالتي النفسية.
فشكرتها ببساطة. وكانت لاتزال واقفة في فرجة الباب. سألت: «كيف
الوالد؟»

قالت: «انه نائم بهدوء تام في هذه اللحظة.» وفجأة دخلت في الغرفة
وجلست الى جوارى. سألت: «الم تسمع عن المعلم بعد؟»
وقبل ان ابعث برسالتي الى المعلم كنت قد اكدت لها بأنه سيردُّ
بصورة اكيدة، وكانت قد صدقتني. وحتى في ذلك الحين، لم افكر
بأن المعلم سوف يكتب الرد الذي كان ابي وامي يتوقعانه في الواقع

كنت قد كذبت عليها عامداً. قالت: «لماذا لا تكتب له مرة ثانية؟»
لم اكن من ذلك الصنف الذي يضنُّ على امه بشيء من الراحة التي
من الجائز ان تمنحها اياها كتابتي لرسائل لاجدوى منها، مهما كان
عددها. مع ذلك، كان مؤذياً لي ان اكتب للمعلم عن هذه المسألة. لقد
كنت اخشى من احتقار المعلم لي اكثر مما اخشى من غضب ابي او
حزن امي. في الحقيقة كنت ميالاً للشك بأن سبب صمت المعلم هو
احتقاره لطبلي. قلت: «من السهل جداً ان يكتب المرء الرسائل، لكن
في الواقع، لا يستطيع ان يدبر اموراً كهذه بواسطة البريد. يجب ان
اذهب الى طوكيو وان ابحث بنفسي.»

«لكن، وابوك على هذا الحال، ليس بوسعك ان تعرف الوقت الذي
تكون فيه قادراً على الذهاب الى طوكيو.»

«انا لاناوي الذهاب الى طوكيو. انما انوي البقاء هنا، الى ان
نعرف ماذا سيكون من شأنه.»

«وهذا ما اقله انا. من ذا يفكر بالذهاب الى طوكيو في وقت كهذا،
حينما يكون هو مريضاً على نحو حاد؟»

لاول وهلة شعرت بالاسف من اجل امي التي فهمت شيئاً قليلاً.
بعد ذلك، بدأت اتساءل لماذا هي اختارت وقتاً كهذا وأعدت طرق
مسألة مستقبلي. اما انا نفسي فقد كنت قادراً ان انسى مرض ابي
لحظة اول لحظتين وان اقرأ وافكر في معتزلي في الغرفة. لكنني تساءلت
هل كانت امي تمتلك القدرة نفسها في الامتناع عن التفكير بأبي
المريض فترة وجيزة وان تقلق بالها بأمر أخرى؟ لقد بدأت امي
تحدث مرة أخرى:

«في الحقيقة»

«في الحقيقة لايسعني الا ان افكر بالراحة الكبيرة التي سيحظى بها ابوك لو انك استطعت ان تجد عملاً . طبعاً، من الجائز ان يكون الوقت متأخراً جداً الآن . لكن كما ترى، انه لايزال يستطيع الكلام دون اية صعوبة، وان تفكيره صاف تماماً . افلا تكون ابناً باراً وتحاول ان تجعله سعيداً بك قبل ان يسوء حاله؟»

لكن المؤسف في الامر ان ليس بوسعي ان اكون ذلك الابن البار الذي رغبت امي بان اكونه . فانا لم اكتب للمعلم حتى سطرًا واحداً .

*

كان ابي يطالع الصحيفة في السرير عندما وصل اخي الاكبر . وكان من عادة ابي دائماً الا يدع شيئاً يمنعه من القاء ولو نظرة على صفحات الجريدة . غير ان الضجر الناشئ عن انكفائه في الفراش قد جعله اكثر التصاقاً بها من اي وقت آخر . ولم تعترض امي ولم اعترض انا على ذلك بقوة، ظناً منا بأن من الافضل ان نتركه يمارس هوايته المفضلة . قال اخي لابي : «لانني سعيد بأن اراك تبدو سليم العافية . لقد جئت الى هنا وكل ظني بأنك مريض حقاً، لكن تبدو، في الحقيقة، في صحة جيدة .»

لقد بدا لي اخي مبتهجاً جداً، وبدت لي نبرته الفرحة في غير موقعها . اما فيما بعد، عندما ترك ابي واختلى بي، بدا شديد الاكتئاب . قال : «يجب الا يقرأ الصحيفة بهذا الشكل .»

«ولا انا ايضاً اعتقد بذلك، لكن ماذا أستطيع ان افعل؟ انه يصّر

على السماح له برؤيتها. »

فأصغى اخي، الى اعداري بصمت. ثم قال: « انني اتساءل ان كان يفهم مايقراً؟ » بدالي انه انتهى الى قرار بأن المرض قد بلّد ذهن ابي الى حد بعيد. قلت: « بالتأكيد انه يفهم بدقة جيدة. اجل، قبل فترة قصيرة حدثه عن اشياء مختلفة لمدة عشرين دقيقة تقريباً، وكان جلياً في حينه بأنه يمتلك قواه العقلية امتلاكاً تاماً. ومن الممكن، اذا ظل على هذا المستوى، ان يدوم بقاؤه معنا فترة اطول. »

اما زوج اختي الذي وصل تقريباً في الوقت نفسه الذي وصل فيه اخي، فقد كان من اكثرنا تفاؤلاً. وقد سأله ابي اسئلة عديدة عن اختي، ثم قال: « في مثل حالتها يكون من الحكمة تجنيبها المزعجات كالسفر بالقطار. ولو كانت قد ازعجت نفسها بالمجيء لرؤيتي، لكنت قلقاً عليها اكثر مني سروراً بها. » ثم اضاف: « على أية حال، بوسعي دائماً ان ازورها بنفسي عندما تتحسن صحتي، وان ألقى نظرة مليّة على الطفل. »

كان ابي هو اول من اطلع على خبر وفاة الجنرال (نوغلي).⁽¹⁾ في الصحيفة. قال: « واحزنناه! واحزنناه! »

ونحن الذين لم نطلع على الاخبار بعد، قد أجفلنا ندبه.

قال اخي فيما بعد: « لقد ظننت حقاً بأنه قد جُنَّ أخيراً. »

١- لاحظ مقدمة المترجم الانكليزي. ه. م.

ووافق زوج اختي : « يجب ان اقول بأنني دُهشت جداً . »
في ذلك الوقت كانت الصحف مليئة بأخبار غير اعتيادية ، ولذلك
كنا نحن ابناء الريف ننتظر وصولها بفارغ الصبر. كنت أقرأ الاخبار
بجانب سريري مراعيًا ألا ازعجه ، واذا لم أفعل هذا ، فأني الجأ الى
غرفتي بهدوء ، وهناك أطلع الصحيفة من البداية الى النهاية . ولفترة
طويلة لازمتني صورة الجنرال (نوغي) ببدلته الرسمية ، كما لازمتني
صورة زوجته وهي بزي سيدة بلاط .

لقد استفزنا النبأ المحزن كما تستفز الريح الحادة الاشجار والعشب
النائم في اقصى ارجاء الريف . كان الحدث مازال طرياً في اذهاننا ،
حينما وصلتني ، وبالدهشتي ، برقية من المعلم . وفي مكان تنبج فيه
الكلاب عند مرآى بدلة غربية الطراز ، كان وصول البرقية حدثاً عظيماً .
وبدا ان امي ، التي سُلمت البرقية اليها ، قد فكرت بأن من الضروري
ان تدعوني الى مكان منعزل في البيت قبل ان تسلمني اياها . ولا حاجة
الى القول بأنها بدت مجفلة تماماً .

«ماذا فيها؟» قالت وهي واقفة الى جانبي ، وانا افضُ غلافها .
كانت رسالة بسيطة مفادها انه يرغب في رؤيتي اذا كان ذلك ممكناً ،
وهل سأذهب؟ فرفعت رأسي والحيرة تغشاني . فطرحت امي تفسيراً :
«انا واثقة بأنه يريد ان يراك حول مسألة العمل . » ففكرت ربما كانت
امي على صواب . ومن ناحية أخرى لم أستطع ان أصدق تماماً بأن
المعلم اراد ان يراني لذلك السبب . على أية حال ، لم استطع ، وانا
الذي بعثت في طلب اخي وزوج اختي ، ان اترك ابي المريض

وأذهب الى طوكيو. فقررت انا وامي بأن أرسل الى المعلم برقية اعلمه فيها بأنني لا استطيع المجيء. لقد شرحت بأيجاز بأن حالة ابي أخذت تسوء اكثر فأكثر. مع ذلك شعرت بأنني مدين له بشرح اكمل. وفي ذلك اليوم نفسه كتبت رسالة له اعلمه فيها بجميع التفاصيل. اما امي التي كانت على قناعة راسخة بأن المعلم قد فكّر لي بوظيفة، فقد قالت بنبرة مليئة بالحزن، «من المؤسف ان يقع هذا في مثل هذا الوقت.»

*

كانت الرسالة التي كتبتها طويلة جداً. وظننا كلانا، انا وامي، بأن المعلم سوف يكتب رداً في هذه المرة. وبعد ان بعثت رسالتي بالبريد بيوميين واصلتني برقية أخرى. لقد ذكرت البرقية بأن لاضرورة لذهابي، ولاشيء غير ذلك. فأطلعت امي عليها. فقالت: «اعتقد بأنه سيكتب لك عن ذلك عما قريب. ولم يخطر على بال امي ابداً بأن من الجائز ان يكون لدى المعلم شيء اخر غير الاهتمام بحياتي المستقبلية، عندما بعث ببرقيته الاولى الي. ومع انني فكرت بأن من الممكن ان تكون امي على صواب، الا انني لم استطع الا ان اشعر بأن ليس من شيممة المعلم ان يذهب الى حد ازعاج نفسه في ايجاد عمل لي. وقلت مشيراً الى البرقية الثانية.

«بالطبع ليس من الممكن ان يكون المعلم قد تسلّم رسالتي بعد. وعليه فقد ارسل هذه دون ان يكون قد قرأ الرسالة.»

فأصغت امي بالجد كله عندما ذكرت هذه الحقيقة الجلية. قالت بعد شيء من التفكير الرصين، «نعم، هو الامر كذلك.» ولا حاجة للقول،

بأن حقيقة كون المعلم لم يتسلم رسالتي بعد عندما ارسل برقيته الثانية، ليست دليلاً على السبب الذي من اجله ارسل البرقيتين بأية حال.

وفي ذلك اليوم لم نعاود الحديث عن المعلم وبرقيته، لاننا كنا بانتظار الطبيب المناوب ان يأتي بصحبة الطبيب الاقدم في مستشفى المدينة. واتذكر بأن الطبيين قررا، بعد فحص ابي، أن من الضروري اعطاه حقنة شرجية.

وفي الايام القليلة الاولى، بعد ان أمره الطبيب بالبقاء في الفراش، وجد ابي مضايقة لاسيما في عدم الذهاب الى الحمام. لكن بدا انه قد فقد تدريجياً احساسه المألوف بالاحتشام. وكلما زادت حالته سوءاً، صار اكثر تحللاً من الحشمة. واحياناً بدا انه فقد كل إحساس في مسألة الوظائف الجسدية.

وببطء تضاءلت شهيته للطعام. وحتى عندما كان يرغب بأكله، كان يجد انه يستطيع ان يزدرد مقداراً صغيراً منها فقط. وكذلك خارت قوته ولم يعد بوسعه ان يمسك بالصحيفة التي كان يحبها كثيراً. وبقيت نظارتاه، اللتان لاتزالان موضوعتين الى جانب وسادته، في غلافهما الاسود دائماً. وحينما كان يأتي صديق طفولته الذي نسميه «ساكو-سان» والذي يقيم على مبعدة حوالي ثلاثة اميال عن منزلنا، ليراه، كان يدير نحوه عينيه الباهتتين ويقول: «اوه، هو انت، ياساكو-سان.»

«انه لطف منك ان تاتي ياساكو-سان. انني احسك على صحتك الجيدة. اما انا فقد انتهيت.»

«اسمع الآن، يجب الاتقول مثل هذه الاشياء . لعلك تعاني من مرض خفيف، وهذا صحيح، لكن ما الذي تشكومنه حقاً؟ لك ابنان يحملان درجات جامعية، اليس كذلك؟ انظر الي . فزوجتي قد ماتت، ولا اولاد لي . انني أحيا حياة لاجدوى منها . ربما انا اتمتع بالصحة، لكن ما الشيء الذي اتوق اليه؟»

بعد يومين او ثلاثة ايام من زيارة ساكو-سان، أعطي ابي الحقنة الشرجية . كان ابي مسروراً اذ قال بأنه بفضل الطبيين قد شعر بالارتياح مرة اخرى . وصار اكثر ابتهاجاً، كأنه استعاد الثقة بقدرته على الشفاء . وسواء اوهمت امي بأنه قد تحسّن حقاً، او انها كانت تسعى فقط الى تشجيعه، لا ادري، لكن على اية حال، قد اخبرته عن البرقيتين من المعلم وحدثته بما يعني ان وظيفة تهيأت لي في طوكيو كما كان يأمل . كنت آنذاك جالساً الى جانب امي، ومع انني شعرت بالضيق لكنني لم استطع ان اقاطعها بأية حال، وعليه اصغيت اليها بصمت . وبدا ابي مسروراً . وقال زوج اختي، «هذا شيء جيد جداً .» وسأل اخي : «لكن الا تعرف بعد ما هونوع هذه الوظيفة؟»

كان الوقت قد فات لكي اقول الحقيقة . وكانت تنقصني الشجاعة . فعرضت تلميحه غامضة، وقد بلغت حداً من الغموض لم اعرف انا نفسي معناها . وتركت الغرفة فجأة .

*

لقد تفاقم مرض ابي للحد الذي بات فيه الموت وشيكاً، وفي كل ليلة كنا نذهب الى النوم مفكرين، «هل سينتظر الموت يوماً آخرام

سيحل الليلة؟»

لم يكن يعاني من ألم شديد . ولذلك اغنانا عن التوتر الناجم عن مراقبة المعاناة . ومن هذه الناحية كانت العناية به عملاً سهلاً نسبياً . صحيح ، كان يسهر احدنا ، بالتناوب كل ليلة ، ليراقبه ، الا ان البقية منا كانوا احراراً في الذهاب الى النوم في وقت معقول .

ولقد اتفق لي في احدى الليالي انني وجدت صعوبة في الذهاب الي النوم . وبينما كنت ممدداً في فراشي ، خيل الي انني اسمع صوتاً خافتاً لحشرة صادرة عن ابي . وبغية ان اتأكد من عدم حصول ما يريب ، فقد نهضت وذهبت الي غرفته . كانت نوبة امي للسهر في تلك الليلة . لقد وجدتها نائمة على الارضية الي جانب سريره ورأسها تتوسد ذراعها المطوية . كان ابي ساكناً تماماً ، كأن احداً قد هبط به على مهل الي دنيا السبات العميق . وبلا ضجيج عدت الي فراشي .

كنت واخي ننام تحت كيلة واحدة . اما زوج اختي ، الذي ربما عدّ ضعيفاً ، فقد نام في غرفة مستقلة لوحده . قال اخي ، «ان من الصعب شيئاً ما بالنسبة لـ سيكي سان - المسكين ان يمكث هنا . لقد فارق بيته لايام عديدة لحد الآن . كان «سيكي» هو كنية زوج اختي .

قلت : «لكنه ليس كثير الشغل جداً . ومن المحتمل ان لطفه في البقاء هنا راجع الي هذا السبب . ومن المؤكد ان مكوثك غير ملائم لك اكثر من مكوثه . وحتماً انت لم تتوقع البقاء هنا طويلاً .

«هذا صحيح ، لكن ليس بوسع المرء ان يفعل شيئاً في هذا الصدد . ففي وقت كهذا لا يقدر المرء ان يقلق نفسه بشؤونه الخاصة .»

وقبل ان ننام، اعتدنا ان نتحدث هكذا، ونحن راقدان في الفراش .
وقد فكرنا، كلانا، بأن لا أمل لأبينا في الحياة . وأحياناً كانت تسيطر
على ذهنينا فكرة فحواها، انه مادام مصيره محتوماً، فمن الخير له لو
حُمّ اجله عاجلاً . واذا جاز التعبير فقد كان الابنان ينتظران موت ابيهما .
اما نحن، كأبنين، فلم نستطع بكل ما تقتضيه اللياقة ان نفصح جهراً
عن افكارنا، ولو ان كل واحد منا كان يعرف تماماً الشيء الذي كان
يفكر به الآخر. قال لي أخي، « يبدو ان الوالد يصبرُ على ان يكون
أحسن . »

ولم يكن رأي اخي دون اساس نهائيّاً . وفي كل مرة كان يزور فيها
جار بيتنا، كان ابي يصبر دائماً على رؤيته . وحينذاك كان يعبر للزائر بثقة
عن اسفه لعدم قدرته على اقامة حفل التخرج على شرفي حسب ما
كان مخططاً له . وأحياناً كان يضيف بأنه عندما يتحسن، فمن المؤكد
ان الزائر سوف يتلقى دعوة أخرى منه .

« كان شيئاً صحيحاً أن الغي الحفل » هذا ما قاله أخي ، مذكراً اياي
بتجربته التعسة .

« انت شخص محظوظ جداً . اما بالنسبة لي ، فقد كان حفلي
فظيحاً . » فأبتسمت بمرارة عندما تذكرت ما أنطوت عليه تلك الامسية
من جلبة وعربدة . وتذكرت بمرارة كيف كان ابي يدور على الضيوف
ويقسرهم على الاكل والشرب .

لم يكن بيننا قط كثير من الحب الاخوي . فلطالما تشاجرنا حين كنا
صغاراً، وبما أنني كنت الاصغر، فقد كنت دائماً اخرج من الشجار

دامع العينين . والحقيقة الاخرى ان اختلاف منزعينا في الدراسة الجامعية دليل على اختلاف شخصيتنا . وحينما كنت في الجامعة، لاسيما بعد التقائي بالمعلم، كان من عادتي ان انظر الي اخي عن بُعد كأنه نوع من انواع الحيوانات . وكان آنذاك يقيم بعيداً عني بالفعل، وان احدنا لم ير الآخر لسنوات عديدة . لقد غربتنا المسافة والزمن . مع ذلك، عندما التقينا مرة ثانية بعد فراق طويل، وجدنا نفسينا منجذبين الواحد للآخر بفعل شعور اخوي بدا انه جاء طبيعياً، لا ادري من اين . ولا ريب ان ظروف اجتماعنا لها علاقة كبيرة بذلك . لقد شبكنا، اذا جاز القول، ايدينا فوق جسد محتضر لشخص كان اباً لكلينا .

سأل اخي، «ماهي خططك للمستقبل؟» فأجبتة بسؤال :

«انني أتساءل ماذا تقرر بشأن ملكية الاسرة؟»

«ليست لدي فكرة . فالوالد لم يقل شيئاً بعد بهذا الصدد . فيما

يتعلق بالنقد، لا اعتقد بان ما نملكه منه ذو قيمة مالية كبيرة .»

اما بالنسبة لامي، فقد انتظرت على مضضى وصول رد من

المعلم . كانت تقول مؤنبة : «الم تسمع منه بعد؟» سأل اخي : «من هو

المعلم الذي طالما أسمع عنه؟»

قلت : «عجباً! لقد أخبرتك عنه قبل بضعة ايام فقط .»

لقد تضايقت منه لنسيانه بسرعة لما اخبرته به جواباً على اسئلته

الخاصة .

«بالتأكيد لقد اخبرتني، هذا صحيح، لكن . . .»

وطبعاً كان ما يقصده بقوله هو أن المعلم لا يزال لغزاً في نظره . كان

المفروض ان يكون تأثير ذلك هيناً عليّ سواء فهم أخي المعلم اولم يفهمه . وبرغم ذلك غضبت وبدأت افكر بأن اخي لم يتغير كثيراً .
وحسب طريقته في التفكير، من الضروري ان يكون الرجل الذي طالما اشرت اليه بلقب «المعلم» بأعجاب، ذا شأن او سمعة . وكان ميالاً لأن يتصور ان المعلم محاضراً جامعياً في الاقل . وبهذا الصدد، لم يكن مختلفاً عن ابي . فقد وجد، كأبي تماماً، بأن من المستحيل ان يصدق بأن رجلاً غير معروف ولم يعمل شيئاً، يستطيع ان يكون ذا أهمية . لكن في الوقت الذي كان يسارع فيه ابي الى الزعم بأن من لا يمتلكون اية قابلية هم وحدهم الذين يحيون حياة تسكع، كان اخي يعتقد بأن الاشخاص الذين لا يتفنون من مواهبهم هم اشخاص غير جديرين بالاهتمام . وقال : «هذه هي مشكلة الانانيين . انهم وقحون للحد الذي يظنون فيه بأن لهم الحق بأن يعيشوا متسكعين . انها لجريمة بأن لا يستخدم المرء أيما قابلية لديه الى أقصى حد ممكن .»
لقد شعرت بالاغراء بأن اسأل اخي ان كان يعرف ما الذي كان يتحدث عنه حينما استخدم كلمة «اناني» . وأستمر قائلاً : «لكن يجب الا يتدمر المرء . فلحسن الحظ، يظهر انه عثر على عمل لك . والوالد مسرور بذلك .»

ومن دون كلمة مؤكدة من المعلم، كان من الصعب عليّ ان أشارك اخي تفاؤله بخصوص مستقبلي . لكنني لم أمتلك الشجاعة لقول ما جال في خاطري حقاً . في الواقع كانت أمني مندفعة جداً حين اعلنت عن استعداد المعلم لمساعدتي، غير ان الوقت كان متأخراً جداً

بالنسبة لي لأن اقول ذلك . وكنت متلهفاً كأمي لأن اسمع من المعلم .
وتمنيت ان تكون الرسالة ، اذا ماوردت ، في مستوى طموحات
عائلي . لقد فكرت بأبي الذي كان قريباً جداً من الموت ، وبأمي التي
أرادت بما بقي لديها من أمل ان تمنحه أقصى ما بأستطاعتها من
الراحة ، وبأخي الذي بدا يفكر بأن ليس من الانسانية في شيء ان
لا يعمل المرء من اجل عيشه ، وبزوج اختي ، وبخالي ، وسألت
نفسى ، «مالذي سيفكر به الجميع عني اذا لم يفعل المعلم شيئاً؟»
وان الشيء الذي كان غير مهم في نظري ، بدأ يقلقني جداً .

وعندما تقيأ ابي مادة غريبة ، صفراء اللون ، تذكرت تنبيهات المعلم
وزوجته . قالت امي ، «لقد قضى وقتاً طويلاً ممدداً في فراشه ، فلا
عجب اذا ما اضطربت معدته .» ولم يكن بوسعي ان أحبس الدموع
في عيني ، لما نظرت اليها . انها لم تفهم الا قليلاً .

وفي الغرفة الصباحية التقيت انا واخي . قال : «هل سمعت؟» كان
يسأل ان كنت قد سمعت بالذي قاله الطبيب له قبل مغادرته . ولم تكن
هناك ضرورة بأن يضيف اخي شيئاً ، لانني عرفت . قال ، «هل تعتقد
انك تستطيع ان تستقر هنا وان ترعى شؤون البيت؟» لم انطق بشيء .
وواصل اخي : «من العسير على الوالدة ان تدبر شؤون البيت بنفسها ،
أليس كذلك؟» ان فكرة انسلالي ببطء برائحة الارض العالقة بي قد
ضايقته قليلاً .

«اذا كان كل الذي تريده هو مطالعة الكتب ، فبوسعك ان تفعل هذا
على خير ما يرام هنا . أضافة الى ذلك ، ليس عليك ان تؤدي اي

عمل . وأعتقد ان الحياة سوف تلائمك جداً .
قلت ، «لكونك الاخ الاكبر، سيكون من الانسب لو انك جئت الى هنا .» فقال مغتاضاً ، «كيف استطيع ان افعل شيئاً كهذا؟» لقد عرفت ، ان اخي الطموح ، كان مقتنعاً تماماً ، بأن وظيفته الواعدة قد بدأت الآن .

«حسناً، اذا لم ترد ذلك ، فأعتقد ان بأستطاعتنا دائماً ان نطلب من خالنا ان يدبر لنا امورنا . لكن ، مع ذلك ، ان احداً ما يجب ان يرعى الوالدة . وانها يجب ان تعيش اما معك او معي .» قلت ، «تلك هي المشكلة . هل انها ستوافق قطعاً على ترك هذا البيت؟» وهكذا ، وبينما كان الوالد لا يزال على قيد الحياة ، تحدث الاخوان عما سيفعلانه بعد وفاته .



بدأ والدي يهذي . كان يقول ، «هل سيغفر لي الجنرال نوغي؟ كيف يتسنى لي ان اوجهه؟ اجل ، يا جنرال سأكون معك قريباً جداً .» وعندما كان ابي يقول اشياء كهذه ، كان الخوف يركبها قليلاً ، وكانت تطلب منا ان نتحلق حول سريره . وكان ابي ايضاً ، كلما فاق من هذيانه ، يريد الجميع ان يكونوا الى جانبه لكي لا يشعر بالوحشة . وكان يريد أمي قبل اي واحد آخر . كان يجيل بصره في الغرفة ، واذا لم يجد لها اثراً فيها ، كان يسأل واثقاً ، «اين اوميتو؟» وحتى ان لم يقل ذلك ، كانت عيناه تطرحان السؤال . وغالباً ما كنت انهض وافتش عنها . عند ذاك كانت تتسكع عملها وتدخل حجرة المريض قائلة ، «اما من شيء

تريده؟» وهناك اوقات لم يفه فيها بحرف، بل كان يكتفي بالنظر اليها .
وهناك اوقات أخرى كان يقول فيها شيئاً رقيقاً غير متوقع، مثل،
«اوميتو، لقد سببت لك ازعاجاً كبيراً .» وبغته كانت الدموع تملأ عيني
امي . فيما بعد، كانت تتذكر كيف انه صار مختلفاً عما كان عليه في
الايام الماضية وتقول، «بالطبع انه يبدو يائساً الآن، لكنني أستطيع ان
اقول لكما، انه كان مخيفاً.»

ومن بين الحكايات التي كانت مولعة بسردها هي الحكاية المتعلقة
بصدّه اياها بعضا الممكنة . وغالباً ماكنّا قد استمعنا الى هذه الحكاية
من قبل، لكننا استمعنا لها الآن بمزيد من الاهتمام، وكأن الحكاية
تذكر يستحق الاعتزاز.

وحتى عندما ألقى الموت بظله الرمادي الغامق على عيني ابي، فإنه
لم ينوه بشيء الى وصيته .

قال اخي، «الاتعتقد أننا يجب ان نتكلم معه عنها قبل فوات
الايوان؟» قلت، «حسناً، لا ادري .» لم اكن واثقاً ان من الصحيح ان
نُقسر ابانا على النظر في هذه المسألة في تلك المرحلة . في النهاية
ذهبنا الى خالنا طلباً للنصيحة، فتردد هو ايضاً .

«بالطبع، اذا كان في ذهنه أي شيء عن الموضوع، فمن المؤسف
ان نتركه يموت دون ان يخبرنا بما يجول في ذهنه . ومن ناحية أخرى،
لربما يكون خطأ منا لو اثرنا الموضوع .»

وقبل ان نتوصل الى قرار، غاب ابي عن الوعي . وأخفقت امي،
بطريقتها المألوفة، ان تلاحظ الذي حصل فعلاً . في الحقيقة كانت

مسرورة جداً، ظناً منها بأن ابي كان ينام نوماً هادئاً. قالت، «حمداً لله انه لازال قادراً على النوم بهذا الشكل.» بوسعنا ان نسترخي الآن.»

وكان ابي يفتح عينيه بين حين وآخر وكان يسأل فجأة عما جرى لفلان، مشيراً على الدوام الى الشخص الذي كان بجانب سريره في اخر فترة لصفائه الذهني. لقد بدا بأن ادراك ابي، الشبيه بخيط ابيض نافذ في قماشة سوداء، موصول غير انه متقطع هنا وهناك يقع من الظلام التام. فلا عجب اذا ما حسبت امي اغمائه نوماً طبيعياً.

وابتداً ابي يفقد قدرته على الكلام. وفي الغالب، كانت جملة تتحول الى غمغمة غير مترابطة منطقياً، فنخفق تماماً في فهم ما كان يحاول قوله. ومهما يكن، كان يبدأ كل جملة بصوت اقوى مما كان يعتقد المرء ان بإمكان مريض مثله ان يقدر عليه. فضلاً عن ذلك، لم يعد بمقدوره ان يسمع جيداً، فكنا مضطرين ان نتكلم بصوت عال في اذنه.

«هل تؤد ان أبرد رأسك؟»

«اجل.»

جددت الماء في الوسادة المطاطية، ووضعت كيسا فيه ثلج مجروش منذ وقت قريب فوق جبهته. وضعت الكيس على مهل لثلا توجهه الاطراف المدببة للثلج. وفي تلك اللحظة، دخل اخي الغرفة قادماً من المجاز، ومن دون ان ينطق بكلمة، سلمني رسالة. وبأندهاش عظيم، اخذت الرسالة بيدي الطليقة. كانت ثقيلة جداً، واكبر من ان يسعها ظرف اعتيادي. وكانت ملفوفة بقطعة ورق كتابة

سميك ، وقد غُلفت بعناية وُختمت . وفي التو، لاحظت بأنها رسالة مسجلة . وحينما قلبتها ، رأيت اسم المعلم مكتوباً بيد مرتبكة . ولما كنت جد منشغلاً بأن افصح الرسالة وقتذاك ، فقد دستتها في جيبي .

*

في ذلك اليوم ، بدت حالة أبي على اشد ما تكون عليه من السوء . فتركته مكاني بجانب سريره وقصدت الحمام ، وفي طريقي اليه التقيت بأخي في المجاز .

«الى اين انت ذاهب؟» قال اخي ، وقد بدا كحارس خافر .

«انت تعلم ، انه يبدو في حالة سيئة . ويجب ان تحاول البقاء الى

جانبه اطول ما يمكن .»

كان اخي مصيباً تماماً . فرجعت الى غرفة المرض ، تاركاً الرسالة في جيبي غير مفتوحة . وفتح ابي عينيه وسأل امي عن اسماء جميع اولئك الجالسين من حوله . وعند ذكر كل اسم ، اوما ابي برأسه ، وحينما كان يبدو عليه انه لم يسمع ، اعادت عليه امي الاسم بصوت عالٍ ، قائلة ، «أسمع؟»

قال ابي ، «لقد كنتم رفيقين بي جداً . اشكركم كثيراً .»

ثم مالبت ان غاب عن الوعي . ويصمت راقبه الاشخاص الجالسون من حوله وهو يحتضر لفترة قصيرة . بعد ذلك نهض احد افراد المجموعة ودخل في الغرفة المجاورة . وبعد فترة قصيرة نهض آخر وغادر الغرفة . اما الثالث الذي غادر ، فكنت انا شخصياً . فقد رجعت الى غرفتي وفي نيتي ان أفتح الرسالة هناك . ولا ريب ، كان من السهل

عليّ ان افعل هذا بينما كنت جالساً مع ابي . غير ان الرسالة ، بالحكم عليها من ثقلها ، كانت طويلة جداً علي نحو واضح ، ولذلك لم يكن ميسوراً لي ان اقرأها من اولها الى اخرها في غرفة المرض بلا مقاطعة من احد . لذا ، كنت انتظر فرصة كهذه لقراءتها في غرفتي من دون مضايقة .

وبحركة عنيفة تقريباً مزقت ورق الغلاف السميك الذي احتوى على الرسالة . وكان ظاهراً ان الرسالة مكتوبة بخط اليد الانيق ، وكانت الاحرف مرسومة بين خطوط عمودية . فسوّيت الصفحات المطوية طيتين لتسهيل ارسالها بالبريد .

لم يكن امامي الا ان استغرب من هذا الذي كتبه المعلم بهذه الالفاظ . على أية حال ، كنت على وشك ان اقرأ الرسالة بدقة . غير ان ذهني ظل مشدوداً الى غرفة المرضى . وراودني شعور بأن امراً ما سيحصل لابي قبل ان استطع انتهاء قراءة الرسالة . في الاقل ، كنت موقناً ان اخي اوامي اوخالي سيطلبون حضوري . وفي هذه الحالة القلقة ، قرأت الصفحة الاولى :

«لقد طلبت مني مرة ان اخبرك عن ماضي . في حينه لم تكن لدي الشجاعة بأن افعل ذلك . اما الآن ، فأعتقد بأنني قد تحررت من القيود التي منعتني عن اخبارك بالحقيقة عن نفسي . وان الحرية التي امتلكها الآن انما هي من النوع الدنيوي والجسدي الذي لن يدوم طويلاً . واذا لم استطع ان افيد منها ما دمت قادراً على ذلك ، فلن تتوافر لي الفرصة مرة ثانية بأن انقل اليك ما تعلمته من تجربتي الخاصة ، كما انني

سأحدث بوعدي لك . وبما ان الظروف قد منعتني عن اخبارك بقصتي شخصياً، لذا قررت ان اكتبها لك . »

قرأت الى هذا الحد وادركت سبب طول الرسالة . ومن بدايتها تقريباً عرفت بأن المعلم لم يزعج نفسه بالكتابة عن مهنتي المستقبلية . وما أقلقني حقاً هو ان المعلم ، الذي كان يكره ان يكتب ، قد حمل نفسه على كتابة مثل هذه الرسالة الطويلة . وسألت نفسي : لماذا لم ينتظر الى ان اعود الى طوكيو مرة أخرى؟

وكررت مع نفسي ، « انه حراً الآن ، ولن يكون حراً ابداً مرة ثانية ، » وحاولت بيأس ان افهم معنى كلماته ، وفجأة أصابني قلق . وحاولت ان استمر بقراءة المزيد ، لكن قبل ان استطع فعل ذلك . سمعت صوت اخي يناديني من غرفة المرضى . فنهضت خائفاً وهُرعت على أمتداد المجاز الى المكان الذي تجمع فيه الآخرون . وكنت على أستعداد ان اعرف بأن نهاية والدي قد حانت .

وفي غضون غيابي عن الغرفة وصل الطبيب وفي محاولة منه لكي يجعل ابي في حالة راحة ، كان على وشك ان يعطيه حقنة شرجية . وكانت الممرضة ، المرهقة بسهر الليلة المنصرمة ، قد ذهبت الى الغرفة المجاورة لكي تنام . وبدا اخي الذي لم يعتد على تقديم يد المساعدة في مثل هذه المناسبات في حيرة من امره . فلما رأني ادخل ، قال ، « هيا ، أعنا » وما لبث ان جلس بسرعة . فحللت محله وساعدت الطبيب .

وبدا ان حالة أبي قد تحسنت قليلاً . وانتظر الطبيب نصف ساعة

أخرى او اكثر، وحينما اطمأن لنتائج الحقنة قام ليغادر. وقد حرص على ان يخبرنا قبل مغادرته بأن لا نتردد في استدعائه اذا ما حصل اي شيء.

ومرة أخرى تركت الغرفة وجو الموت يزحف عليها ورجعت الى غرفتي. وهناك حاولت ان اقرأ الرسالة مرة ثانية. لكنني كنت عصبياً جداً. وما ان جلست الى منضدتي حتى راودني الخوف من ان اسمع صوت اخي العالي داعياً أياي الى غرفة المرض، ولربما للمرة الاخيرة. وقلبت الصفحات آلياً بلا استيعاب لمعنى الحروف المكتوبة باتقان على امتداد خطوط مسطرة، فلم استطع ان افهم مغزى الرسالة. وفي الاخيرة وصلت الصفحة الاخيرة وكنت على وشك أن أطوي الرسالة مرة ثانية وان أضعها على المنضدة، وفجأة اجتذبت نظري جملة قريباً من خاتمة الرسالة.

«في الوقت الذي ستصلك فيه هذه الرسالة، من المحتمل انني سأرحل عن هذا العالم، وعلى الأرجح سأكون ميتاً.»
فصعقت وتجمد قلبي فجأة بعد ان ظل مفعماً بالقلق الى تلك اللحظة. وبسرعة بدأت اقلب الصفحات من بدايتها، قارئاً جملة هنا وجملة هناك. وحاولت يائساً أن أتشبه بالكلمات التي لاحت متراقصة امام عيني. وجل ما اردت ان اعرفه في تلك اللحظة هو ان المعلم مازال حياً. وعندئذ لم أقم وزناً لماضي المعلم، هذا الماضي الغامض الذي وعد بأخباري عنه. لكنني لم استطع العثور على ما كنت افتش عنه، فأعدت طي الرسالة بحنو.

رجعت الى باب غرفة ابي لكي أعرف ماذا صار من امره . كانت
الغرفة ساكنة على نحو عجيب . وكانت أمي جالسة لوحدها الى جانب
السرير، وقد بان عليها التعب واليأس . فأشرت اليها، ولما أقبلت
نحوي سألت، «كيف حاله؟» قالت، «يبدو انه صامد .» فتوجهت نحو
ابي وقربت وجهي منه وقلت: «كيف تشعر؟» فأوماً برأسه، ثم قال
بوضوح تام، «اشكرك .» بدا ذهنه صافياً على نحو غير متوقع .
ومرة ثانية رجعت الى غرفتي . نظرت الى ساعتني وبدأت أفحص
جدول رحلات القطار . ثم نهضت واعدت ترتيب ملابسني ووضعنت
رسالة المعلم في جيبني وخرجت من الباب الخلفي . وجريت صوب
بيت الطبيب وكأني تحت كابوس . كنت أريد ان أسأل الطبيب فيما اذا
كان سيبقي ابي على قيد الحياة يومين او ثلاثة ايام اخرى . وكنت أروم
ان اتوسل اليه ان يُبقي ابي حياً اياماً قليلة أخرى عن طريق حقنه او عن
طريق أية وسيلة أخرى تحت طاقته . لكن الطبيب، لسوء الحظ، لم
يكن موجوداً ولم يكن لدي متسع من الوقت لكي انتظره . على أية
حال . كنت مهتاجاً للحد الذي لم اسيطر فيه على رباطة جأشني .
فقفزت الى عربة «الركشة» وطلبت من الحوذي بالحاح ان يسرع بي
الى المحطة .

وفي المحطة خططت رسالة مستعجلة الى امي واخي وطلبت من
سائق العربة ان يأخذها بسرعة الى البيت . فقد فكرت ان من الافضل
ان اكتب مثل هذه الرسالة بدلاً من مغادرتي اياهم بلا اية كلمة .

وعليه ، تحت تأثير الرغبة اليائسة بأن افعل اي شيء ، فقد استقلت
القطار المتوجه الى طوكيو. ولما جلست في عربة الدرجة الثالثة ،
امتألت اذناي بضجيج المحرك. واخيراً استطعت ان اقرأ رسالة
المعلم من بدايتها حتى نهايتها.

المعلم ووصيته

في هذا الصيف تسلمت منك رسالتين او ثلاث رسائل . واذا كنت
اتذكر جيداً فقد طلبت مني في رسالتك الثانية ان اساعدك بالعثور على
وظيفة مناسبة . ولما قرأتها شعرت بأن اقل ما أستطيع ان افعله هو ان ارد
على رسالتك . لكن يجب ان اعترف بأنني لم افعل شيئاً في نهاية
الامر . وكما تعلم فإن دائرة معارفي ضيقة جداً . والحقيقة ان من
الصواب القول بأنني اعيش وحيداً في هذه الدنيا . فكيف اذاً يكون
بوسعي ان اكون ذا نفع لك؟ على اية حال ، تلك مسألة ضئيلة الشأن .
الا فأعلم ، انني عندما تسلمت رسالتك كنت احاول يائساً ان اقرر ما
الذي ينبغي لي ان افعله بنفسي . كنت افكر ، «هل يجدر بي ان
اواصل العيش كما انا فاعل الآن مثل مومياء متروكة وسط الاحياء ام
ينبغي ان . . ؟» وفي تلك الايام كان الخوف الفظيع ينتابني في كل مرة
افكر فيها بالخيار الاخير .

كنت مثل رجل يجري الى حافة منحدر صخري شاهق وينظر الى
اسفل فيسرى هوة لاقرار لها . كنت جباناً . ومثل معظم الجبناء عانيت

لأنني لم استطع ان احزم الامر. ولسوء الحظ، ليس من المبالغة القول بأنني لم أشعر بوجودك الا بصعوبة في حينه. وازيد على ذلك فإن مسألة من قبيل أسباب عيشك في المستقبل كانت بلا اهمية تماماً بالنسبة لي. لم يكن يهمني ماذا تعمل. وحسب طريقتي في التفكير لم تستحق هذه المسألة كل هذه النجاسة.

ووضعت رسالتك في حامل الرسائل وواصلت القلق على قضيتي وكل الذي فكرتُ بأنك تستحقه مني هو نظرة قصيرة متسمة بالاحتقار. وساءلت نفسي، لماذا يبدأ انسان في وضع مريح مثلك بالانتحاب من أجل عمل ولما يمضي على تخرجه وقت طويل؟ ولأنني أشعر بأنني مدين لك بتقديم شيء من التوضيح عن تصرفي، لذلك اخبرك بهذا كله. فأنا لم اكن فظاً معك عن قصد لكي أغضبك. واعتقد بأنك ستفهم ذلك عندما تقرأ رسالتي. على اية حال، كان الاخرى بي ان امحض رسالتك الاهتمام. ارجوك ان تغفر لي اهمالي.

بعد ذلك بفترة ارسلت لك برفية. ولاعلمك بالحقيقة انني اردت فقط ان اراك مرة ثانية. كما انني اردتُ أيضاً ان اخبرك بقصة ماضي حسب ما طلبت مني ذلك في احدى المرات. وحينما وردتني برفيتك التي تذكر فيها عدم تمكنك من المجيء الى طوكيو شعرت بخيبة امل عميقة. واتذكر انني جلست صامتاً فترة وانا احدق اليها. ولابد انك انت ايضاً شعرت بأن البرقية لم تكن كافية، لانك قد تلطفت بكتابة رسالة في اعقاب البرقية مباشرة. وقد اوضحت الرسالة تماماً السبب الذي منعك من القدوم الى طوكيو. لذلك ليس لذي من سبب يجعلني

استاء من عدم تلييتك طلبي . اذ كيف يسوغ لك ان تغادر بلدتك في الوقت الذي كان فيه أبوك في حالة مرضية شديدة؟
لقد كنت انا المخطيء شخصياً . كان المفروض ان اذكر حالة ابيك في الحقيقة ، عندما بعثت البرقية لك ، فقد نسيت تماماً كل شيء عنه . لقد نسيت هذا في الوقت الذي كنت انا الذي حذرتك مسبقاً من خطورة مرضه . الا فأعلم ، انني انسان متناقض مع نفسه . ومن الجائز ان جزءاً كبيراً من هذا التناقض لم يكن شيئاً طبيعياً في شخصيتي ، لولا تأثير ذكرى ماضي علي . على اية حال ، فانا اعلم تماماً بفشلي .
ويجب ان تغفر لي ذلك .

عندما قرأت رسالتك - رسالتك الاخيرة لي - ادركت بأنني قد اخطأت . وفكرت بأن من الواجب ان اكتب لك وان اقول هذا . وقد بلغ بي الامر ان التقط قلمي ، لكنني ارجعته في النهاية الى المنضدة دون ان اكتب سطرأ واحداً . والحقيقة هي ان الامور الوحيدة التي فكرت بأنها تستحق الذكر في حينه هي الامور ذاتها التي سأذكرها هنا ، وفي حينه لم يكن الوقت قد حان بعد لكتابة مثل هذه الرسالة . وكان هذا هو السبب الذي من اجله بعثت لك ببرقية بسيطة اخبرك فيها بأن لاجابة لك في المجيء .

*

بعثتذ بدأت بكتابة هذه الرسالة . انا لست معتاداً على الكتابة ، وقد آلمني كثيراً ان اجد أنني لم اكن قادراً على وصف العديد من الاحداث والعديد من افكاري الخاصة بالحرية التي كنت ارغب بها .

وغالباً ما اغريت نفسي بترك تلك المهمة وبالتالي بأن لا ابرّ بوعدتي . وفي كل مرة طرحت فيها القلم ظناً مني بعدم القدرة على الاستمرار، وجدت نفسي قد عاودت الكتابة قبل مضي ساعة كاملة على توقفي . ومن الطبيعي انك قد تفسر هذا على انه دليل على احساسي القوي بالالتزام . وانني لن اعترض عليك بهذا الصدد اذا ما رأيت ذلك . وكما تعلم اني عشت حياة انعزالية ولي احتكاك ضئيل بالعالم الخارجي . وعندما انظر حولي أجد أنني بلا التزامات حقيقية. وسواء كان ذلك بفعل الظروف او بفعل تصميمي لحياتي الخاصة، فقد عشت على هذا المنوال لكي اخلص حياتي من اي التزام . لكن هذا لا يعني انني لا امتلك في نفسي الشعور بالالتزام نحو الآخرين . على العكس، فلأنني اشعر بهذا شعوراً قوياً فقد عشت حياة سلبية من هذا النمط . فانا لست قوياً بما فيه الكفاية لكي احتمل الآلام التي يفرضها هذا الالتزام على الفرد . وسوف تعلم بعد حين انني لو لم التزم بوعدتي لك ، لكنت قد شعرت بعدم الراحة تماماً . وكانت الرغبة بتجنب عدم الراحة بحد ذاتها كافية لتجعلني التقط قلبي مرة ثانية .

لكن هذا لم يكن السبب الوحيد الذي من أجله أردت ان اكتب هذه الرسالة . الا فأعلم، إن السبب البسيط لذلك، وبغض النظر عن اي احساس بالالتزام، هورغبتني بأن اكتب عن ماضي . وما دام الماضي قد خبرته انا وحدي، فلعل لي عذراً اذا ما نظرت اليه ملكاً لي، ولي وحدي . اوليس طبعياً ان ارغب بأعطاء هذا الشيء، الذي هو ملك لي، الى شخص آخر قبل ان اموت؟ في الاقل، هذا هو ما أشعر به

ومن ناحية أخرى، أفضل ان أرى هذا الملك بدءاً في حياتي على ان أعطيه لشخص لا يريده. في الحقيقة لو لم يكن هناك شخص من طينتك، لما عرف اي أحد أبداً بماضي حتى بطريقة غير مباشرة. اذاً، لك وحدك من بين ملايين اليابانيين. أرغب ان ابوح بماضي. والسبب هو انك صادق، وسبب آخر هو انك قد قلت مرة بكل صدق بأنك تريد ان تتعلم من الحياة نفسها.

بلا تردد، انني على وشك ان أقحمك في ظلال عالمنا المعتمة. نكن يجب ان لا تخف. حدّق بثبات الى الظلال واقتنص اي شيء مفيد لك في حياتك الخاصة. وحين أتحدث عن العتمة، انما أقصد العتمة الاخلاقية. لقد ولدت مخلوقاً أخلاقياً وربيّت على ان اكون رجلاً اخلاقياً. وربما كانت أخلاقي حقاً مختلفة عن أخلاقية شبان اليوم. لكنها في الاقل اخلاقيتي الخاصة. انني لم أستعرها بسبب ملاءمتها لي كما تلائم البدلة رجلاً. ولهذا السبب فانا اعتقد انك، انت الذي يطمح الى التطور، ربما تتعلم شيئاً من تجربتي.

ولسوف تتذكر كيف اعتدت على محاولة النقاش معي عن الاراء العصرية. كما سوف تتذكر أيضاً موقفي منها. ومع انني لم انكر تماماً اراءك. فيجب ان اعترف بأنني لم اقدر ان احمل نفسي على احترامها. لقد كانت افكارك بلا أساس متين، ثم انك كنت اصغر من ان يكون لك رصيد من التجربة. احياناً كنت اضحك. وحياناً كنت تنظر لي بأزدراء. وفي الاخير طلبت مني ان أنشر ماضي امام ناظريك كما انشر الصورة الملتقمة. وعند ذلك احترمتك لأول مرة. لقد انفعلت

بقرارك، وان يكن فظاً في التعبير، بأن تحوز على ذلك الجانب الحيوي في روعي . كنت تروم ان تشق قلبي وان ترى الدم الذي ينساب فيه . آنذاك كنت مفعماً بالحياة، ولم ارد ان اموت . ولهذا السبب رفضت طلبك وأجلت تلبية رغبتك الى يوم آخر . اما الان فأنا نفسي موشك على ان اشق لك قلبي وان ابلل وجهك بدمي . وسوف يرضيني ، بعد ان يتوقف قلبي عن النبض . ان حياة جديدة سوف تسكن في صدرك .

*

لم ابلغ العشرين بعد حينما فقدت ابوي معاً . واعتقد بان زوجتي قد ذكرت لك مرة بأنهما ماتا بمرض واحد . وكما اخبرتك . اذا كنت اتذكر على نحو صحيح ، بما أدهشك ، اي انهما توفيا في وقت واحد تقريباً . وسرداً للحقيقة فقد أمات التيفويد ، ذلك المرض المفزع ، ابي ، كما أصابت امي العدوى منه نتيجة رعايتها اياه . كنت ابنيهما الوحيد . وكانت عائلتي موسرة ، لذلك ترعرعت في جو من السخاء والدعة . وحينما اعود بذاكرتي الى الماضي لا استطيع الا ان اشعر بأنه لوبقي والداي - او في الاقل احدهما - على قيد الحياة ، لكان من الممكن ان احتفظ بطبيعتي الكريمة .

لقد بقيت بعدهما فريداً وياثماً كطفل ضائع . ولم اكن ذا خبرة ولم أسبر شيئاً من شؤون الدنيا . وحينما مات ابي لم يكن بمقدور امي ان تكون معه . وعندما كانت امي تحتضر لم يخبرها احد بأن ابي قد مات . ولا أدري ان كانت تعلم او أنها صدقتنا فعلاً عندما أخبرناها بأنه

كان يتعافى . وكل ما اعرفه انها طلبت من خالي ان يأخذ كل الامور على عاتقه . وقتذاك كنت حاضراً . فقد أومأت لي برأسها وقالت لخالي ، «ارجوك ان ترعى طفلي .» ويبدو انها ارادت ان تضيف الى قولها ، غير انها لم تفلح بأن تقول شيئاً سوى : « . . . الى طوكيو . . . » فقال خالي بسرعة ، «حسن . يجب ان لاتقلقي .»

ولعل كيان امي لم يستسلم للحمى بسرعة ، ولذلك قال لي خالي فيما بعد مادحاً اياها . «انها امرأة شجاعة .» ولا ادري ان كانت الكلمات القليلة هي آخر ما نطقت بها ام لا . وطبعاً كانت تعرف طبيعة مرضها المريع وان الاصابة بالعدوى جاءتها عن ابي . اما انا فلم أتأكد ابداً ان اعتقدت هي بأن في هذا المرض حتفها . ومهما كانت الكلمات التي تحدثت بها واضحة في اثناء ارتفاع الحمى ، فانها في الغالب لم تترك في ذاكرتها اثرأ عند خمود الحمى . ولهذا السبب انا . . . لكن لا بأس . ما اريد قوله هو انني منذ ذلك الوقت بدأت أظهر علامات دالة على طبيعة الشك العميق ، هذا الشك الذي لا يقبل بأي شيء بلا تحليل دقيق له . ومع ان هذا الوصف السابق غير وثيق الصلة بالجزء الرئيس في سردي هذا ، الا انني اشعر بأنه سوف يساعدك في فهم جانب من شخصيتي . وعليه ، اقرأ كل هذه المقاطع في ضوء هذا الوصف . وقد آلت بي طبيعتي الخاصة هذه الى الارتياب ليس بنزعات الأثراد الذاتية وحسب ، بل الى الارتياب حتى بكمال الجنس البشري قاطبة . وعليك ان تقررن بنفسك الي اي حد تفاقمت طاقتي في المعاناة . لقد انحرفت عن الموضوع كثيراً . واذا ما اخذت موقفي بنظر

الاعتبار، فانا حقاً هادىء تماماً. فلم اعد اسمع حتى هدير القاطرات التي يكون صوتها مسموعاً عندما يهجع بقية الناس. وكان يصلني غناء الحشرات الحزين من خلال ستائر النوافذ الخشبية فأشعر بأن غناءها عن قطرات الندى المنذرة بحلول الخريف. ان زوجتي تنام ببراءة في الغرفة المجاورة. ويحدث القلم في يدي خربشة خفيفة وهو يتابع الحروف حرف بعد حرف الى أسفل الصفحة. ويكون قلبي ساكناً وانا أجلس الى منضدتي. واذا ما بدت ضربات حروفي أحياناً سيئة التنظيم، فيجب ان لا يشتط بك التفكير بأن السبب يعود الى حالتي العقلية. في الواقع، يجب ان تعز ذلك الى عدم خبرتي بالقلم.

*

على اية حال، لم يكن لدي خيار، انا الذي بقيت وحيداً، الا ان أعتمد على عمي وفقاً لرغبات امي. ومن ناحيته قبل عمي بالمسؤولية الكاملة فرعى شؤوني. وكما كنت فقد رتب لي أمر الذهاب الى طوكيو. جئت الى طوكيو ودخلت الكلية. وفي تلك الايام كان طلبة الكلية اكثر عنفاً ووحشية نوعاً ما من طلبة اليوم. فمثلاً، اعرف عن طالب تشاجر مع غلام ممّهن في احدى الليالي وآذاه برأسه اذى سيئاً بقبقاويه الخشبيين. وكان هذا الطالب سكران، ولذا لم ير الغلام حينما اخذ منه قبعة الكلية في معمة الشجار العنيف. وبالطبع كان اسمه مكتوباً بأحرف واضحة على رقعة بداخل القبعة. وكان الشرطة متهيين للابلاغ عنه الى كليته، لكن بفضل تدخل الاصدقاء، حيل دون ان تصبح القضية علنية. اما انت فقد دخلت الكلية في ايامها المهدبة،

وعليه فلا بد ان تشعر بالاحتقار نحو تلك الافعال الفظة . وحينما اعود انا بالذاكرة لتلك الايام ، أشعر ايضاً بأننا كنا جميعاً حمقى .
ومهما يكن من امر ، فقد تميزت الحياة الطلابية آنذاك ببساطة محببة لا يجد المرء ما يماثلها اليوم . وكان المصرف الشهري الذي يرسله الي عمي اقل نسبياً مما اعتاد ابوك ان يرسله اليك . (بالطبع لقد ارتفعت كلفة المعيشة عما كانت عليه في ايام حياتي الطلابية .) لكنني أتذكر بأنني لم أحتج الي مصرف أكثر مما كنت أستلم . علاوة على ذلك ، كان وضعي المالي جيداً بحيث لا يتوافر لي سبب لكي احسد زملاء صفي . وحينما افكر بذلك ، فمن المحتمل ان عدداً كبيراً منهم كان يحسدني . وازضافة الي مصرفي المنتظم اعتدت ان استلم مصروفات للحاجات الطارئة وللكتب - وقد كنت مولعاً بشراء الكتب - واحرف من اجلها بحرية .

وبما انني كنت ساذجاً ، فأني لم أثق بعمي وحسب ، بل أعجبت به وحتى حسبت نفسي مديناً له . كان عمي رجل اعمال . وفي احدى الفترات ، كان عضواً في جمعية الولاية ايضاً . ويبدو انني اتذكر بأنه من خلال عضويته في الجمعية قد كُون علاقات مع حزب سياسي معين . ومع انه وابي كانا اخوين الا انه يبدو بأن شخصيتيهما قد تطورتا في اتجاهين مختلفين . كان ابي رجلاً بسيطاً ومستقيماً ، وكان هدفه الرئيس في الحياة الا يمس التركة التي خلفها له اسلافه وكان يجد متعة في جلسة الشاي وفي ترتيب الورود وكان يحب قراءة الشعر . ويبدو ان الرسوم والتحف القديمة كانت تستلفت اهتمامه ايضاً . كان بيتنا في

الريف واذكر ان بائعاً من المدينة قد اعتاد ان يزور ابي جالباً معه الرسوم ومحارق البخور وما شاكل . (كانت المدينة على مبعده ستة اميال ، وفيها كان يسكن عمي .) واعتقد ان ابي كان من النوع الذي يُنعت بكونه رجلاً غنياً ، وهو رجل ريفي مهذب ذو ذوق . وعليه كان يوجد تناقض بينه وبين اخيه النشط المعني بالامور الدنيوية . ومن الغريب انهما كانا مولعين تماماً احدهما بالآخر . وغالباً ما كان يتحدث ابي عن عمي بعبارات متأججة ، واصفاً اياه بأنه شخص كامل وبأن صفات اخيه اسمى من صفاته . وفي احدى المرات قال لامي ولي ايضاً :

«ان المشكلة في وراثه المرء لمال ابويه ، ان ذهنه يتبلد . وان من الخطل ان لايسعى المرء من اجل رزقه»

واعتقد انه قال ذلك من اجل منفعتي . في الاقل ، انه وجّه لي نظرة ذات مغزى في حينه . وهذا هو سبب تذكري لكلماته جيداً . وكيف كان بوسعي ان ارتاب بهذا العم الذي وضع ابي فيه ثقته وأعجب به كثيراً؟ ولما مات ابي وامي لم يُصبح هذا العم شخصاً يفخر المرء به ، بل اصبح ضرورة .



ولما رجعت الى البيت في الصيف التالي ، كان عمي قد سبق ان انتقل وعائلته الى بيتنا وكان هو سيد البيت الجديد . وكان هذا الامر قد رتب بيننا قبل رحيلي الى طوكيو . ومادمت لا امكث في البيت طوال الوقت ، فلا بد ان ترتباً من هذا النوع كان ضرورياً . واذكر اننا حينما اتفقنا على انتقاله الى البيت وادارته لاملاكنا في غيابي ، انه قال لي

بإتسامة: «بالطبع انه من ناحية اعمالى الخاصة، فالعيش فى بيتى الخاص يلائمنى اكثر من العيش فى بيت يبعد ستة أميال عن المدينة» كان لبيتى تاريخ طويل ولم يكن غير معروف فى الاقليم. وفى الريف، ومن المحتمل انك تعرف ذلك، يكون امراً خطيراً ان فرطت اوبعت بيتاً ذا عراقه طويله ان كان له وريث. ومثل هذه الامور لاتقلقنى الآن، لكننى كنت شاباً آنذاك، وكنت موزعاً بين الرغبة فى الذهاب الى طوكيو وبين الخوف من زعزعه مسؤوليتى بالارث.

وبلا حماسه وافق عمى على الانتقال الى بيتى. واصراً، على ايه حال، ان يُسمح له بالابقاء على سكنه القديم فى المدينة لكي يكون بوسعه المكث فيه ائى دعت الضرورة لذلك. ومن الطبيعى، لم تكن لئى ايه اعتراضات: اذ اننى كنت مستعداً للموافقه على اى ترتيب يمكننى من الذهاب الى طوكيو.

وبمشيئه طفلٍ احببت بيتى، وعندما بارحته اشتعلت فى قلبى لهفهه اليه. كنت مثل مسافر، بغض النظر عن المكان الذى يرحل اليه، لايشك ابداً بأنه سيعود الى موطن ميلاده يوماً ما. لقد جئت الى طوكيو بمحض ارادتى ولم يساورنى أقل شك بأننى سأعود عندما تقبل العطله. لذا فقد درست ولعبت فى المدينة الواسعه، وانا أحلم غالباً ببيتى.

لم تكن لئى فكره كيف قسّم عمى وقته بين المنزلين فى اثناء غيابه. على ايه حال. عندما وصلت، كان عمى وجميع افراد العائله يقيمون فى بيتى. واعتقد ان بعض اولاده ممن كانوا لايزالون فى

المدرسة كانوا يقيمون عادة في منزل المدينة وكان يؤتى بهم الى بيتنا في العطل .

كان الجميع مسرورين برؤيتي . وكنت انا مسروراً ايضاً لأن البيت صار مكاناً بهيجاً، ومن المؤكد انه ابهج مما كان عليه في حياة والدي . لقد اخرج عمي ابنه الاكبر من غرفتي التي كان قد احتلها واسكنني فيها . فأعرضت قائلاً بأنه مادام البيت مكتظاً فلا ضير من بقائي في غرفة أخرى . بيد ان عمي لم يصنع اليّ . قال : «على اية حال ، هذا بيتك .»

وعندما فكرت بأبي وامي انتابتنى لحظات حزن ، لكن على العموم استمتعت بصيف ممتع مع عائلة عمي . ومهما يكن ، كان هناك شيء واحد ألقى بظل خفيف على ذكرى صيفي هذا ، الا وهوان عمي . وعمتي حاولا اقتاعني اكثر من مرة ، انا الذي التحقت بالكلية حديثاً ، بالزواج . وحينما ذكرنا لي الزواج لأول مرة اوشكت ان اصعق ، ولما ذكرنا مرة ثانية رفضت التفكير في الموضوع بشدة ، اما في المرة الثالثة فوجدت نفسي مضطراً الى ان اسأل عن سبب رغبتهما في مناقشة هذا الامر . وكان السبب الذي طرحاه بسيطاً جداً ، اذ قالوا بأنني ينبغي ان اتزوج بأسرع وقت ممكن لكي اخلف والدي . وكنت انا نفسي تحت تأثير انطباع مبهج ، هو انني مادمت قد جئت الى البيت لقضاء العطلة ، فينبغي ان يكون كل شيء على ما يرام . وبإلطبع كنتُ على ألفة تامة مع عادات الريف لم يفتني معها ان الاجتز معقولية رغبة عمي بأن اتزوج وأستقر وريثاً لابي . وفضلاً عن ذلك ، لا اظن بأنني كرهت الفكرة حقاً ، غير انني كنت قد بدأت دراساتي في الكلية منذ عهد

قريب، ولم يكن الامر في نظري اكثر واقعية من مشهد بعيد يُنظر اليه من طرف منظار غير سليم . *

لقد نسيت كل شيء عن موضوع الزواج . وبدا لي ان لا أحد من الشباب في مجموعتي كان متخلقاً بالعادات المنزلية . فقد بدا ان الجميع كانوا يفعلون كما يشاؤون، وقد كانوا جميعهم، قدر ما اعلم، عزاباً . ومن الممكن لو تفحص المرء تواريخهم الشخصية بعناية لاكتشف بأن البعض منهم قد أقسروا على الزواج بالرغم من تصرفاتهم المستهترة، بيد انني كنت أصغر من ان ارتاب بأي شيء من هذا القبيل . علاوة على ذلك، حتى لو كان وجد امثال اولئك الرجال بيننا، فمن المشكوك فيه انهم كانوا يريدون الخوض في الحديث عن الزواج، وهو الموضوع الذي كان أبعد ما يكون عن افكار الطلبة الشباب . وعند التفكير بهذا الموضوع، كنت انا نفسي في مثل موقفهم، غير ان ذلك لم يقلقني، فقد افلحت في قضاء عام آخر في الكلية سعيداً .

وفي نهاية تلك السنة الدراسية حزمت حقيتي مرة أخرى ورجعت الى مستقر ابوي . وفي بيتي، حيث كان ابي وامي قد عاشا فيما مضى من الزمن، رأيت وجوه عمي وافراد اسرته ممثلة بشراً . ومرة أخرى استطعت ان استنشق هواء موطني، هذا الهواء الذي كان اثيراً لدي حينذاك كعهدي به قبل ذلك . كان شيئاً جميلاً ان اعود بعد عام من حياة التلمذة .

غير أنني لم أحظ بالمتعة طويلاً بالمحيط المؤلف الذي صار جزءاً

لا يتجزأ من كياني تقريباً. فمرة أخرى، طرقت عمي موضوع الزواج. وكانت الأسباب لرغبته في ان يراني متزوجاً هي الأسباب نفسها التي طرحها عليّ في العام المنصرم. لكن في هذه المرة، كان في باله امرأة لي، وهذا ما جعل الامر اكثر ارباكاً. وكانت المرأة التي اقترحها عروساً مناسبة لي هي ابنته، اي ابنة عمي. قال: «سيكون هذا الترتيب مناسباً للطرفين.» ويبدو ان اباك، قبل وفاته، كان له رأي مماثل.

واستطعت ان ارى جدوى مثل هذا الارتباط، كما استطعت ان اصدق بسهولة ان ابي كان على اتفاق مع عمي. بيد ان فكرة الزواج من ابنة عمي لم تخطر على بالي من قبل ابداً، ولولم يشر عمي الى مغنم هذا الزواج، لما خطرت على بالي قطعاً. وعليه انتابتي الدهشة، ومع ذلك اعترفت لنفسي بمعقولية رغبات عمي. ولربما كنت شخصاً عديم التفكير. على اية حال، اعتقد ان المصدر الرئيس في ترددي في الزواج من ابنة عمي كان يكمن في عدم اهتمامي الكامل بها. فعندما كنت طفلاً غالباً ما كنت اذهب للعب في بيت عمي في المدينة. واتذكر اني في الغالب كنت اقضي ليلتي هناك. وعليه كنت انا وابنة عمي اصدقاء طفولة. وانت تعلم طبعاً ان الاخ لا يقع في غرام اخته. في الواقع، ان من الجائز انني اكرر هنا ما هو معروف دائماً، لكنني بالتأكيد اعتقد انه لكي ينمو الحب لابد من جديد يوصل بينهما في المقام الاول. وبين شخصين عرف الواحد الآخر دائماً لا يمكن لهما ان يشعرا بالحافز الضروري للحب ابداً. ومثل النفحة الاولى للبخور المحترق، او مثل مذاق المرء لكأس

الساكي الاولى ، كذلك توجد في الحب لحظة يستشعر المرء فيها بطاقته كاملة . فمن الجائز ان يكون هناك ولع وليس حباً بين شخصين عرف الواحد منهما الآخر جيداً دون ان يدركا تلك اللحظة ابداً ، ومهما حاولت فلم استطع ان اروض نفسي على اتخاذ ابنة عمي زوجة لي . وقال عمي انني اذا اصررت على ذلك ، فانه على استعداد لأرجاء الزواج الى ما بعد تخرجي . واضاف ، «لكن ، كما يقول المثل . (لاتؤجل الاشياء الحسنة) ، اني اود ، اذا كان ممكناً ، ان اعلن الخطوبة الآن . » ويقدر تعلق الامري ، لم يكن كونها خطيبة لي امراً مرغوباً به أكثر من كونها زوجة ، لذلك رفضت . فتجهم وجه عمي . وصرخت ابنة عمي لا بسبب ما احزنتها فكرة العيش من دوني وانما بسبب رفضي الزواج منها الذي آذى كبرياءها الانثري . وعرفت جيداً بأنها لم تكن تحبني اكثر مما كنت احبها . ومرة أخرى رجعت الى طوكيو .

*

وفي الصيف التالي عدت الى موطني مرة ثالثة . وكالمعتاد انتظرت نهاية الامتحانات بفارغ الصبر، ثم مالبت ان اسرعت بمبارحة طوكيو بأسرع ما يمكن . كان موطني عزيزاً عليّ حقاً . وبالطبع انت تعلم ان هواء موطن المرء يبدو مختلفاً عن هواء اي مكان آخر . وحتى رائحة الارض تبدو انها تمتلك شيئاً خاصاً بها . علاوة على ذلك ، وجدت ان الموطن يريحي بذكراه الرقيقة عن ابي وامي . كنت اتلهف لشهري تموز وآب . اذ كنت استطيع فيهما ان اعيش كافعى تسببت في حجرها ، آمنة مرتاحة في محيطها المألوف .

كنت ساذجاً في تفكيري عندما ظننت بأن مسألة الزواج بابنة عمي قد سويت ، وان لاحاجة بي لأن اقلق بصددھا . واعتقدت انه مادام المرء في الحياة قد رفض جهازاً مالم يرغب به ، فانه سيرتك وشأنه . وعليه ، فأن عدم اذعاني لاقناع عمي لم يقلقني في الحقيقة الا قليلاً . وبعد قضائي عاماً دون اعطاء الموضوع تفكيراً كثيراً ذهبت الى موطني بحالتي النفسية المبتهجة المألوفة .

ومهما يكن ، فقد تبدل موقف عمي اتجاهي . فلم يستقبلني بذراعين مفتوحتين كما كان يفعل سابقاً . وبما انني كنت شخصاً لين العريكة ، فلم ألحظ هذا الا بعد ان أمضيت في بيتي أربعة او خمسة ايام . ان حادثة ما او ما شابه وجهت انتباهي الى ذلك ، وعندما نظرت حولي ، لاحظت بأن عمي لم يكن وحده الذي صار غريب التصرف وحسب ، بل لاحظت ان عمتي وابنة عمي صارتا مثله ايضاً . وحتى ابن عمي الاكبر الذي كان قد كاتبني قبل فترة قصيرة طالباً نصيحتي

بخصوص عزمه على الالتحاق بكلية تجارية في طوكيو بعد تخرجه من
الاعدادية، بدا انه يتصرف على نحو غريب ايضاً.

كان من طبعي ان ابدأ التساؤل. «ما هو السبب الذي غيّر
مشاعري؟» سألت نفسي. لكن سرعان ما صار السؤال:

«ما هو السبب الذي غيّر مشاعرهم؟» وفجأة بدأت افكر بأن ابي وأمي
المتيتين قد رفعوا الحجاب عن عيني لكي استطيع ان ارى العالم بجلاء
كما هو حقاً. وانت تفهم، في مكان ما من قلبي اعتقدت بأن ابوي،
ولو انهما رحلا عن هذا العالم، فأنهما لازالا يحبانني كما كانا يفعلان
وهما على قيد الحياة. ولا أحسب حتى في ذلك الحين ان الناحية
العقلية لم تكن متطورة لدي. لكن تجذرت عميقاً في كياني بذرة
خرافة ورثتها عن اسلافي. واعتقد انها لازالت موجودة.

ذهبت الى التل وحيداً حيث دُفن ابواي وركعت امام قبرهما. من
ناحية ركعت حزناً عليهما، ومن ناحية أخرى ركعت امتناناً لهما. وكما
لو ان سعادتني المستقبلية كانت رهن ايدي هذين المدفونين تحت
الصخرة الباردة، فقد رجوتهما ان يرعيا مصيري. ربما تضحك، ولن
الومك ان تفعل. لكنني كنت من هذا النوع من البشر.

وعلى حين غرة تبدل عالمي. وكنت قد مررت بهذه التجربة من
قبل. واعتقد ان هذا كان في سن السادسة عشرة او السابعة عشرة، اذ
أكتشفت، بهزة، انه يوجد جمال في هذا العالم. وفركت عيني مرات
عديدة، غير مصدق ما ارى. ثم صرخ فؤادي عالياً: «ما اجمله!» ففي
عمر السادسة عشرة او السابعة عشرة يصبح الاولاد والبنات «واعين

بالحب»، اذا ما استخدمنا التعبير الشائع . ولم اكن لاختلف عن الآخرين ، ولاول مرة في حياتي استطعت ان انظر الى النساء بأنهن تجسيد للجمال في هذا العالم . وما كان لعيني اللتين عميتا عن رؤية وجود الجنس الآخر الا ان تفتحا فجأة، وان ينكشف امامهما عالم جديد كامل .

واظن ان وعيي - وعيي المباغت - بموقف عمي كان تجربة مماثلة . لقد اندفع هذا الوعي بلا انذار . وظهر عمي وعائلته امام عيني كائنات مختلفة كلياً . فصُغت . وبدأت اشعر اني ان لم أفعل شيئاً فسوف أضيع .

*

لقد فكرت بأنني كنت مديناً لابوي الميتين بأن اكتشف من طريق عمي تفاصيل عن ثروة الاسرة التي تركتها في عهده . وبدالي انه مشغول جداً كما اعترف بذلك لانه لم ينم تحت سقف واحد اكثر من ليال معدودة في كل مرة . فمقابل كل يومين في بيتنا كان يقضي ثلاثة ايام في المدينة . واني رأيت، كنت أجده في حالة عصبية . « انني مشغول جداً، مشغول جداً . . . »، كان يقول ذلك بصورة تلقائية ثم لا يلبث ان يبارح المكان مسرعاً . وقبل ان اشرع بالارتياح به ، كنت ميلاً الى الاعتقاد بأنه مشغول حقاً ، او كنت اقول لنفسي ، عندما اكون ساخراً ، بأن المحتمل ان يكون التظاهر بالانشغال هو آخر طراز شائع . لكن بعد ان قررت ان أعقد حديثاً طويلاً معه عن ميراثي ، بدأت ارتاب بأنه كان يسعى الى تحاشي مثل هذا الحديث . على أية حال ، لم يكن اتصالي به يسيراً .

ثم سمعت بأن عمي كان يحتفظ بخليلة له في المدينة . لقد بلغني هذه الشائعة عن طريق صديق قديم كان زميلاً لي في المدرسة الثانوية . وعند التفكير بشخصية عمي وباحتفاظه بخليلة لم أدهش ايما دهشة ، الا انني صُعقت لانني لم اسمع مثل هذه الشائعات عنه في اثناء حياة ابي . وقد أخبرني صديقي عن أشياء أخرى قيلت عن عمي : منها وان كان يُظن بأن مشاريع اعماله فاشلة في وقت ما ، الا انه يبدو ان وضعه قد تحسن بشكل ملحوظ في السنتين او السنوات الثلاث الاخيرة . وبذلك توافر سبب آخر للارتياح بعمي .

واخيراً عقدت مؤتمراً معه . ومن الجائز ان يبدو القول بأنني ، عقدت مؤتمراً معه ، غريباً . لكن كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع ان اصف بها حديثنا . لقد أصرَّ عمي على ان يعاملني كطفل ، هذا بينما نظرت اليه بأرتيات منذ البداية . ومن المؤكد لم تكن هناك فرصة لانهاء حديثنا على نحو ودي .

ولسوء الحظ ، انني الآن في عجلة شديدة من أمري لا أستطيع معها ان اصف نتائج المؤتمر ، بتفصيل . ولكي أقول الحقيقة ، هنالك شيء اكثر اهمية اريد الكتابة عنه . ولستُ بقادر البتة ان اكبح قلبي الذي يبدو متلهفاً لأن يصل الى الجزء الرئيس للتصية . وبما أنني قد أضعت للابد فرصة الحديث معك في وقت فراغي ، فلا أستطيع ان اقول جميع الاشياء التي اريد قولها . فانا كاتب بطيء وغير مجرب ، ولدي وقت يسير .

وبالطبع انك لتذكر ذلك اليوم الذي قلتُ فيه بأن لاجود في هذا

العالم لشيء اسمه جنس بشري، هذا الجنس الذي تشكل الرداء
الخاصية الوحيدة له، وان على المرء ان يحترس دائماً أن لا ينسى ان
من السهل ان يتحول رجل نبيل، اذا ما أغوي، الى رجل وغد. وفي
حينه كنت طيباً بما يكفي لكي تشير بانني كنت منفعلاً. ولما سألتني
ايضاً عن السبب الذي يدعو الرجال الطيبين بأن يصيروا سيئين، ولما
اجبتك ببساطة بأن السبب هو «المال»، بأن عليك عدم الاقتناع. انني
لا تذكر جيداً تلك النظرة من عدم الاقتناع على وجهك. واعترف الآن
بانني كنت افكر بعلمي آنذاك. لقد كنت افكر بعلمي، بالحدك كله في
قلبي، الذي بدا يمثل نموذجاً للرجال الاعتياديين كلهم ممن تحولوا
اشراً بسبب المال، وممن بدوا لي مجسدين لجميع الاشياء غير
الجديرة بثقتنا في هذا العالم.

وبالنسبة لك، انت الذي رغبت ان تسبر عالم الافكار بععمق، لا بد
ان جوابي كان غير مقنع لك تماماً، ولا بد انه بدا لك مبتدلاً. لكن
بالنسبة لي. كان الجواب الذي طرحته حقيقة حية، الم اكن منفعلاً؟
اعتقد بأن الكلمات المنطوقة بعاطفة تتضمن حقيقة حية اكثر مما تفعله
تلك الكلمات التي تعبر عن الافكار المدركة عقلياً. فالدم هو الذي
يحرك الجسد. وليس المقصود بالكلمات ان تحرك الهواء فقط: انها
قادرة على تحريك اشياء اعظم.

*

باقتضاب، لقد خدعني عمي في مسألة ميراثي. وافلح في خداعي
بلا صعوبة كبيرة في غضون السنوات الثلاث التي كنت فيها بعيداً عنه
في طوكيو. لقد كنت ساذجاً على نحو لا يصدق اذ تركت كل شيء

تحت تصرف عمي ثقة به . وبالطبع يعتمد هذا على وجهة النظر: فالناس الذين لا يعدون الانهماك في الشؤون الدنيوية فضيلة كبيرة، من الجائزان يأخذ بألبابهم مظهر البراءة هذا . على اية حال، لا استطيع ابداً ان افكر بتلك الايام الا والعن نفسي لما كنت عليه من ثقة وبراءة . واجد نفسي اتساءل: «لماذا ولدت ذا طبع طيب؟» لكن، يجب ان اعترف، انني اتمنى احياناً لو انني لم افقد براءتي القديمة واكثر من ذلك اتمنى لو انني استطيع ان اكون ذلك الشخص الذي كنت عليه . ارجوك ان تتذكر بأنك التقيت بي بعد ان صرتُ قدراً . واذا كان المرء يحترم من هم اكبر منه سنّاً لأنهم عاشوا حياة اطول وصاروا اكثر منه قدارة، فمن المؤكد انني استحق احترامك .

ومما لاريب فيه هو انني لو تزوجت ابنة عمي كما اراد عمي لكنت قد أفدت مادياً . وبالطبع كانت اسبابه الحقيقية في رغبته بتزويجي من ابنته اسباباً اتانية . في الواقع لم تكن فائدة العائلتين هي التي أضمرها في قلبه : كان المقصود بزواجنا ان يوسع من مخططاته الاساسية الخاصة . انا لم احب ابنة عمي ، لكنني لم اكرهها ايضاً . وأجد الآن بأنني استمتع بقدرٍ من السرور لأنني رفضت ان اجعلها زوجة لي . لو تزوجتها لكنت حقاً ضحية خديعة ، لكنني في الاقل امتلك السلوان بأنني في مسألة واحدة فقط قد فرضت ارادتي . وهذا، على اية حال، من التفاصيل غير المهمة . وبالنسبة لك . لا بد ان يدولك بأنني غبي وسطحي نوعاً ما .

لقد تدخل اقرباء آخرون لي لكي يسووا الخصومة بيني وبين

عمي . لم تكن لدي ثقة بأي واحد منهم . في الحقيقة نظرت اليهم كأعداء لي . وحسبت ان من المفروغ منه مادام عمي قد خدعني ، فلا بد انهم يفعلون فعله . وقلت مع نفسي ، « اذا كان عمي الذي اطراه ابي كثيراً قد استطاع خداعي ، فأبي سبب يدعوني اذاً ان اضع ثقتي فيهم ؟ »

ومهما يكن ، فعن سبيل توسطهم أفلحت في استلام كل ما تبقى لي . وقد بلغ هذا المتبقي اقل مما توقعت بكثير . وكان يوجد امامي سبيلان مفتوحان : ان اقبل بهدوء ماقدم لي واما ان اقاضيه . كنت غاضباً ، لكنني تريت . وخشيت ان انا سلكت السبيل الثاني ، ان اضطر للانتظار فترة طويلة قبل ان تتخذ المحكمة قراراً . كنت طالباً وكان الوقت ثميناً جداً بالنسبة لي . ولم اشأ لدراستي ان تنقطع . فذهبت الى صديق قديم من ايام الدراسة الثانوية كان يسكن المدينة وطلبت منه ان يساعدني في تحويل جميع موجوداتي الى نقد . لقد نصحني ان لا افعل ذلك ، لكنني لم اصغ اليه . وقررت ان ابارح البيت واطل بعيداً عنه وقتاً طويلاً . واقسمت ان لا ارى ابداً وجه عمي مرة ثانية .

وقبل مغادرتي قمت بزيارة اخرى الى مقبرة ابوي . ومنذ ذلك الحين لم اراها . ولا اظن انني سوف اراها مرة ثانية .

لقد وضع صديقي اموري في نصابها مثلما طلبت منه ، ولو انه لم يكن قادراً على انجازها قبل مضي وقت طويل بعد رجوعي الى طوكيو . فلم يكن من السهل بيع اراضي المرء في الريف . علاوة على ذلك ، دائماً ما يكون المشترون المأمولون مسارعين في الافادة من مصاعب

المرء . وفي الاخير كان المبلغ الذي تسلمته اقل بكثير مما كانت تستحقه ارضي، وبغية ان اقول الحقيقة ، فقد اشتمل رأسمالي الاجمالي على عقود قليلة كنت قد جلبتها معي عندما غادرت البيت ، وكذلك على نقود كنت استلمها بالتعاقب بواسطة صديقي . ولا ريب ، كان ميراثي الاصلي يستحق اكثر من ذلك بكثير . وما وجدته مؤلماً بصورة خاصة هو انني نفسي لم اكن مسؤولاً عن تدني ثروة العائلة . وعلى اية حال ، فمن المؤكد ان ما امتلكه كان يزيد عن الكفاية بالنسبة لطالب . وفي الحقيقة ، لم استطع ان اصرف اكثر من نصف الفائدة الناجمة عن رأسمالي . ولو كنت في ظروف أقل يسراً كطالب ، لما كنت قد اضطررت للتورط في مواقف لم احلم بها كالتي مرت بي فيما بعد .

*

ولما لم تعد هناك حاجة الى مزيد من العيش المقتصد كما فعلت من قبل . فقد بدأت اتأمل في فكرة مغادرة القسم الداخلي الصاخب والاستقرار في بيت خاص بي . لكنني ، مع ذلك ، كنت متردداً في البداية في وضع هذه الفكرة موضع التطبيق . فلم ترق لي فكرة شراء الحاجيات المنزلية الضرورية وكذلك العثور على مدبرة منزل عجوز امينة تستطيع الاعتماد عليها في العناية الجيدة بالمنزل اثناء غيابي عنه . على اية حال ، لقد وطدت العزم في احد الايام على أن اخرج للنزهة وان ارى في الوقت نفسه ان كانت توجد بيوت خالية يمكن ان اجد فيها ما يجذبني بصورة خاصة . فتمشيت على امتداد الجانب

الايسر لتل هونغوداي، ثم ارتقيت الى اعلى منحدر كويشيكاوا الى معبد دينزون. من ناحية المظهر تغيرت المنطقة كلها منذ بدأت القاطرات تخترقها، لكن في تلك الايام كان يوجد فقط الجدار الطيني لمستودع الذخيرة على الجانب الايسر عندما يرتقي المرء الى اعلى المنحدر، اما على الجانب الايمن فكانت توجد حقول مكشوفة فقط. توقفت لحظة، ودون ان افكر بشيء معين، نظرت باتجاه التل على الجانب الآخر للوادي.

لم يكن المشهد مقيتاً حتى في الوقت الحاضر، لكنه آنذاك كان اكثر جمالاً. كان كل شيء اخضر على امتداد ما استطع ان ابصر: كان مشهداً مهدتاً للنفس. حينذاك بدأت اتساءل ان كان ممكناً العثور على منزل في المنطقة المجاورة. فمشيت عبر الحقول الى ان بلغت زقاقاً ضيقاً وواصلت السير فيه باتجاه الشمال. وحتى اليوم تتصف هذه المنطقة بمظهر مشوش يختلط فيه الحابل بالنابل. ولك ان تتصور ما كان عليه وضعها في تلك الايام الخوالي. ودرت حول المكان مخترقاً ازقة لاحصر لها الى ان وصلت الى دكان حلوى. ودخلت وسألت المرأة التي تدير الدكان ان كانت تعلم بوجود بيت صغير وانيق بوسعي ان استأجره. قالت، «حسناً، دعيني افكر الآن..» وبدت لحظة كأنها مستغرقة في تفكير عميق. ثم قالت، «أسفة لا استطع ان اتذكر اي بيت في هذه اللحظة.» ورأيت انه لا يوجد امل وكنت على وشك ان ابرح الدكان عندما سألتني، «هل تمانع في السكن مع عائلة؟» فتوفز اهتمامي. ومع ذلك، فكرت مع نفسي، ان من المحتمل ان يكون السكن كضيف وحيد يدفع ما عليه في بيت عائلي هادىء اكثر ملاءمة

من اقتناء المرء لبيت خاص به . فجلستُ وبدأت المرأة تخبرني عن عائلة تعرفها من الجائز ان تقبل بي .

انها عائلة عسكرية اولمزيد من الدقة ، انها عائلة كانت في الماضي مرتبطة بالطبقة العسكرية . وكانت المرأة تعتقد بأن رب العائلة قد قتل في الحرب الصينية - اليابانية . وقد عاشت العائلة المنكوبة في بيتهم القديم بالقرب من «مدرسة الضباط» في ايشيغايا لغاية العام المنصرم ، لكنها وجدته كبيراً جداً - كان من نوع البيوت الذي تلحق به اسطبلات - وعليه فقد باعته وانتقلت الى بيت اصغر . واخبرتني المرأة بأن ثلاثة اشخاص يسكنون في البيت وهم : الارملة وابنتها وخادمة واحدة . ومن الواضح ان الارملة قد قالت للمرأة بأن البيت الجديد موحش نوعاً ما وانها تود نزياً اذا كان بالامكان ايجاد شخص مناسب . ففكرت بأن البيت سيكون هادئاً جداً وانه سوف يلاءمني تماماً . لكنني خشيت ان عائلة كهذه لن ترغب بقبول طالب لم تعرف عنه شيئاً . واغراني ذلك بأن اقلع عن فكرة الذهاب الى البيت . مع ذلك ، ذكّرت نفسي بأنني كطالب كنت ابدو محترماً جداً . فضلاً عن ذلك كنت ارتدي قبعتي الجامعية . بالطبع سوف تضحك وتقول ، «ما الشيء المؤثر في قبعة جامعية؟» لكن في تلك الايام ، كان يُنظر الى الطلبة الجامعيين بأحترام يفوق ماينالونه الآن . وعليه فقد منحني قبعتي المربعة الشكل الثقة التي احتجت اليها . وبأتباع الارشادات التي قدمتها لي المرأة في دكان الحلوى ، وبلا تقديم مناسب من اي نوع ، سلكت طريقي الى البيت .

قدمت نفسي الى الارملة واخبرتها بالغرض من زيارتي . فسألتني برقة عما يتعلق بماضيّ وجامعتي وحقل دراستي وما شابه . ولابد ان اجوبتي قد ارضتها لانها لم تتردد في القول ان بوسعي الانتقال حالما اشاء . كانت السيدة تتميز بطريقة صريحة ومباشرة . فأثرت في جداً وفكرت مع نفسي : «هل جميع زوجات الجنود مثلها؟» وفي الوقت نفسه ، دهشت ان سيدة لها مثل هذه الشخصية القوية الواضحة ان تشعر بالوحشة .

*

وانتقلت مباشرة . وأسكنت في الغرفة التي جرت فيها مقابلتنا . كانت اجمل غرفة في البيت . وقبل ذلك كنت اسكن في مكان قذر: وفي زمني كانت توجد اقسام داخلية قليلة من الدرجة الاولى في منطقة هونغو . ولقد اعتدت على السكن في غرف كانت اكثر من ملاءمة بمعايير الطلاب . غير ان غرفتي الجديدة كانت تترك في النفس اثراً اعظم من اية غرفة سكنتها قبلاً في طوكيو . وعندما انتقلت اليها اول مرة شعرت بأنها ربما كانت افخم من ان يسكن فيها طالب . كانت غرفة ذات ثمان جدائل . ويوجد فيها فجوة ، والى جانبها بعض الرفوف المزخرفة . وعلى الجانب المقابل للشرفة توجد خزانة ملابس عرضها ستة اقدام . ولا توجد فيها نوافذ ، غير ان الغرفة تفتح على شرفة مشمسة مواجهة للجنوب . وحالما انتقلت الى الغرفة لاحظت مزهريّة ورد في الفجوة .

واستندت آلة كوتو^(١) الى جدار الفجوة^(٢) الى جانب الورد. لم يبهجني الورد ولا آلة الكوتو. ولما كنت قد تربيت على يدي اب كان مولعاً بأشياء معينة مثل الشعر الصيني والخط وطقس شرب الشاي، فقد كنت ميالاً، منذ الطفولة، الى الذوق المتمسم بالجفاف. فعرفت بما انتابني من شعور بالتأفف من هذه المحاولات الواضحة في اضافة الجمال كالتى وجدتها في الفجوة.

وبفضل عمي اختفى القسم الاعظم من مجموعة ابي الفنية، لكن مع هذا بقيت لي منها قطع قليلة ثمينة تركت معظمها لدى صديقي في بلدي لكي يصونها. مع ذلك، كانت توجد اربع او خمس صور درجية للتعليق كانت قد اثارت خيالي، لذلك اخرجتها من عليها الخشبية ووضعتها في قعر حقيبتي قبل ان اغادر الى طوكيو. كنت متلهفاً الى ان اعلق احدى تلك الصور في فجوة غرفتي الجديدة، لكن عندما رأيت الورد والكوتو، هان عزمي. وعندما عرفت فيما بعد بأن الورد قد وضع هناك بغية ابهاجي، سررت في سري وسخطت. والواضح ان الكوتو كانت موجودة هناك دائماً، واطن انهم لم يستطيعوا ان يجدوا مكاناً آخر لها.

ومن المحتمل أن ظل امرأة شابة بدأ الان يمر امام عين عقلك. ويجب ان أعترف بأنني بدأت اشعر بحب الاستطلاع فيما يخص

١- قيثارة يابانية.

٢- فجوة في الجدار.

المرأة الشابة حتى قبل ان انتقل . وربما جعلني هذا الفضول السمج من جانبي شاعراً بالذات ، اوربما أني لم اتغلب بعد على خجل الشباب ، لكن مهمما كان السبب ، فقد تصرفتُ بأرتباك شديد عندما تُدتمت الى اوجوسان Ojosan⁽¹⁾ . اما هي من جانبها فقد أحمرت حياء .

لقد سبق لي ان كُونت في ذهني صورة عن شخصها من ملاحظتي تُظهر امها وسلوكها . ولم تُظهرها هذه الصورة اكثر جمالاً وجاذبية . واعتقاداً مني بأن امها كانت زوجة جندي متفوق ، فقد ذهب بي الخيال بأنها كانت ابنة جندي نموذجية . لكن جميع افكاري السابقة عن اوجوسان تلاشت حالما رأيت وجهها . وامتألت بوعي جديد ، اعظم من اي وعي آخر خبرته من قبل . وهو الوعي بجبروت الجنس الاخر . بعد ذلك ، انقطعت الورد في الفجوة عن اثاره الاستياء في نفسي . ولم يضايقني وجود الكوتو بعد ذلك ابداً .

وفي كل مرة كانت تظهر فيها علامات الذبول على الورد في المزهرية ، كانت تدخل وتستبدلها . وحياناً كانت تدخل لتأخذ الكوتو الى غرفتها المقابلة لغرفتي على خط قطري . عند ذلك كنت اجلس الى منضدتي بهدوء وحنكي مستقر على يدي ، فأصغي الى صوت الكوتو . ولم اكن واثقاً ان كان عزفها جيداً اورديثاً . وبما انها لم تعزف ابداً قطعة يبدو عليها التعقيد فقد ملت الى الشك بأنها لم تكن بارعة

١- يجوز أن تُترجم هذه الكلمة «آنسة» أو «سيدة شابة» أو ، «أبنة محترمة»

تماماً. في الحقيقة اعتقدت بأن من المحتمل ان عزفها على الكوتولم يكن بأفضل من ترتيبها للورود. وانني لاعرف شيئاً ما عن الفن الاخير، لذلك استطيع القول بأطمئنان بأن اوجوسان كانت السيدة فيه.

ومهما يكن، فقد دأبت على تزين فجوة غرفتي بالورود من كل صنف، وقد زال عنها الشعور بالحياء. كانت الورود ترتب دائماً بالطريقة نفسها وفي المزهريه عينها دائماً. مع ذلك، فالشيء الاغرب هو الموسيقى. وكان جل ما يسمعه المرء سلسلة من الاصوات المترددة والمتقطعة والناقرة، وكان عسيراً على المرء ان يميز الغناء الذي قصد به ان يصاحب هذه الاصوات. انا لا اقول بأنها لم تغن. غير ان غناءها كان رخواً وكان يتميز بما يمكن للمرء ان ينعته بالنغم الحميمي. وعندما تُوبخ كان يُسمع صوتها اقل خفوتاً. على اية حال، حدقت بسعادة الى الورود المرتبة ترتيباً رديئاً وأصغيت الى الموسيقى الغربية.

*

عندما غادرت بلدتي لآخر مرة كنت في حينه مبغضاً للبشر. وقد تجذرت في كياني عميقاً في حينه فكرة أن الناس لا يمكن الوثوق بهم. وحينذاك بدأت افكر بعمي وعمتي وجميع الاقارب الاخرين الذين تهيأ لي ان اكرههم كنموذج للجنس البشري كله. وفي القطار المتوجه الى طوكيو وجدت نفسي انظر الى رفاقي المسافرين بأرتياب. وعندما حدثني اي واحد منهم صرت أكثر ارتياباً. كان قلبي مثقلاً بالهم. وشعرت كما لو أنني ازدرت رصاصاً. وكانت اعصابي منفعله.

وانا واثق بأن وضعي الذهني كان مسؤولاً كلياً عن رغبتني في مغادرة القسم الداخلي . وبالطبع سيكون من البساطة بمكان لو عزوت الرغبة في الحصول على بيت خاص بي الى ما توافر لي من بحبوحه، لكنني مقتنع بأنني ماكنت لازج بنفسني في مشكلة الانتقال لو كان التغيير ناجماً عن سبب اقتصادي بحت .

ولفترة لا بأس بها بعد انتقالي الى كوشيكواوالم استطع ان انل قسطاً من الاسترخاء . لقد نظرت الى كل شيء من حولي بدهاء واضح حتى انني خجلت من نفسي . ومن الغريب جداً، أنني اصبحت اقل فأقل ميلاً الى الكلام، بينما زاد عقلي وعياني من نشاطهما زيادة متفاقمة . وجلست الى منضدتي بصمت وراقبت حركات الآخرين في البيت مثل قط . واحترست جداً وشعرت بما يكفي من القناعة بأنني اذنبت بحقهم . وكنت اقول لنفسي متأففاً، «انني اتصرف كسارق جيوب لايسرق .»

ومن المحتمل ان تسأل نفسك : «اذا كان هو حقاً في مثل هذه الحالة، فكيف كان قادراً على ان يشعر بعاطفة نحو اوجوسان؟ وكيف استطاع ان يستمتع بترتيبها الرديء للورود ويعزفها على الكوتو؟» واستطيع ان اجيب بأنني جربت حقاً هذه العواطف المتصارعة حينذاك، ولا استطيع الا ان أصف لك هذه المشاعر بكل ما استطيع من صدق . وانا واثق بأنك لعلني قدرة تامة في ايجاد التفسير المرضي لك . لكن دعني أقل هذا : لقد صرت اشكك بالناس في المسائل المادية، لكنني لم اتعلم بعد

الشك بالحب . وعليه ، ومع ان هذا الامر قد يبدو غريباً بالنسبة لشخص آخر ، كما قد يبدو متناقراً حتى بالنسبة لي عندما افكر به ، الا انني لم اع تماماً أي صراع بين هاتين الحالتين الذهنتين . كان من عادتي ان أنادي على الارملة بـ(اوكوسان)^(١) ، ولذلك سوف اشير اليها بهذا الاسم من الآن فصاعداً . وكان من عادة اوكوسان ان تعلق على طبعي الهادىء - كما تسميه - وعلى هدوئي . وفي احدى المناسبات اطرتني بكوني مجدداً بالدراسة . ولم تقل شيئاً عن تقلقلي او مراوغتي . ولا ادري ان كانت قد اخفقت في ملاحظة تصرفي الغريب أو قد كانت من الأدب بمكان بحيث لم تذكر شيئاً ، لكن يبدو من المؤكد بأنها كانت تميل الى ان تنظر لي نظرة حب .

وفي احدى المرات بلغ بها الامر ان تقول لي بنغمة اعجاب بأنني امتلك قلباً كريماً . وكنت صادقاً بما يكفي لأن يتورد خدائي خجلاً وان اقول بأنها مخطئة . فقالت بجد تام ، « انك تقول هذا لانك غير شاعر بمحاسنك الخاصة . » ويبدو انها لم تتوقع ان يسكن في بيتها طالب . وعندما كانت قد ابلغت الجيران عن استعدادها لاسكان نزيل ، كان من الواضح انها تأمل ان يتقدم في طلب ذلك موظف مدني . واشك بأنها كانت مستسلمة للحقيقة التي مفادها بأن الموظف الضعيف ذا

١- من الممكن ترجمتها بـ(ربة البيت) أو (السيدة) .

الراتب القليل وحده هو الذي يريد غرفة في بيت شخص آخر. وعندما وصفتني بكوني شخصاً ذا قلب كريم ، فلا بد انها كانت تقارنني بما في مخيلتها عن هذا الموظف المدني الرّث . وصحيح انني كنت املك مالاً واعتقد بأنني عشت بطريقة كان من المستحيل ان يعيش بها اولئك المرتبكة احوالهم المالية . لذلك كنت أسرف في المسائل المالية لكي اكون متحرراً . غير ان هذا النوع من التحرر لعلاقة له بطبع المرء . وبيدوان اوكوسان ، بالطريقة التي عليها النساء . كانت مستعدة للافتراض بأن موقفي ازاء المال هو علامة على كرم قلبي .

✱

وتدرجياً بدّلت طريقة اوكوسان نحوي حالتي الذهنية الخاصة . فصرت اقل مراوغة وبدأت اشعر بمزيد من الاسترخاء . واطن ان ما منحني راحة كبيرة هو ان اوكوسان وبقية اعضاء الاسرة لم يلحظوا تصرفي المتشكك والمنطوي . وبما انه لم يوجد اي شيء في محيطي يبرر الخدر ، فقد بدأت انعم بالسكينة . كانت اوكوسان امرأة ذات ادراك ، ومن الممكن بأنها تصرفت على هذا النحو لانها عرفت وضعي النفسي . ومن الممكن ايضاً انها حسبتني حقاً شخصاً هادئاً وكريماً وتمعهاً . والصفة الاخيرة هي الاكثر رجحاناً ، لانني لا اظن بأن سلوكي الظاهري قد فضح غالباً ما في باطني من اضطراب .

وشيئاً فشيئاً ، وكلما زدت هدوءاً صرت اعرف العائلة على نحو أفضل . وبدأت ابادل النكات مع اوكوسان واوجوسان .

وفي بعض الايام دُعيت لارتشاف الشاي معهما. وفي بعض الاماسي عندما كنت اخرج واشتري الحلوى كنت ادعوهما الى غرفتي. وفجأة شعرت بأن حلقة معارفي قد اتسعت على نحو ملحوظ. صحيح ان ساعات كثيرة قد بُددت في الحديث وكان يجب ان تصرف من اجل الدراسة. وادهشني اكتشافه انني لم اعبأ بذلك ابداً. وبالطبع كانت اوكوسان تؤدي عملاً قليلاً طيلة النهار. لكن ما ادهشني هو انه لم يبدأ ابداً على اوجوسان الانهماك بالعمل، مع انها لم تداوم في المدرسة فقط، بل كانت تدرس ترتيب الورود والعزف على الكوتو ايضاً. وعليه كنا نحن الثلاثة على استعداد كاف، كلما سنحت الفرصة، لأن نجتمع سوياً يسلي بعضنا الآخر بأحاديث صغيرة. وكان من المألوف ان تأتي اوكوسان لزيارتي. كانت احياناً تظهر على الشرفة وحياناً تأتي عن طريق غرفة الصباح وتظهر عند باب غرفتي. وكانت تقف ساكنة لحظة ومن ثم تنادي بأسمي وتقول. «هل انت تدرس؟» وفي العادة اكون محمداً بجد الى كتاب ضخم مفتوح على منضدتي، وعليه لا بد انني كنت ابدو شخصاً عالمياً نوعاً ما. لكن، بغية ان اقول الحقيقة، لم يكن في كثير من صفات الطالب يومذاك. ومن الجائز انني نظرت في كتب كثيرة، لكنني كنت عادة انتظر ظهور اوكوسان. واذا ما اخفقت في الظهور بالصدفة، كنت انهض واذهب الى غرفتها واقول، «هل انت تدرسين؟» كانت غرفة اوكوسان مجاورة الى غرفة الصباح. وكانت اوكوسان تجلس في غرفة الصباح احياناً، وفي غرفة ابنتها احياناً اخرى. وكانت

السيدتان تستخدمان الغرفتين كغرفة واحدة كبيرة، ولم تنظراي منهما الى احدى الغرفتين غرفة خاصة بها. وكلما ناديت عليهما من خارج الباب، كانت اوجوسان دائماً هي التي تقول، «ادخل». اما اوجوسان، حتى وان كانت هناك، فمن النادر جداً ان شاركت امها في الدعوة. وحياناً، عندما كانت اوجوسان تأتي الى غرفتي في مهمة ما، كانت تجلس بغية المحادثة. وفي مثل تلك الاوقات كنت اشعر بأضطراب غريب. وبعد ذلك، احاول بنجاح قليل ان اقنع نفسي بأن اضطرابي لا يعدو كونه ارتباكاً طبيعياً لشاب وجد نفسه وحيداً مع فتاة شابة. انه لم يكن ارتباكاً بقدر ما كان شعوراً بالقلق، وكان سبب هذا القلق ذلك الشعور غير الطبيعي بأنني كنت على نحو ما خائناً لذاتي الحقيقية. اما هي من ناحيتها فقد بدت مطمئنة تماماً. في الحقيقة كانت رابطة الجأش حتى انني اتساءل، «هل هذه هي الفتاة نفسها التي أسمع صوتها اثناء دروس الكوتو؟» وحياناً عندما كانت تطيل المكث، كانت امها تنادي عليها.

واتذكر في اكثر من مناسبة انها كانت ترد فقط بعبارة، «انا قادمة»، وكانت تبقى في مكانها. على اية حال كانت اوجوسان طفلة. كان ذلك واضحاً تماماً بالنسبة لي. وما هو واضح في نظري ايضاً انها كانت تريد مني ان اعرف بأنها لم تعد طفلة.

*

بعد مبارحتها اتحسر بآرتياح. وفي الوقت عينه كانت تبدو الغرفة خالية، وكنت أستميحها عذراً في داخلي للراحة التي شعرت بها.

ربما انني كنت اتصرف كأمرأة. ولا بد ان يكون الامر كذلك بنظر شاب حديث مثلك. لكن الغالبية منا كنا على هذه الشاكلة في تلك الايام. ونادراً ما كانت تخرج او كوسان خارج البيت. ومتى ما كانت تفعل كانت تحرص على ان تصطحب او جوسان معها. وليس بوسعي القول ان كانت تفعل هذا لسبب معين او بلاسبب. ولعل من غير اللائق بي تماماً ان اقول هذا، لكن ظهر لي بصورة مؤكدة بعد ان راقبت او كوسان بعناية فترة من الوقت، بأنها كانت تشجعني وتشجع ابنتها على ان نتألف مع بعضنا على نحو افضل. ومن ناحية اخرى، كانت هناك اوقات بدت فيها محترسة مني. وفي المرة الاولى التي اعطتني فيها هذا الانطباع انزعجت قليلاً.

انت ترى. انني اردت ان اعرف بالضبط ما هو موقفها. من وجهة نظري في الاقل، كان تصرفها غير منطقي تماماً. وبما ان عمي كان قد خدعني مؤخراً، لم أطق ان امنع نفسي من الشك بأزدواجية او كوسان ومن الافتراض بأن احد موقفها كان خداعاً مقصوداً. ولم استطع ان افهم سبب سلوكها المتضارب ظاهرياً. كنت اسأل نفسي، «لماذا كانت تتصرف على هذا النحو الغريب؟» وعندما لاعتشر على جواب لسؤالي، كنت اتمتع بغضب مع نفسي، «نساء!» بعد ذلك احاول ان اجد الاطمئنان بالتفكير بأن او كوسان كانت تتصرف هذا التصرف لانها امرأة، وان النساء، على اية حال، غيبات.

وعلى الرغم من احتقاري للنساء. وجدت ان من المستحيل ان احتقر او جوسان. وبداء لي ان هذا السبب كان واهناً في حضورها. كان

حبي لها اقرب ما يكون الى التقوى . وقد تظن انه لمن الغريب ان
استعمل هذه الكلمة ، بدلالاتها الدينية ، في وصف شعوري تجاه
امرأة . لكنني اعتقد حتى الآن - واعتقد بذلك بقوة - بأن الحب
الحقيقي لا يتعد كثيراً عن الايمان الديني . وفي كل مرة ارى فيها وجه
او جوسان كنت اشعر بأنني نفسي اصبحت جميلاً . وفي كل مرة فكرت
بها كنت اشعر بأحاساس جديد من السموينع في داخلي . واذا كان
هذا الشيء المبهم الذي نسميه حباً يستطيع اما ان يظهر الجانب
القدسي في الانسان او ، في صورته الدنيا ، ان يستثير غرائزه البدنية ،
فمن المؤكد ان حبي كان من النوع السامي . انا لم اقل بأنني لم اكن
مثل الرجال الآخرين . فانا مخلوق من لحم ايضاً . غير ان عيني اللتين
تبصرانها وخليدي الذي ضم افكاراً عنها ، كانا بريئين من الرغبة
الجسدية .

وكما تستطيع ان تتصور جيداً ، أصبحت العلاقات بيننا نحن الثلاثة
معقدة نوعاً ما . وازددت ولعاً بالابنة اكثر فأكثر بينما زاد عدائي للأم .
وعلى اية حال ، ما اقل ما كنا نسمح لمشاعرنا ان تظهر على السطح ،
كما لم يلمس علناً التغيير في جو البيت . بعد ذلك فجأة ، لسبب او
آخر ، بدأت اتساءل ان كنت قد اخطأت في موقفي من او كوسان .
وبدأت افكر ربما لم يكن التضارب الواضح في تصرفها علامة على
الخداع ، وعلى عكس شكّي السابق ، ربما لم يكن اي واحد من
موقفها محاولة واعية لخداعي . وتوصلت للاعتراف بإمكانية وجود
الموقفين المتصارعين ظاهرياً جنباً الى جنب ، وان وجود احدهما لا

يحتاج بالضرورة الى ان يجعل الآخر مستحيلاً . وحتى عندما كان يبدو عليها الاحتراس فجأة بعد تشجيعها ابتتها أن تكون ودودة معي ، قرأ رأيي اخيراً بأنها لم تغير فكرتها حقاً : وانها منعنا عن المزيد من التقارب الا بالقدر الذي سمح به شعورها بالتملك . ولقد شعرت تماماً ، انا الذي لم أضمر نوايا غير شريفة ، بأن لاضرورة لقلق اوكوسان ، وعليه انقطعت عن ان احملها ضغينة .

بعد ذلك بوقت قصير ، عندما رصدت سلوك اوكوسان نحوي في منظور مغاير ، أستنتجت بأنها وضعت ثقة كبيرة في . فضلاً عن ذلك ، توفر لي المبرر للاعتقاد بأنها بدأت تثق بي منذ اول مرة التقينا فيها . وكان هذا الاكتشاف صدمة كبيرة لي ، انا الذي تعلمت ان لامحضر ثقتي لأي احد . وساءلت نفسي ، «هل وهبت النساء قدرات عفوية عظيمة يعرفن بها لاول وهلة بمن يضعن اولاً يضعن ثقتهن؟» وفيما بعد سألت نفسي «أليس الرجال يخدعون النساء دائماً لانهن ما نحات ثقة؟» ومن الطريف ان افكر بأنه لم يخطر على بالي آنذاك ان اتفحص ثقتي بأوجوسان ، هذه الثقة التي لم تستند الى شيء سوى العفوية . ومع انني اقسمت بأن لاثق بالناس ابداً ، الا انني وثقت بأوجوسان ثقة تامة . مع ذلك وجدت ثقة اوكوسان بي امراً لا يصدق تماماً .

لقد اخبرتها بالنزر القليل عن بيتي . ولم اقل شيئاً عن الحدث الذي دعاني الى مغادرته . فبالنسبة لي لم يكن شيئاً محبباً ان افكر بذلك ، فما بالك ان اتحدث عنه . وعليه حاولت دائماً ان اوجه الحديث عن حياة اوكوسان الماضية . لكنها لم تشأ ان تسعفني . فأصرت مرات

كثيرة على ان تسمع عن بيتي . وفي الاخير، اخبرتهما بكل شيء . ولما قلت بأنني لن اذهب ابداً الى بيتي مرة ثانية مادام لم يبق لي شيء هناك سوى مدفن ابوي ، بدا التأثير الشديد على اوكوسان . بكت اوكوسان . وشعرت بأنني فعلت الشيء الصحيح بأخبارهما قصتي . وكنت مسروراً .

بعد الحديث ، بدأت اوكوسان تتصرف وكأن حدوسها عني قد تأكدت وبدأت تعاملني كما تعامل قريباً شاباً لها . فلم يزعجني هذا . على العكس كنت مسروراً . وعلى اية حال ، بعد فترة قصيرة ، بدأت ارتاب بدوافعها مرة اخرى .

كان شيئاً تافهاً جداً ذلك الذي جعلني في وضع ذهني مرتاب . غير ان هذا لم يمنعني من ان ازيد ارتياباً مع مضي الوقت . ان حدثاً صغيراً ما - نسيت ما هو - قد ادخل في رأسي الفكرة بأن اوكوسان كانت تفرض عليّ ابنتها بالدوافع عينها التي دفعت عمي عندما رغب ان يزوجني من ابنته . وصارت اوكوسان التي حسبتها شخصاً حنوناً مخططة مآكرة في عيني . فامتلات تأففاً .

وحيثما اخبرتني اوكوسان لأول مرة بأن الوحدة هي السبب بأنها ارادت نزيلاً ، صدقتها ، وبعد ان تسنى لي ان اتعرف عليها جيداً لم اجد سبباً يدعوني لتغيير رأبي . من الناحية الاخرى كانت امرأة غنية على اية حال ، وكنت طبعاً زوجاً مأمولاً لابنتها من وجهة نظر مالية . ومرة أخرى وجدت نفسي في موقف دفاعي . وبالطبع لم اكسب شيئاً من موقف كهذا ما دمت قد بقيت غائصاً في حبي لاجوسان . فضكحت من نفسي بسخرية . وقلت لنفسي بأنني غبي . ولولم تشتت

بي الظنون، لما عانيت كثيراً، ولكنك قد ضحكت على نفسي بكوني
أحمق متقلباً. غير انني بدأت اكون بائساً حقاً عندما خطر لي بأن
اوجوسان ربما لم تكن اقل تخطيطاً من امها. وكان من المؤلم على
نحو لا يحتمل ان اتخيل ان الاثنتين كانتا تخططان من وراء ظهري .
فلم اكن حزيناً فقط، بل كنت قانطاً. بيد ان جانباً آخر مني كان قد وثق
بأوجوسان ثقة مطلقة. فوقفت ساكناً غير قادر على الحركة من النقطة
الوسطية بين التصديق والشك. وفي نظري بدا الامر ان تلفيق
خيالي، ومع ذلك بدا الأمر حقيقيين.

دأبت على حضور المحاضرات في الجامعة. لكن الاساتذة الذين
كانوا يقفون على المنصات بدوا بعيدين جداً وكانت اصواتهم خافتة .
ولم استطع الدراسة. وكانت الاحرف المطبوعة التي تراها عيناى
تتوارى مثل دخان متصاعد قبل ان تصل عقلي . كما صرت صامتاً .
واساء صديقان او ثلاثة الظن بصمتي فأبلغوا الاخرين بأنه كان يبدو
عليّ الاستغراق العميق في نوع من التأمل الفلسفي . فلم احاول ان
احزرهم من الوهم . وحقاً كنت سعيداً بأن اتخفى وراء القناع الذي
البسوني اياه بلا فطنة . وعلى أية حال، لم اكن راضياً تماماً عن هذا
الدور . واحياناً كنت أبدي نوبات من اللهو الصاخب مما كان يدهشهم
على نحو ملحوظ .

لم يرد البيت زوار كثيرون . وظهر ان لا وكوسان اقرباء قليلين .
واحياناً كانت صديقات اوجوسان في المدرسة يزرنها، الا انهن كن
هادئات حتى ان المرء لا يشعر بوجودهن في البيت . لقد كن هادئات

من اجلي ، الا انني لم اعرف هذا . اما اصدقائي الذين كانوا يأتون الى البيت فلم يكونوا فظين ، الا انهم لم يكونوا حيين الى الحد الذي يهمسون فيه من اجل راحة الناس الاخرين . وفي مثل تلك الاوقات بدا انني اتمتع بجميع حقوق مالك البيت ، بينما كان موقف اوجوسان لا يعدو كونه موقفاً من ضيف غير مرغوب فيه .

ومهما يكن من شيء فليس لهذا شأن كبير . ببساطة انني ادونه لأنه خطر على بالي : الى جانب ذلك فهو يُفضي بي الى شيء اقل أهمية . ففي احد الايام سمعت صوت رجل قادم من غرفة اوجوسان . وبما انه ضيف اوجوسان فقد تحدث بأهدأ مما كان يفعل اصدقائي . وعليه وجدت من المستحيل ان اسمع ما كان يقول . فبقيت جالساً الى منضدتي في حنق يائس . وسألت نفسي ان كان قريباً لها او مجرد صديق . وهل كان شاباً ام عجوزاً؟ وبالطبع كان من المستحيل ان أجد أجوبة لاسئلتي هذه في غرفتي . وكان من غير الممكن ان أقحم نفسي في غرفة اوجوسان لافحص الزائر . كنتُ اكثر من مُثار: كنت في عذاب حقاً . وحالما بارح الرجل البيت تركت غرفتي لكي اسأل من هو . فأجابنا بجواب بسيط . كان من البساطة الى درجة لم تقنعني .

فنظرت اليهما بعدم رضئ ، وكانت تنقصني الشجاعة بأن الحف في السؤال . وبالطبع لم يكن لي الحق بأن اكون فضولياً جداً . وكان يجب علي ان أصون كرامتي واحترام ذاتي اللتين تعلمت ان اقدرهما . غير ان الحقيقة هو ان احترام الذات هذا لم يفلح جيداً في التغلب على فضولي السمج الذي بان على وجهي المستاء . فضحكتا . وقد

ارتبكت في تلك اللحظة ان اكتشف ان كانتا قد فعلتا ذلك من باب
السخرية او من باب الصداقة . فيما بعد سألت نفسي مراراً ، «هل
جعلنا مني أحمق ام لا؟»

وكنت طليقاً ان أفعل أي شيء أشاء . وبلا استشارة اي احد كنت
قادراً على ترك الجامعة في اي وقت ، وان اذهب انى اشاء ، وان اعيش
بالاسلوب الذي يوائمني ، وان اتزوج ان شئت . وفي الغالب ، كنت
على وشك ان اطلب من اوكوسان السماح بأن اتزوج ابنتها .

لكن في كل مرة كنت اقرر ان افعل هذا ، كنت أعير تفكيري
بسرعة . وان فكرة رفض طلبي لم تفزعني . صحيح ، ان الحياة ستكون
مختلفة من دون اوجوسان ، لكنني فكرت بأنه في الاقل سيكون هناك
تعويض بأمكانية القدرة على النظر الى عالم جديد نظرة ذات افضلية
اخرى . علاوة على ذلك ، فكرت بأن لدي الشجاعة الكافية لأن اتقبل
مثل هذا التغيير . لكنني كرهت فكرة ان تغويني اوكوسان بأبتلاع
طعمها . ومهما حصل ، فقد اقسمت مع نفسي ، بأن لا احد قطعاً
سوف يجعل مني نسخة مطابقة لما فعله بي عمي .

✱

ولما رأت اوكوسان انني لا أشتري شيئاً سوى الكتب ، قالت لي
بأنني يجب ان اشتري لنفسني ملابس جديدة . وحقاً ، ان جميع
الملابس التي كنت املكها خيطة لي في بلدتي من القطن المنسوج
محلياً . وفي تلك الايام لم يكن مألوفاً ان يرتدي الطلاب الملابس
الحريرية . واتذكر ان صديقاً لي تسلم مرة ثوباً حريراً خالصاً من

اهله . وبالمناسبة كان ابوه تاجراً من يوكوهاما وكانت اذواقه متمسة بالتباهي . وعندما وصل الثوب ضحكنا جميعنا من الزميل . فأرتبك اشد الارتباك وأعتذر بجميع المعاذير . فدفع به الى داخل حقيبته ولم يرتده . وفي الأخير شجعناه على ارتدائه . ولسوء الحظ تجمع البرغوث فيه من مكان ما . ولا بد ان صديقي سُرب ذلك فلم يضع وقتاً بالتخلص من الثوب الذائع الصيت . فلَفَّه على شكل صرة واخذه معه في احدى نزهاته وألقى به في خندق كبير في (نيزو) . وكنت معه وقتذاك . واتذكر وقوفي على الجسروانا ارقب صديقي بأشراح . ولم يخطر على بالي ابداً في حينه بأن افكر بأنه كان متلافاً .

لقد وقع هذا كله عندما كنت لا ازال اقيم في قسم داخلي . ولقد نضجت منذ ذلك العهد ، لكن لم يتولد لدي الشعور بالملبس بعد لكي ابدأ بالاهتمام بكوني حسن الھندام . وكنت لا ازال احمل فكرة غريبة هي ان الملابس كالشارب تأتي بعد التخرج . وهذا هو السبب بأنني المحت الى اوكوسان بان الملابس ليست ضرورية امام ضرورة الكتب . لقد عرفت بأنني اشتريت عدداً كبيراً من الكتب ، فسألني ، «اخبرني ، هل تقرؤها جميعها؟» وبالطبع كان بينها كتب ضرورية مرجعية كالقواميس ، لكن كانت توجد ايضاً كثير من الكتب التي حتى لم افتحها بعد . وكنت حائراً في جوابي . وفكرت بأنني مادمت سأشتري اشياء غير ضرورية ، فيجدر بي ان اصرف النقود على الملابس كما اصرفها على الكتب .أضافة الى ذلك ، كنت أريد أن أشتري هدية لأوجوسان ، مثل وشاح او قطعة قماش ، بحجة أظهار

تقديري ازاء ضروب عطفهما الكثيرة . وعليه طلبت من اوكوسان ان تتلطف وتشتري شيئاً مناسباً لابنتها ولي ايضاً .

فرفضت اوكوسان ان تذهب بنفسها . وطلبت مني ان ارافقها . كما انها اصررت ايضاً ان تأتي ابنتها . وبما اننا شبينا في جو مختلف تماماً عما هو عليه الحال الآن ، فلم نعتد نحن الطلبة على ان يشاهدنا الناس في الشوارع برفقة النساء الشابات . ووقتذاك كنت اشد ما اكون عبودية للتقاليد مما انا عليه الآن . فترددت في البداية ، لكنني تغلبت مؤخراً على هواجسي وخرجت مع السيدتين .

لقد عنيت اوجوسان عناية كبيرة بمظهرها . ومع انها كانت بطبيعتها ذات بشرة شفافة ، الا انها غطت وجهها بمسحوق ابيض على نحو مفرط مما جعلها تبدو منافية للذوق السليم . فحدق اليها المارون . والحقيقة ان ما وُلد لي هذا الشعور الغريب ، هو انه بعد ان كانوا ينظرون اليها نظرات ثاقبة كانوا يبدأون بالتحديق الي .

ذهبنا ثلاثتنا الى مخزن (نيهونباشي) واشترينا ما رغبتنا به . وكان من الصعب ان نقرر ماذا نشتري ، وامضينا هناك وقتاً اكثر مما توقعنا . واصرت اوكوسان على ان اعطي رأياً بكل شيء كان يُعرض علينا . كانت تكسوكتف اوجوسان بقطعة قماش ثم تطلب مني ان اخطو الي الورا خطوات قليلة وتقول ، «حسناً ، هل يعجبك؟»

حاولت ان العب دوري بشكل صحيح ، ولم اتخاذل قطعاً في ابداء نوع من الرأي . فأقول ، «لا اظن هذا يبدو جيداً جداً» او «اجل ، هذا يناسبها تماماً .»

وفي الاخير عندما غادرنا المخزن، حان وقت الغداء . وقالت اوكوسان بأنها من اجل ان تشكرني على لظفي ، فأنها تود ان تدعوني الى الغداء . فقادتنا الى شارع جانبي ضيق اسمه (كيهارادانا) حيث لاحظت وجود مسرح صغير قديم الطراز. وكان المطعم الذي دخلنا فيه ضيقاً كالشارع . لم اكن اعرف هذه المنطقة، وقد دهشت لان اوكوسان كانت على معرفة جيدة به .

كان وقتاً متأخراً جداً في المساء عندما عدنا الى البيت . وكان اليوم التالي يوم احد، وقضيته في غرفتي . وحالما ظهرت في الجامعة صباح يوم الاثنين، تقدم نحوي زميل لي وبدأ يضايقني . وقال بجديّة متهكّم، «متى تزوجت؟» يجب ان اقول: ان زوجتك جميلة جداً. « لا بد انه قد رآنا نحن الثلاثة في (نيهونباشي) .

*

عندما وصلت الى البيت اخبرت اوكوسان و اوجوسان بما قاله صديقي . فضحكت اوكوسان . ثم القت عليّ نظرة غريبة وقالت، «لابد ان ذلك قد ضايقتك نوعاً ما .» وفي التوفكرت ان من المحتمل ان تكون هذه وسيلة المرأة لكي يفصح الرجل عن افكاره الداخلية . ولربما كان حرياً بي آنذاك ان اخبرها بصراحة عن شعوري تجاه ابنتها . الا انني كنت في ريبة من الامر الى حدٍ لم الجأ فيه الى التصريح . فكبحت حافزي ل اخبارها بالحقيقة، ووجهت قاصداً الحديث بعيداً عن ذاتي الى موضوع زواج اوجوسان . حاولت ان اكتشف مخططات اوكوسان من اجل ابنتها . ومن

الواضح انها المحنت الى ان اوجوسان سبق لها ان تلقت عروضاً للزواج . ووضحت بأنه مادامت ابنتها في المدرسة فهي تشعر بأنه لا حاجة للأستعجال . ومع انها لم تكشف عن ذلك ، الا انها وضعت ثقتها بجمال ابنتها وان بوسعها أن تزوجها في أي وقت تشاء . كانت أوجوسان ابنتها الوحيدة ، وكان من الطبيعي ان تتردد في مفارقتها . وأشك بأنها كانت في ورطة فيما اذا كان ينبغي ان تسمح لها بالزواج لتصير عضواً في عائلة أخرى ام ان ترتب من اجل اختيارزوج لابنتها يصير عضواً في عائلتها .

وكلمًا استطرده الحديث ، شعرت بأنني أزداد علماً بأشياء ذات اهمية من اوكوسان . لكنني ضيعت فرصة الحديث عن نفسي . ولما فكرت بأنني لا أستطيع في هذه المرحلة من الحديث ان اطرح كلمة عن نفسي ، فقد قررت ان اغادر بأسرع وقت ممكن دون ان ابدو فظاً كانت أوجوسان جالسة بالقرب مني عندما اخبرتهما بما قاله صديقي صباحاً: وحتى انها قالت بجذل ، «هذا زائد عن الحد!» لكنها انسحبت بهدوء الى ركن الغرفة في مجرى الحديث ، وكانت جالسة وظهرها إلي . لم انتبه الى انتقالها الى الركن الا بعد ان اوشكت على القيام لاغادر . فرأيت ظهرها لما استدرت ونظر اليها . وبالطبع كان من الصعب ان اقرأ افكارها دون ان ارى وجهها . وحتى انني لم اطق ان احدهس ماهية شعورها ازاء الزواج . لقد جلست بالقرب من خزانة الملابس .

كان باب الخزانة مفتوحاً وادركت بأنها استخرجت شيئاً ما منها ووضعت في

حجرها وكانت تنظر اليه . ومن خلال باب الخزانة المفتوح لمحت قطع القماش التي اشتريتها قبل يومين . كانت قطعة القماش التي اشتريتها لها والقطعة التي اشتريتها لنفسى موضوعتين الواحدة فوق الاخرى . لم اقل المزيد، وكنت على وشك ان اقف عندما قالت اوكوسان لي فجأة بنبرة جادة، «ماذا تظن؟» . وللحظة كان سؤالها مباغتاً جداً فتساءلت عماذا كانت تتحدث . ثم ادركت بأنها كانت تسألني فيما اذا كان لاينبغي لابنتها ان تتزوج او ان تتزوج عن قريب . قلت، «اوه، اعتقد بأنها ينبغي ان تنتظر فترة، اليس كذلك؟» فقالت اوكوسان بأنها تعتقد بذلك ايضاً .

كانت العلاقات بيننا نحن الثلاثة قد بلغت هذا الحد عندما ظهر رجل آخر في الساحة . واصبح عضواً في البيت، وبفعله هذا غير مجرى مصيري . ولولم يعترض هذا الرجل طريقي ابداً، فلا اظن قطعاً ان تنشأ الحاجة لأن اكتب هذه الرسالة الطويلة لك . لقد مرّ الشيطان قبلي ، اذا جاز التعبير، والقى بظله عليّ لحظة . ولم اعلم بأن مروره هذا قد سوّد حياتي الى الابد . ويجب ان اخبرك بأنني انا الذي جررت هذا الرجل الى البيت لكي يسكن معنا . لقد اخبرتها بكل شيء عن الرجل ثم سألتها ان كان ممكناً ان يأتي ويمكث معنا . في البداية رفضت . لكن بينما شعرت بأنني مضطراً تماماً لدعوته ، بدا انها لا تملك اساساً معقولاً لاعتراضها . واخيراً، أفلحت بأقناعها . واستطعت ان افعل ما حسبته صائباً .

*

وهنا سأطلق على صديقي اسم (ك). كنت انا و(ك) صديقين منذ عهد الطفولة. لذلك لم تكن بي حاجة للقول بأننا من الاقليم الريفي نفسه. كان ك ابناً لقس من طائفة (شينشو) كان الابن الثاني، وقد ارسل الى بيت طبيب معين ليكون ابناً متبنى له. كانت كنيسة (هونغان) ذات سلطة قوية في مقاطعتي التي ولدت فيها، وكان قس (شينشو) اكثر غنى من قس أية طائفة اخرى. فمثلاً. اذا اتفق ان تكون لقس شينشوي ابنة بعمر الزواج، فإنه سيواجه صعوبة قليلة في تزويجها الى شخص من اسرة مناسبة بفضل الاعانات المالية الحميدة للبرشي. وبالطبع فإن مصروفات الزواج لن تخرج من جيب القس. ولاسباب من هذا القبيل كان قس كنيسة شينشوناجحين واثرياً عموماً. لقد عاشت اسرة ك عيشة مريحة. لكنني لا ادري ان كان لديهم ما يكفي من المال لارسال ابنهم الى طوكيولكي يكمل دراسته. كما أنني لا ادري فيما اذا كانت ترتيبات التبني قد أخذت لكي تتحسن فرص الثقافة العالية له. ومهما كان السبب، فقد ذهب ك آنذاك الى بيت الطبيب كأبن متبنى. لقد حصل هذا عندما كنا لانزال في المدرسة الثانوية. وحتى انني لا تذكر بدهشة الآن، وفي اثناء المناداة على اسمائنا، ان اسم صديقي قد بُدِّل فجأة.

كانت اسرة(ك) الجديدة ثرية، وهي التي مولته في دراسته، وعليه جاء الى طوكيو. ومع انني وك لم نرحل معاً، الا اننا حللنا في القسم الداخلي نفسه. وفي تلك الايام، كانت ممارسة مألوفة ان يسكن وان

ينام طالبان او ثلاثة في غرفة واحدة وان يعملوا على مناظرة موضوعة
الواحدة جنب الأخرى، كما فعلنا انا وك. لقد كنا مثل وحشين
أصطيدا في الجبال، يحتضن الواحد الآخر ويحدقان بغضب من
قفصهما الى العالم الخارجي. كنا نخشى من طوكيو ومن سكانها. مع
ذلك، عندما نكون في غرفتنا الصغيرة، كنا نتحدث بأحتقار عن العالم
قاطبة.

بيد اننا كنا جادين، وكنا ننوي بجد ان نكون من عظماء الرجال في
يوم ما. وحقاً، كان كان ك جاداً. وبما انه ولد في معبد، فغالباً ما كان
يتحدث عن «تكريس الذهن». وبالنسبة لي، بدا ان هذه العبارة كانت
تصف حياته اليومية على نحو كامل. فأمتلأ قلبي بالتبجيل لـ(ك).
ومنذ ايام المدرسة كان من عادة ك ان يحيرني بطرحه قضايا عويصة
مثل قضيتي الدين والفلسفة. ولا اعلم ان كان هذا نتيجة تأثير والده او
نتيجة ولادته في بيت يمتلك جواً غريباً عن المعابد. على اية حال،
بيدولي انه يمتلك من صفات القس اكثر مما يمتلكه القس
الاعتيادي. ان والدي ك بالتبني بعثا به الي طوكيو وأصلاً بقصد ان
يجعلا منه طبيباً. غير ان ك، الذي كان عنيداً جداً، جاء الي طوكيو مع
الاصرار على الا يكون طبيباً ابداً. لقد لمته واشرت له بأنه انما يخدع
ابويه. ووافقني بشجاعة ثم، اجاب بأنه لا يبالي ان يفعل مثل هذا
الشيء مادام ذلك سيقوده الي «الطريق الصحيح». وفي الاحتمال
الارجح، حتى هو نفسه لم يعرف ماذا كان يقصد بـ«الطريق الصحيح»
وبالطبع اننا لم اعرف. لكن بالنسبة لنا نحن كشابين، بدت هذه

الكلمات الغامضة مقدسة تماماً. ومع ما كنتُ عليه من جهل، كنت واثقاً من أن لا خِسة في قراره المتحمس باتباع ما تمليه عليه مشاعره النبيلة، كما بدت لي. وعليه فقد وافقت تماماً على اراء (ك). ولا ادري الى اي حد شجعت موافقتي (ك). وبلاريب، ما كان لـ(ك) بما تميز به من عقلية فريدة، ان يغير رأيه مهما أفترتُ عنه. ومع انني كنت صغير السن، أحسب انني كنت أعني تقريباً مسؤوليتي المستقبلية من خلال تشجيعي (ك) اذا ما وقع له شيء نتيجة لقراره. وتضمنت موافقتي المتحمسة انه اذا ما نشأت مثل هذه المناسبة في المستقبل وعندما ننظر بعيون ناضجة الى ما فعلناه في الماضي، فسوف اكون مستعداً تماماً لأن اتحمل نصيبي المناسب من المسؤولية، ولوانني لم اشعر في تلك اللحظة بالاستعداد التام لمثل هذه الضرورة.

*

(ك) وانا دخلنا الكلية نفسها. ودون ان تظهر عليه علامات وخز الضمير بدأ يتبع «طريقه الصحيح» المحبوب بالنقود التي كان يرسلها له والداه بالتبني، وأستطيع القول بأنه في غشه كان أقل قلقاً مني، وبدا واثقاً بأنه لن يُضبط ابداً، كما بدا واثقاً تماماً بأنه حتى اذا ضُبط فلن يأبه بذلك اطلاقاً.

ولما حان وقت عطلتنا الصيفية الاولى، لم يذهب (ك) الى بلدته. وقال بأنه سوف يستأجر غرفة في معبد في (كوماغومي). وحقاً عندما رجعت الى طوكيو في اوائل ايلول وجدته مستكناً في معبد قدر بالقرب

من (كانون) العظيم . كانت غرفته صغيرة جداً وهي قريبة تماماً من بناية
المعبد الرئيسة . وكان سعيداً جداً لأنه كان قادراً هناك ان يدرس على
هواه . وعند ذلك أدركت بأن حياته اخذت تتحول شيئاً فشيئاً الى حياة
كاهن . كان يضع سبحة حول رسغه ، وعندما سألته ما الغاية منها ،
اراني كيف يعد الخرز بأبهامه وهو يقول : واحد ، اثنان ، الخ . من
الواضح انه كان يعدها مرات عديدة في اليوم . الا انني لم افهم
المعنى الكامن وراء هذا العد . وفكرت . . من المؤكد ان لانهاية لعد
الخرز المنظومة في خيط دائري . بأية افكار في رأسه كان (ك) يعد تلك
الخرز؟ والآن غالباً ما يخطر على بالي هذا السؤال عديم الجدوى .
كما انني لاحظت انجياً في غرفته . فدهشت قليلاً . ومع انني
استطيع ان اتذكر بأنه تحدث في مناسبة عن محاورات بوذا ، الا انني
لاستطيع ان اتذكر انه جاء على ذكر المسيحية قطعاً . قال (ك) بأنه
لا يوجد سبب خاص لوجود الانجيل سوى ظنه بأن من الطبيعي ان يقرأ
المرء كتاباً له قيمته العالية عند الآخرين . وأضاف بأنه ينوي قراءة
القرآن عندما تسنح له الفرصة .

واخيراً ذهب الى أهله في عطلة الصيف التالية بعد ان أجبروه على
ذلك . ويظهر انه لم يقل شيئاً عن حقل دراسته عندما كان في البيت
ويظهر ان أهله لم يرتابوا ابداً . وبما انك شخص حسن الثقافة ، فمن
الواضح انك جيد المعرفة بمثل هذه الامور ، غير ان الناس عموماً
جاهلون على نحو مدهش بحياة الطلبة والاصول الاكاديمية وما شاكل
ذلك . فالاشياء التي تكون من المعارف الاعتيادية بالنسبة لنا لاتكون

معروفة أبدأ أي من هم خارج نطاق عالمنا . ثم اننا نحن الذين نعيش في جو منعزل نسبياً لسنا غير ملمسومين تماماً اذا ملنا للاعتقاد بأن المسائل الاكاديمية ، مهمة كانت ام غير مهمة ، معروفة جيداً في جميع ميادين الحياة . وفي هذه المسألة بالذات يبدو ان (ك) كان اكثرمني خبرة بالحياة والناس .لقد ترك اهله دون ان يلوح عليه تشوش .كنا مسافرين الى طوكيو معاً وحالما اقلنا القطار سألت (ك) جرت الامور بينه وبين اهله . فأجاب بأن كل شيء على ما يُرام .

وفي بداية العطلة الصيفية الثالثة . وكان في نهاية تلك العطلة انني قررت مغادرة مسقط رأس والديّ الى الابد ألحفت على (ك) ان يذهب الى اهله ، لكنه لم يصنع الي . في الحقيقة سألني عن سبب ذهابي الى اهلي في كل عام . من الواضح انه كان يرغب في البقاء في طوكيو وان يدرس . وبتردد تركته في طوكيو وذهبت الى بلدي لوحيد . وفيما يتعلق بالشهرين اللذين امضيتهما في بلدي واللذين اثرا جداً في حياتي المستقبلية ، فلن اكتب عنهما مرة ثانية ما دمت قد فعلت ذلك مسبقاً . وبفؤاد مليء بالاستياء والحزن والوحشة رأيت (ك) في أيلول مرة ثانية . ووجدت ان الظروف ،بالنسبة له قد تحولت نحو الاسوأ . ودون علمي كتب الى ابويه معترفاً بخداعه انهما .

من الجلي انه كان عازماً منذ البداية على ان يكتب مثل هذا الاعتراف في نهاية الامر . ولربما كان يأمل منهم ان يقولوا بأن الوقت ا قد فات جداً لكي يغير خططه وان يسمحوا له ، مهما كانوا عليه من حقد تجاهه ، بأن يواصل دراسته فيما رغب فيه .على اية حال ، يبدو ان (ك)

لم يرغب بخداع ابويه ما دام قد استعد لدخول الجامعة . ومن الجائز انه ادرك ان ليس بإمكانه ان يواصل الخداع بلا نهاية، حتى ان اراد ان يفعل ذلك .

*

لقد غضب والد (ك) بالتبني حينما قرأ رسالة (ك) . وردّ عليه برسالة قاسية قال فيها بأنه ليس بوسعه ان يمدّ بالمال شخصاً غير منضبط للحد الذي يغش فيه ابويه، فأطلعني (ك) على الرسالة . وأطلعني ايضاً على رسالة أخرى وصلته في حوالي الوقت نفسه الذي وصلت فيه الاولى . وكانت من عائلته الاصلية . وكانت رسالة تقريع قاس في لهجتها كالرسالة الاخرى، وربما كان سبب القسوة عائداً الى احساس اهله بالامتنان تجاه من تبنيها (ك) . على اية حال ، أخبر (ك) بأنها لمضية وقت اذا فكر بأن احداً ما سوف يهتم بأمره . وسواء رجع الى ابويه الاصيلين بسبب هذه الواقعة المؤسفة ، او فكر بطريقة ما للتسوية والبقاء مع الوالدين اللذين تبنياه . فتلك مسألة متروكة للمستقبل ، الا ان ما كان يتطلب اهتماماً مباشراً هو مسألة دفع اجور تعليمه .

سألت (ك) ان كانت لديه اية افكار محددة بخصوص هذه المسألة . فقال (ك) بأنه فكر بان يعلم في مدرسة ليلية . وبالمقارنة بالوقت الحاضر، كانت الظروف سهلة في تلك الايام على نحو مدهش، ولم يكن من الصعب، كما يجوز ان تفكر، ايجاد طريقة ما في تأمين مدخول . لذلك حسبت ان (ك) سيدبر الامر على احسن ما يكون . وفي الوقت نفسه شعرت بمسؤوليتي الخاصة في المسألة . فعندما

قرر (ك) ان يعارض رغبات ابيه بالتبني وميوله ، كنت انا الذي شجعته . وفي تلك المرحلة لم يكن بوسعي الوقوف جانباً والنظر بلا مبالاة الى صديقي في ورطته . وفي الحال قدمت الى (ك) مساعدة مادية . فرفض (ك) بلا تردد . كان من طبعه ان يشعر بمتعة كبيرة في ان يكون قادراً على تمويل نفسه بدلاً من تلقي المساعدة من صديقه . وبأختصار ، كان من رأيه انه حالما يدخل الجامعة سيكون من العيب عليه كأسان راشد ان لا يقدر على حل مشاكله الخاصة بنفسه . ولم يكن بطاقتي ايداء مشاعر (ك) لمجرد ارضاء احساسى الخاص بالمسؤولية . وعليه فقد انسحبت وتركت (ك) يفعل ما يراه مناسباً .

بعد ذلك بفترة قصيرة وجد (ك) نوع العمل الذي اراده . ولك ان تتصور كم كان مؤلماً بالنسبة لـ(ك) الذي كان يثمن وقته جداً ، ان يقوم بمثل هذا العمل . وبهذا العبء الجديد الملقى على كتفيه حث نفسه اكثر من ذي قبل لكي يدرس كما كان يفعل في السابق . وبدأت اقلق على صحته . لكنه كان رجلاً قوي الجنان فلم يُعر تحذيراتي القلقة اي اهتمام .

وفي ذلك الوقت زادت العلاقات بينه وبين متبنيه سوءاً وصارت اكثر تعقيداً . ولما لم يكن الآن لدى (ك) وقت فائض فقد تضاءلت فرص التحدث معه كما كنا نفعل من قبل ، ولم اسمع بجميع التفاصيل ، لكنني عرفت كم ان حل المشكلة صار عسيراً . وعلمت أيضاً بأن شخصاً ما قد قام بالتوسط بين الطرفين . وبالفعل فقد حاول هذا الشخص برسالة وجهها اليه ان يقنع (ك) بالمجيء الى بيته . غير ان

(ك) رفض قائلاً بأن ذلك من المستحيل على الاطلاق. ان هذا العناد من جانبه. او هكذا بدا بالنسبة للاهل في البلدة، مع انه بين لهم بأنه ليس بأستطاعته مغادرة طوكيو في الفترة الفصلية - قد جعل الموقف اسوأ، وانه لم يؤذ مشاعر ابويه بالتبني وحسب، بل اغضب ابويه الاصيلين ايضاً. وبتأثير من قلقي كتبت رسالة توفيقية للتخفيف من مشاعرهم، لكن بدا إنه لم يكن لها تأثير عليهم اطلاقاً. ويبدو ان رسالتي لم تستحق الرد حتى بكلمة واحدة. فغضبت ايضاً. الى ذلك الحين جعلتني الظروف اتعاطف مع (ك)، اما الآن فقد قررت ان اقف الى جانبه، سواء اكان على صواب او خطأ.

في النهاية قرر (ك) ان يصير رسمياً عضواً في عائلته الاصلية مرة اخرى. واتخذوا الترتيبات في اعادة ما صُرف على (ك) من نقود الى ابويه المرحومين في التبني لقاء تعليمه الى حد تلك الفترة. على اية حال، لن يفعل اهله له غير هذا. وقالوا بأنهم نفضوا ايديهم منه. وبأستخدام التعبير القديم الطراز، اعتقد بأنه «طُرد من بيت ابيه». ومن ناحية أخرى، ربما لم يقصد اهله انهاء التعامل مع (ك)، لكن (ك) في الاقل شعر بأنه حُرِم من الميراث. كان (ك) يتيماً من ناحية الام، ومن المحتمل جداً ان جزء من شخصيته كان ثمرة تربية زوجة الاب له. ولا يستطيع الا ان اشعر بأنه لو كانت امه على قيد الحياة، لما كان لمثل هذه الفجوة الواسعة ان تنشأ بينه وبين اهله. وسبق لي ان قلت بأن والد (ك) كان كاهناً. لكنني اعتقد بأنه في احترامه الثابت للشرف، كان اقرب ما يكون الى الساموراي منه الى رجل كاهن.

*

لقد خفت الاحتياج حول (ك) نوعاً ما عندما تلقيت رسالة طويلة من زوج اخته الكبرى . واخبرني (ك) ان هذا الرجل قريب لابويه في التني ، وعليه فقد لعب دوراً مهماً في اجراءات التني ومن ثم في ابطاله .

في هذه الرسالة طلب مني زوج الاخت راجياً ان يعرف اذا كان (ك) على ما يرام . وقال بأن اخت (ك) قلقة عليه وانها تود ان تصلها اخبار عنه بأسرع ما يمكن . وكان (ك) يحب اخته اكثر مما يحب اخاه الاكبر الذي خلف اباه في منصب القسيس . لقد ولداً أم واحدة لكن كان يوجد فارق مهم في السن بين (ك) واخته . وبالنسبة له كانت تبدو هي الام اكثر مما تبدو له زوجة ابيه .

اطلعت (ك) على الرسالة . فلم يعلق بشيء سوى انه نفسه قد تسلّم رسالتين او ثلاثاً بالمضمون نفسه من اخته وانه اجاب عليها بأنه لا ضرورة للسئ . ولسوء الطالع ان اخته لم تتزوج رجلاً من عائلة غنية . ومع انها تعاطفت مع (ك) الا انها لم تستطع ان تمنحه مساعدة مادية . كتبت جواباً لزوج الاخت كررت فيه تقريباً ما كان (ك) قد ذكره في رسائله سابقاً . وعلى أية حال ، أضفت تأكيداً مصاعاً بكلمات قوية بأن (ك) يستطيع دائماً ان يعتمد على مساعدتي متى ما كان ذلك ضرورياً . وبالطبع كنت صادقاً في تأكيدي . كذلك شعرت بأنه يجدر بي ان اخفف من قلق اخت (ك) بأقصى ما يمكن . ولكن ليس من شك بأنني في الحافي بقوة على انني استطيع مساعدة (ك) ، كنت

بطريقة غير مباشرة حاقداً على ابيه وعلى والديه في التبني اللذين كما بدا قد عاملوني بأحتقار.

لقد أُبطل تبني (ك) في سنته الاولى في الجامعة . وعلى مدى عام ونصف عام بعد ذلك ، عمل بجهد لاعالة نفسه . وفي الاخير بدأت افكر بأن هذا الضغط المتواصل قد اثر على حالته البدنية وحالته العقلية . وبالطبع فإن الشجار الذي سبق قراره بالتخلي عن العائلة التي تبنته كان قد ترك اثراً في نفسه . فزاد عاطفية اكثر فأكثر ، واحياناً كان يتحدث كأنه يحمل على ظهره سوء حظ البشرية كلها . وحينما يشير احد ما الى لا معقولة هذا الموقف ، كان يغضب جداً . وبعد ذلك كان يبدأ بالقلق على مستقبله الذي لم يعد واعدأ كما كان من قبل . من الصحيح ان كل فرد يبدأ عمله الجامعي ونفسه تنطوي على طموحات كبيرة مثل رجل ينطلق في رحلة طويلة ، لكن بعد ذلك بعام او عامين يدرك معظم الطلبة فجأة بطء تقدمهم . ويجدون انفسهم بعد التخرج ابعده ما يكونون عن حالة التحرر من الوهم . ولا ريب ان (ك) قد بلغ هذه المرحلة في عمله . غير ان بأسه كان اعظم مما هو مألوف بين زملائه الطلاب . واخيراً قررت بأن الشيء الوحيد الذي افعله هو ان احاول التخفيف عنه قليلاً .

قلت له بأنه يجب ان لا يعمل اكثر مما هو ضروري . واخبرته بأنه من اجل مستقبله العظيم يجب ان يريح نفسه ويمتعتها . ومعرفةً مني بعناد (ك) لم اتوقع ان اجد مهمتي يسيرة . لكنني ما ان بدأت حتى أكتشفت بأن مهمتي صعبة ومسخطة اكثر مما تصورت . كان يعتقد بأن المعرفة

الدراسية لم تكن هي هدفه . قال بأن المهم هو ان يصبح شخصاً قوياً من خلال ممارسة قوة الارادة . من الواضح ان هذا يمكن ان يتم فقط بالعيش في حالة ازمة مالية شديدة . وبالحكم عليه بمعايير شخص اعتيادي ، ربما كان مجنوناً قليلاً . فضلاً عن ذلك لم يظهر ابداً ان الازمة المالية الشديدة قد زادت قوة ارادته . حقاً ، ان هذه الازمة المالية قد خلقت منه رجلاً عصابياً . وبيأس تظاهرت بموافقة صادقة على ارائه . وقلت بأنه كانت لي الرغبة دائماً ان احيا حياة مثل حياته . (لم اكن غير صادق كلياً . فدائماً ما وجدت (ك) مقنعاً في النقاش وكان يستطيع اقناعي في أية لحظة بأي شيء تقريباً .) واخيراً اقترحت بأن يسكن معي لكي يتسنى لي ان اتعلم ان احيا حياة على طراز حياته . وبسبب عناده اضطررت على الانحناء له . لكن اخيراً افلحت في الاتيان به الى البيت .

*

كانت ترتبط بغرفتي حجرة صغيرة تؤدي اليها . ولغرض الوصول الى غرفتي كان يجب المرور بهذه الحجرة من غرفة الجلوس الامامية . لذلك لم يكن موقعها مناسباً . لقد انزلت (ك) فيها . كان قصدي ان يشاركني (ك) في غرفتي وان نترك الحجرة الاخرى غير مشغولة وان نستخدمها معاً اذا لزم الامر ذلك . غير ان (ك) لم يصغ لاقتراحي قائلاً بأنه يفضل ان تكون له غرفته الخاصة مهما كانت صغيرة . وكما قلت ، كانت اوكوسان ضد هذا الترتيب منذ البداية . لقد قالت بأن نزيلين في مثنوى . لأنسب من نزيل واحد ، وان ثلاثة نزلاء لأريح من

اثنين . الا انها اشارت الى انها لاتدير مثنوى وليست لديها الرغبة بأن تقبل بنزيرل آخر . فقلت لها بأن صديقي لن يسبب لها ازعاجاً . واجابت بأنها تكره وجود غريب في بيتها سواء أكان مزعجاً او غير مزعج . فقلت لكنني انا غريب . ايضاً . كان جوابها بأنها قد عرفت من البداية أن بوسعها ان تثق بي . فأبتسمت . بعدئذ غيرت نهجها . قالت بأنني سأندم فيما بعد على اتيانني بمثل هذا الشخص الى البيت . فسألته لماذا فكرت هكذا . كان دورها ان تبسم ايضاً .

حقاً لم يكن هناك سبب يدعوني للاصرار على ان يشاركني (ك) في شقتي السكنية . لكنني شعرت بأنه سوف يتردد في قبول مساعدتي لو انني قدمتها له شهرياً بصورة نقدية . كان شخصاً ذا عقلية مستقلة . لهذا السبب فكرت ان من الافضل ان اجعله يسكن معي ، وان اعطي اوكاسان ، دون علمه ، ما يكفي من المال لتصرفه لقاء مآكلنا . لكنني لم اشأ ان ابلغ اوكاسان عن صعوبات (ك) المالية .

مهما يكن من امر ، لقد اكدت القول بأنني قلق على صحة (ك) . قلت بأنه اذا ما ترك ليواصل العيش وحيداً فمن المؤكد انه سيزيد انحرافاً في سلوكه عما هو عليه . واخبرتها ايضاً عن المشاكل التي جابهها مع ابويه بالتبني وعن طرده من عائلته اخيراً . وقلت بأنني اردت مجيئه للبقاء معي ، املاً مني بمنح الدفء الى حياته الباردة والموحشة . وسألته ان كان بمقدور اوكاسان واجوسان ان ترعيانه وان تمنحانه العطف الدافئ الذي كان هو بأمس حاجة اليه . فلم تطرح اوكاسان مزيداً من الاعتراضات . ولم اقل شيئاً عن هذا الحوار الى

(ك). وكنت مسروراً لانه لم تكن لديه اية فكرة عما قيل بصدد ولوجه حياتنا البيئية. فوصل بهيئة مترفعة وبيال خالٍ. وبطريقتي الاعتيادية أستقبلته.

لقد ساعدته اوكوسان وواجوسان في فتح حقائبه، وكانتا رفيقتين به جداً. كنت مسروراً جداً - بالرغم من ان (ك) بقي على حالته النفسية المألوفة - لأنني شعرت بأن عطفهما عليه قد نجم من احترامهما له. عندما سألت (ك) عما يظنه بالبيت الجديد، كان كل ما قاله: «ليس رديئاً» لقد صدمت بجوابه لعدم لياقته، هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار سكنه حتى ذلك الحين في غرفة قذرة ورطبة بمواجهة الشمال. وكان طعامه قذراً مثل غرفته. وعلى حد علمي، لقد رُفِع من بطن وادٍ مظلم الى ذروة جبل مضاء بالشمس. ولا ريب ان عناده مسؤول جزئياً عن لااباليتة الواضحة ازاء التحول، الا انني واثق ايضاً بأنه كان لاابالياً من حيث المبدأ. وبما انه نشأ تحت تأثير العقائد البوذية فقد بدا انه يعتبر احترام الراحة المادية كنوع من الخلود.

وبما انه قرأ ايضاً قصصاً عن الكهنة الكبار والقديسين المسيحيين الذين ماثوا منذ زمن بعيد، فقد اعتاد ان ينظر الى الجسد والروح ككيانين لابد من ان ينفصلا قسراً. وحقاً بدا احياناً انه يفكر بأن اساءة التعامل مع الجسد ضرورية من اجل تمجيد الروح. قررت بأن افضل ما افعله هو ان اتحاشى مناقشته في كل الاحوال. وقررت ان اترك قطعة الثلج تحت الشمس وانتظر لها ان تذوب وتتحول الى ماء دافىء. بعد ذلك فكرت بأنه سيبدأ برؤية خطأ اساليبه.

✱

كانت اوكوسان تعاملني المعاملة نفسها، فزدت ابتهاجاً وريداً
رويدياً. ولما عرفت مفعول هذه المعاملة المطبقة معي، قررت ان
اجربها مع (ك). لقد عرفت منذ مدة طويلة بأنه يعرف بوجود فرق
لابأس به بين شخصيتينا، لكنني مع هذا فكرت بأنه ما دامت حدة
انفعالي قد تضاءلت منذ ولوجي الحياة البيئية، فإن (ك) ايضاً سوف
يتخفف من تلك الحدة بتأثير اجواء هذه الحياة.

كان (ك) يمتلك قوة ارادة اكثر مما امتلك. ولا بد انه درس ضعفي ما
درست. علاوة على ذلك. كان يفوقني بذكائه الطبيعي. لكنني
لا استطيع ان اقول الشيء الكثير عن مستواه الاكاديمي في الجامعة
لانا كنا في حقلين مختلفين، لكن في المدرسة الثانوية والكلية اذ كنا
في الصف نفسه كان دائماً يتقدم عليّ. وحقاً صرت انظر الى نفسي
اقل شأناً من (ك) في كل شيء. لكن عندما حدثته عن الانتقال
للسكن معي اعتقدت لمرة واحدة بأنني اظهرت من الفطرة السليمة
اكثر مما فعل. وبدا لي بأنه لم يلحظ الفرق بين العناد والصبر. اريدك
ان تنتبه لما سأقوله الآن.

ان المقصود به هوفائدتك. فتطور- او تحطم - جسد المرء وعقله
يعتمد على الحوافز الداخلية. وما لم يكن المرء محترساً جداً، وما لم
يتدبر الامر بأن شدة الحوافز تتفاقم تدريجياً. فسوف يكتشف بعد فوات
الايوان بأن الجسد او العقل قد ضمير. وحسب رأي الاطباء، لا يوجد
من شيء يتطلب الاهتمام اكثر من المعدة البشرية. لاتعط المعدة شيئاً

سوى العصيدة، وسوف تكتشف بوضوح يوماً ما بأنها قد فقدت القدرة على ان تهضم اي شيء آخر. وهذا هو السبب الذي من أجله يطلب منا الاطباء ان نعود معدنا على جميع انواع الاطعمة . لكنني لا اعتقد انها ببساطة مسألة تعود . انها بأعتقادي اكثر ما تكون مسألة تزايد في كفاءة المعدة من خلال زيادة المنبهات التدريجية . ولك ان تتصور ماذا سيكون الاثر اذا ما عكست العملية، كان (ك) شخصاً أقدر مني ، لكنه بدا انه لم ير الحقيقة البسيطة في هذا المبدأ . ويظهر ان الانطباع الذي استولى عليه مفاده : ما ان يألف المرء المشقة حتى ينقطع بسرعة عن ملاحظتها . وفي نظره ان مجرد تكرار المنبه نفسه هو حسنة . واحسب انه كان يعتقد بأن وقتاً سيأتي سوف لن يحس فيه بالمشقة . ولم يدخل في عقله اطلاقاً ان هذا الشيء قد يدمره في النهاية .

لقد اردت ان اقول هذا كله لـ(ك) . لكنني عرفت بأنه سوف يختلف معي بقوة . وفكرت مع نفسي بأنه سوف يشير بلا شك ، في مجرى المناقشة، الى رجال الماضي . ولما كنت حليماً في حضوره ، كنت مضطراً آنذاك لان اشير الى الفرق بينه وبينهم . لكنه سوف يعد ذلك لوماً وسوف يتطرف أكثر من ذي قبل لكي يبرهن على ثباته في المبدأ . وبعد ان يفعل هذا سوف يشعر فيما بعد بأنه مضطر الى تطبيق ما كان قد دافع عنه في مناقشته معي . وبهذا الصدد كان مخيفاً تماماً ومؤثراً جداً . انه سوف يتقدم بتوق نحو دمار نفسه . لكن مهما نظر المرء اليه فمن المؤكد انه لم يكن شخصاً سوياً . على اية حال كنت اعرف شخصيته جيداً الى حد انني لم استطع ان اخبره بما افكر فيه بصدق .

فضلاً عن ذلك، ان ما خشيت منه هو انه صار عصابياً مؤخراً، واذا افترضت بأنني سأقهره في مناقشة، فإنه سيظل مستثاراً جداً. لم اكن اخشى الشجار معه، لكنني عندما اتذكر الأذى الذي احدثته لي وحدثي لاجدني املك الشجاعة بأن اضع (ك)، الذي كان صديقي، في وضع من العزلة الموحشة كتلك التي كنت فيها، او اسوأ من ذلك، ان ادفعه الى وحدة اعظم بكثير من تلك الوحدة التي جريت. وعليه حاولت ان لا انتقد جهاراً ضروب سلوكه حتى بعد ان انتقل الى السكن معي. وعزمت على ان انتظر بهدوء وان ارى ماذا سيفعله تغيير المحيط بالنسبة له.

*

وفي السر ذهبت الى اوكوسان واجوسان وطلبت منهما ان تُكثرا الحديث مع (ك) ما امكنهما ذلك. وكان من رأي ان حياة الصمت التي عاشها (ك) لحد الآن قد تركت بصماتها السيئة عليه. ولم يعد بوسعي الا ان افكر بان قلبه، مثل قطعة حديد، قد صُدأ بسبب عدم الاستعمال.

قالت اوكوسان ضاحكة بأن (ك) من نوع الاشخاص الذين لا يمكن الاقتراب منهم. وعلى سبيل التوضيح اخبرتني اوكوسان عن مقابلة لها مع (ك). فمن الواضح انها ذهبت الى (ك) وسألته ان كانت توجد نار في موقعه. قال: «كلا.»

- حسناً، اتريد ناراً؟

- كلا، اشكرك.

- الا تشعر بالبرد؟

- اجل . اشعر . لكنني لا احتاج الى نار .
ورفض ان يناقش اكثر من ذلك .

ولم يكن بوسعي الا ان اضحك من هذه الحادثة بتعليق من هذا النوع : «غريب الاطوار، اليس كذلك؟» كنت اشعر بأنني مدين لهما بتفسير من هذا النوع . حقاً، كان الوقت ربيعاً، وان النار لم تكن ضرورية جداً . لكنني لم استطع ان الوم السيدتين فيما ذهبتا إليه بأن (ك) كان شخصاً صعب المراس .

حاولتُ قصارى جهدي ان العب دور الوسيط الدائم لترسيخ علاقة منسجمة بين (ك) والسيدتين . فاذا اتفق لي ان تحدثت مع (ك) كنت اطلب من السيدتين ان تشاركانا الحديث . واذا اتفق لي ان اكون مع السيدتين ، كنت احاول ان اخرج (ك) من غرفته ليكون معنا . ولكل فرصة كنت انتقي اسلوباً بارعاً وافعل كل شيء في طاقتي لاجمعهم معاً . وبالطبع لم يحب (ك) هذا . احياناً كان ينهض فجأة ويترك صحبتنا بلا كلمة واحدة . وحياناً كان يرفض الخروج من غرفته حينما ادعوه . وفي احدى المرات سألتني : «لماذا تجد متعة كبيرة في حديث تافه غير ذي جدوى؟» فكنت اضحك فقط ، بالرغم من انني كنت اعرف في صميم قلبي انه انما حقرتني .

وبمعنى ما ، من الجائز انني استحق منه هذا الاحتقار . لقد كانت وجهة نظره في كل شيء اكثر ترفعاً من وجهة نظري . انا لا انكر هذا . واذا كان الترفع فقط في وجهة نظر المرء ، عند ذاك يتعوق على نحو

ميثوس منه كإنسان . فقررت بأن ما يحتاج هو اليه ، قبل اي شيء آخر ان يكون انسانياً . لقد اكتشفت بأنه مهما كان رأس الانسان مليئاً بصورة العظمة ، فلا فائدة منه إن لم يكن انساناً قبل اي شيء . وفي محاولة مني لاجعل منه اكثر انسانية سعيت فيما بعد ان اشجعه على تمضية اطول وقت ممكن مع السيدتين . وظننت انه عندما اعتاد على الجو الذي يخلقه حضور النساء ، انه سوف يصبح اقل عزلة واكثر حيوية .

وبدا ان تجربتي قد افلحت تدريجياً . فما لاح صعباً انجازه في البداية صار اسهل فأسهل . وظننت ان (ك) قد تعلم الاعتراف بوجود عالم غير عالمه . وفي احد الأيام قال لي بأن النساء قبل كل شيء لسن محققات كما قد يحسب المرء . وكان (ك) يتوقع دائماً من النساء ان يمتلكن معرفة الرجال وثقافتهم نفسها . وفي يأسه منهن صار ينظر اليهن بأحتقار . انه لم يعرف ان هناك اسلوباً للحكم على النساء واسلوباً آخر للحكم على الرجال . قلت له . « اذا امضينا ، انا وانت بقية حياتنا اعزبين تتبادل الاحاديث على الدوام ، فسوف نتقدم في العمر كخطين مستقيمين متوازيين . » قال ، « طبعاً . » في ذلك الوقت كان عقلي منشغلاً بأوجوسان ، وكانت افكاري بالطبع متأثرة بهذه الحقيقة . لكنني لم أنطق بكلمة واحدة لـ(ك) عن السبب الاساس لهذه الاشارة .

كان من المبهج لي جداً ان اراه يخرج تدريجياً من حصن كتبه وان ارى قلبه يبدأ بالتخلص من التحفظ . كان هذا هو املي عندما اتيت به الى البيت لأول مرة ، وكان من الطبيعي ان اسعد بأن ارى خطتي تنجح

نجاحاً حسناً. فأخبرت اوكوسان واجوسان - ولم اخبر (ك) نفسه - عن عظم سعادتي بأن اراه قد تغير. ولاح لي بأنهما كانتا سعيدتين ايضاً.

*

مع انني و(ك) كنا طالبين في الكلية نفسها، الا اننا كنا ندرس موضوعات مختلفة. وعليه كنا نغادر البيت ونعود اليه في اوقات مختلفة فاذا كنت الاول في العودة كنت في الواقع اجوس في غرفته لكي ابلغ غرفتي، واذا اتفق لي ان اعود بعده، حينذاك كنت اقول له كلمة او كلمتين على نحو عابر. كان (ك) يرفع بصره من ايما كتاب يقرؤه عندما يسمعي افتح الباب ويقول رداً على تحيتي، «هل عدت توأ؟» فأومىء برأسي بصمت او اقول، «نعم»، وانا امر بمنضدته.

وفي احد الايام اتفق لي ان اذهب الى (كاندا) في طريقي الى البيت، فرجعت متأخراً اكثر من المؤلف. وبخطوات سريعة توجهت نحو الباب الامامي وفتحته محدثاً صوتاً قليلاً. وما كدت ان افعل هذا، حتى سمعت صوت اجوسان. وكنت متأكداً من ان الصوت قادم من غرفة (ك). وبمواجهة غرفة الجلوس الامامية كانت تقع غرفة الصباح، ووراءها كانت تقع غرفة اجوسان. والى يسار غرفة الجلوس الامامية كانت تقع غرفة (ك) ومن بعدها غرفتي. لقد عشت في البيت فترة طويلة بت فيها قادراً ان اعرف المكان الذي يصدر منه اي صوت. وبسرعة اغلقت الباب ورائي. فتوقفت اجوسان عن الحديث. وبينما كنت اخلع فردتي حذائي - وبدأت ارتدي فردتي نعلي الثقيلتين ذاتي الأربطة ورائجتي الطراز آنذاك - لم يبق اثر لصوت في غرفة (ك).

فاستغربت ذلك . وبدأت افكر ربما انني كنت مخطئاً . لكن عندما فتحت الباب المؤدي الى غرفة (ك) «هل عدتَ توأ؟» اما اوجوسان فقد ظلت جالسة وقالت ، «مرحباً بك في البيت .» ربما قد خُيل اليّ ، لكنني أحسب انني قد استشعرت قليلاً من الجمود في تحتيها البسيطة . لقد ادهشتني نغمتها بكونها غير طبيعية شيئاً ما . قلت لأوجوسان ، «اين اوكوسان؟» لم ينطوسؤالي على معنى ماكر . لقد سألت ببساطة لأن البيت بدا هادئاً على نحو غير اعتيادي .

وظهر ان اوكوسان لم تكن موجودة في البيت . لقد خرجتُ برفقة الخادم . لذا كان (ك) واجوسان وحدهما في البيت . فلم استطع الا ان اعجب من هذا . فلم يحدث ابداً ان تركتني اوكوسان لوحدي في البيت مع اوجوسان ، مع العلم انني عشت معهما فترة اطول نسبياً مما عاش فيها (ك) . سألت اوجوسان ان كانت اوكوسان قد غادرت في مهمة طارئة . فما كان منها الا ان ضحكت . كنت اكره النساء اللواتي يضحكن في مثل تلك الاوقات . واعتقد ان بوسع المرء ان يغض الطرف عن هذا العيب وينظر اليه كشيء مألوف لدى جميع الشابات . على اية حال ، لقد اعتادت اوجوسان ان تجد سبباً للضحك في اكثر الامور تفاهة . ولما لاحظت اوجوسان التعبير المرتسم على وجهي ، استرجعت رصانتها . وقالت بأنه لم يوجد هناك امر طارئ . ربما انني نزيل عندهم لم املك الحق بأن الحف في السؤال . وعليه لم ازد في القول شيئاً .

وما كدت ابدل ملابسي واستقر في غرفتي حتى عادت اوكوسان

والخادم . بعد ذلك بفترة قصيرة جلسنا الى مائدة الغداء . وقبل ان يتسنى لي ان اتعرف على العائلة جيداً ، كانت العادة المألوفة هي ان يجلب لي الخادم جميع وجباتي الى الغرفة في صينية . لكن سرعان ما انقطعوا عن معاملتي كنزِيل ، وبدأت اتناول الطعام معهما بانتظام . وعليه حينما انتقل (ك) الى البيت ، طلبت منهما ان تدعوا الى ان يشاركننا في اوقات الطعام . ولكي اظهر لهما تقديري لصدوعهما لما طلبت ، فقد اشتريت منضدة طعام خفيفة مصنوعة من الخشب الخفيف السُمك ، ذات قوائم قابلة للطي . ويبدو ان مثل هذه المناضد موجودة في جميع البيوت الآن ، لكن في تلك الايام . كانت هناك قلة من العوائل تقتنيها . لقد كلفت نفسي عناء الحصول على احداها وقد صنعها خصيصاً صانع اثاث في (اوتشانوميزو) .

وبينما كنا جالسين حول هذه المائدة اخبرتني اوجوسان بأن بائع السمك اخفق في المجيء في ذلك اليوم في الساعة المعهودة ، وعليه فقد خرجت لتشتري لنا بعض السمك . فقلت لنفسي : أجل ! لماذا تفعل مثل هذه الامور مادام لديها نزلاء . نظرت اوجوسان الي وبدأت تضحك . لكنها توقفت بسرعة كافية عندما وبختها امها .

*

مرة أخرى ، بعد حوالي اسبوع ، رجعت الى البيت فوجدت (ك) واوجوسان يتحدثان الواحد للآخر في غرفته . وفي هذه المناسبة بدأت اوجوسان تضحك حالما رأته . وأحسبُ انه كان يجب علي ان اسألها وقتذاك عما وجدته سبباً للضحك . عوضاً عن ذلك دلّفت مباشرة الى

غرفتي دون ان انطق بكلمة . ولم اعط (ك) الفرصة لكي يحيني بتحيته المألوفة ، «هل عدت توأ؟» بعد ذلك بوقت قصير جداً ، اظن انني سمعت اوجوسان تعود الى غرفة الصباح .

بعد الغداء ، اقنعت (ك) ان يتنزه معي . ومن وراء معبد (دينزوين) ذهبنا حول الحديقة النباتية ورجعنا الى قعر المنحدر في (توميزاكا) . كانت نزهة طويلة نوعاً ما ، لكننا قلنا شيئاً قليلاً خلالها . وكان (ك) بطبعه اقل كلاماً مني . كما انني شخصياً لم اكن ثرثاراً جداً . لكنني في هذه المناسبة حاولت ان اجري حديثاً معه . وارتدت على الاكثر ان اناقش معه شؤون العائلة التي نسكن معها . وارتدت ان اعرف كيف ينظر (ك) الى كل من اوكوسان ووجوسان . لكن كانت الاجوبة التي رد بها على اسئلتني غامضة جداً ، اذ لا يستطيع المرء ان يقول ان كانت ردوده آتية من الجبال او البحر . ومهما يكن من امر ، وبالرغم من غموضها ، كانت اجوبة بسيطة نوعاً ما . وبدا ان موضوع دراسته الخاصة قد اثار اهتمامه اكثر مما اثاره امر السيدتين . وحقاً كانت امتحانات السنة الثانية تقترب ، واعتقد ان من وجهة نظر شخص اعتيادي ، ان (ك) كان يتصرف كطالب اكثر مني . واتذكر انه ادهشني باشاراته الى سويدنبرغ وغيره ، اما انا فلم اكن باحثاً .

وعندما اكملنا امتحاناتنا بنجاح ، سُرت اوكوسان جداً بنجاحنا وقالت ، «حسناً ، بقيت امامكما سنة واحدة فقط .» وكان متوقفاً ايضاً ان تتخرج اوجوسان قريباً ، وقد كانت هي زهو اوجوسان الحقيقي الوحيد . وقد المح (ك) لي بأن النساء يتخرجن كما يبدو دون ان يتعلمن شيئاً .

وانه لم يمحص اية اهمية مهما كانت الى تلك الاشياء التي كانت تتعلمها او جوسان خارج المدرسة مثل آلة الكوتو وترتيب الورود والخياطة . فضحكت من غبائه . بوسرة أخرى قلت له بأن طريقته هذه في الحكم طريقة غير مناسبة في تقويم امرأة . فلم يجادلني . من ناحية أخرى لم يبد عليه الاقتناع . فسرتني ذلك . واعتبرت موقفه الذي يوحى بأن الموضوع لا يستحق مناقشة جادة ، علامة على الاحتقار الذي ما زال ينظر به الى النساء . وقررت بأن او جوسان التي كنت انظر اليها كتجسيد للصفات الانثوية ، ذات اهمية ضئيلة بالنسبة لـ(ك) . وكان من الواضح الآن انني كنت اغار منه قليلاً .

اقترحت على (ك) ، انه ينبغي لكلينا ان نذهب الى مكان ما في اثناء العطلة الصيفية . فقال بأنه ليس متلهفاً جداً على ترك طوكيو . ومن المؤكد انه لم يكن في موقف يساعده على الذهاب الى اي مكان يشاء ، لكن لم يوجد شيء يمنعه من اللحاق بي اذا ما دعوته . وسألته عن سبب عدم رغبته بالسفر . فقال بأنه لا يوجد سبب خاص ، وانه يريد فقط البقاء ومطالعة الكتب . واشرت بأن من الافضل لصحتنا لو اننا ذهبنا الى مستجم بارد وطالعنا كتبنا هناك . فقال لي اذا كان هذا هو السبب في رغبتني بالرحيل ، فعلياً ان اذهب لوحدي . لكنني لم ارغب ان اتركه في البيت . لقد صرت انظر الى الفته مع السيدتين بشيء من عدم الارتياح . لعلك تسأل ، « ألم يكن هذا هو ما اردت ؟ ألم تفرض (ك) عليهما ؟ » بالطبع كنت أحقق . ولما لاحظت او جوسان بأننا لا نصل الى اتفاق عندما نترك وحدنا ، فقد تدخلت وساعدتنا على ان

نحزم امرنا. وفي الاخير تقرر ان يذهب كلانا الى ساحل (بوشو).

*

لم يسافر (ك) كثيراً، وكانت تلك هي رحلتي الاولى الى (بوشو) وبما اننا لم نعرف شيئاً عن هذا الجزء من الريف، فقد نزلنا من السفينة بأسرع ما يمكن. ووجدنا نفسينا - اذكر ذلك بوضوح تام - في مكان يدعى (هوتا). من الجائز ان يكون المكان مختلفاً الآن، لكن في تلك الايام، كان المكان قرية صيد بغيضة. كانت رائحة السمك منتشرة في كل مكان، وكانت الامواج تصرعنا في اي وقت نحاول فيه الاستحمام وكانت الحصى الكبيرة تصطدم بنا، فاذا ما خرجنا من الماء كانت ايدينا واقدامنا مسلوخاً عنها جلدها.

وسرعان ما ضجرت من المكان. اما (ك) فلم يبد استحساناً او استياءً. وبالرغم من انه لم يخرج من ماء البحر من غير خدوش، فقد بدا ظاهرياً في الاقل، غير مبال بمحيطه هذا. في النهاية افلحت في اقناعه بأن (هوتا) مكان بغيض، فغادرتها الى (توميورا). ومن هناك ذهبنا الى (ناكو). وكان الجزء من الساحل هناك مأهولاً بالطلبة ولم نجد صعوبة في ايجاد اماكن مناسبة للسياحة. وغالباً ما جلست انا (ك) على الصخور القريبة من الشاطئ وراقبنا البحر الممتد بعيداً وراء الافق او القاع الرملي المنظور من خلال المياه القريبة. وكان المشهد تحت الصخور جميلاً على نحو خاص. واستطعنا ان نرى الاسماك البراقة الالوان، بعضها حمر وبعضها غامقة الزرقة، مما لا يجد المرء مثيلاً لها في سوق الاسماك، وهي تسبح في المياه الرائقة.

وفي الغالب حملت الكتب معي الى الصخور وقرأتها هناك . من جانب آخر لم يفعل (ك) شيئاً وجلس بالقرب مني صامتاً . ولم استطع ان اجزم ان كان (ك) يتأمل او يستوعب الجمال من حوله او ببساطة يحلم احلام يقظة . وبين حين وآخر كنت ارفع بصري اليه واسأله عما كان يفعل . كان يقول ، « لاشيء » . وغالباً ما وجدت نفسي افكر كم كان يكون جميلاً لو ان الشخص الجالس بجاني هادئاً لم يكن (ك) ، بل اوجوسان . لسوء الحظ طالما قادتني هذه الفكرة بعيداً الى النقطة التي بدأت اتساءل فيها ان كان (ك) الجالس هناك مستغرقاً بالضبط بما كنت احلم به . حينئذ كان يتسابني القلق وانقطع عن الاستمتاع بالكتاب الذي كنت اطالعُه وابدأ بالصراخ بصوت عالٍ . ولم اجدا ما يرضي نفسي في اشكال الانطلاق العاطفي المعتدل من طريق ترديد قصيدة او الترنم بأغنية . بدلاً عن ذلك كنت اصرخ كما يفعل بربري غير منضبط . في احدى المرات امسكت بعنق (ك) من الخلف وقلت ، « ما الذي تفعله لو انني دفعت بك الى البحر؟ » لم يحرك (ك) ساكناً . ودون ان ينظر الى الخلف قال ، « سيكون هذا شيئاً لطيفاً . ارجوك افعل . » وبسرعة سحبت اليد التي كانت تسك بعنقه .

وكان يبدو حينئذ ان حالة (ك) العصبية تتحسن على نحو ملحوظ . ومن ناحية اخرى كانت اعصابي تزداد توتراً . فحسدت (ك) الذي كان اهدأ مني . كرهته . وما ازعجني هو انه لم يعبأ بي مهما فعلت . وحسبت ان هذه علامة على ثقة (ك) بالنفس . غير ان تنامي ثقة (ك) مؤخراً بعثت فيّ قليلاً من الرضا . هل صار حقاً متفائلاً بدراساته وعمله

المستقبلي مرة أخرى؟ وإذا كان الامر كذلك ، فلا لزوم لوجود اي تنافس بيننا . في الحقيقة ، كنت اجد رضى بأن جهودي في مساعدته لم تذهب سدى . لكن اذا كان صفاؤه الجديد قد جاء نتيجة احتكاكه بأوجوسان ، فكنت اجد من المستحيل ان اصفح عنه . لقد بدا ان (ك) لم يكن شاعراً تماماً بحبي لاجوسان . وبالطبع كنت شديد الاحتراس من الافصاح تماماً عن ذلك . لكن لانكران بأن (ك) لم يكن حساساً بمثل هذه الامور . ويجب ان اعترف انه بسبب شعوري بانتقاء هذه الحساسية فيه كنت اقل تردداً مما كان ينبغي حين دعوته للسكن معنا .

*

لقد قررت ان أفضي بسري الى (ك) . في الحقيقة كنت اريد ان افعل هذا منذ فترة . لكنني وجدت نفسي غير قادر حين التحدث الى (ك) باقتناص او خلق اللحظة المناسبة لعرض الموضوع بشكل عرضي . وعندما افكر بالمسألة الآن ، ارى ان اصدقائي آنذاك كانوا غريبي الاطوار نوعاً ما . فلم يكن بينهم احد قد اظهر اي ميل لمناقشة مشكلاته الرومانسية دون تحفظ . واظن ان عدداً كبيراً منهم حقاً لم يكن لديه ما يتحدث عنه . على اية حال يبدو ان العادة كانت ان لايتبادلوا الافضاء بالاسرار المتعلقة بالنساء . اما انت الذي اعتدت على جوفيه مزيد من الحرية لابد ان تحسب ذلك غريباً . وسواء كنا لانزال تحت تأثير التعاليم الكونفشيوسية او كنا خجلين ، فسأتركك تقرر هذا بنفسك .

كنت انا و(ك) صديقين حميمين ، ولم يكن بيننا الا القليل الذي

نشعر بأننا غير طليقين بأن يناقشه الواحد منا مع الآخر، وفي مناسبات نادرة تحدثنا عن الحب، الا ان الموضوع لم يتجاوز ابدأً التنظير المجرد. وكما قلت، نادراً ما ناقشناه. وقل ما تحدثنا عن امور غير الامور المتعلقة بأعمالنا في المستقبل وطموحاتنا ووسائل تنظيم افكارنا واهتماماتنا الدراسية والكتب وما شاكل ذلك. ومع اننا كنا صديقين جيدين، الا ان صداقتنا اتسمت بالشكلانية الجامدة وكان من العسير عليّ ان اخترق جدار هذه الشكلانية. لقد اتخذت صداقتنا هذا الطابع وما عاد بوسعنا ان نتقارب اكثر الا في حدود ضيقة. وفي مرات كثيرة كنت على وشك ان احدهه عن اوجوسان، لكنني دائماً ما تقيدت لأن جداراً منيعاً كان يقف بيننا. وفي الغالب، في حالة قنوط، شعرت برغبتني بأن احفر فجوة في مكان ما من رأسه، لكي تهب من خلالها نسمة رقيقة ودافئة.

لابد ان هذا كله يبدو سخيلاً في نظرك. الا انني وقتذاك كنت في حالة عذاب عظيم. لم اكن بأقل جبناً مما كنت في طوكيو. راقبت (ك) بدقة آملاً ان يمنحني الفرصة لافضي له بسري. لكنه لم يفارق، ولو مرة واحدة، عزلته البغيضة. وكأن قلبه قد غُطي بطبقة من ختم اسود وكانت الطبقة اسمك من ان يخترقها دم حار. وكانت هناك اوقات وجدت فيها بعض العزاء لما لمستته فيه من نبل الافكار الواضحة. وكنت اندم لما كان يراودني من شك في شخص مثله، وكنت اعتذر له في داخلي. وعند ذلك كنت ابدأ بالحقد على نفسي لما انا عليه من سوء الطوية. لكن هذا الشعور بالاثم لم يلازمني طويلاً. اذ سرعان ما

تهجم عليّ الشكوك القديمة نفسها . وفي مثل هذه الاوقات كنت اقارن نفسي بـ(ك) ، مقارنة غير منصفة طبعاً ، لأن الرغبة بالمقارنة صادرة عن الشك . وكنت اقول لنفسي انه من المؤكد احسن مظهراً مني وان طبعه ايضاً ، الذي بدا اقل احتياجاً مني ، لا بد ان يكون اكثر جاذبية لدى الجنس الآخر . اما بصدد مظهره العقلي الساهي ، افلا تقول النساء عنه بأنه دليل على قوة الرجولة؟ صحيح ، اننا كنا ندرس موضوعات مختلفة ، لكنني اعرف جيداً بأنني لم اكن نظيراً له في القدرة الذهنية . واجملاً قررت بأنني لست شخصاً جذاباً مقارنة به . وفي الحال كانت تحل مخاوفي القديمة محل راحتي العابرة .

لقد لاحظت (ك) حالتي غير المستقرة وقال بأن لامانع لديه اذا عدنا الى طوكيو . وحينما قال هذا ، اصبحت فكرة العودة الى طوكيو فجأة مقبولة في نظري . من المحتمل انني لم ارد ان اسمح له بالعودة . على اية حال ، قررنا مواصلة رحلتنا . وذهبنا الى البر الرئيس في (بوشو) . وواصلنا السير ونحن نئن تحت وطأة حرارة شمس منتصف الصيف . وبدأ السير يبدو لي غير ذي معنى ، وعبرت عن ذلك بطريقة شبه هازلة . فأجاب (ك) ، « اننا نمشي لاننا نملك سيقاناً . » وعندما اشتد الحر علينا خلعنا ملابسنا وقفزنا الى البحر . وفي نهاية النهار أخذ منا التعب مأخذه بسبب السباحة والحر اللاهب .

*

ان سيراً شاقاً كهذا لا يمكن الا أن يؤثر على جسد المرء . وحالة الجسد هذه ، لا تشبه حالة مرضية . في الواقع ان المرء شعر كأن روحه

وجدت لنفسها ملاذاً غريباً. وتحدثت مع (ك) كالمعتاد، غير ان مشاعري تبدلت بشكل ما. واكتسبت عاطفتي وكراهيتي نحو(ك) صفة خاصة بسبب هذه النزهة على الاقدام. وما اقصد هوان علاقتنا، وربما بسبب الحرارة والسباحة والمشي، قد انتقلت مؤقتاً الى مستوى مختلف. كنا مثل بائعين متجولين جابا مسافات شاسعة وقد التقيا على الطريق بالصدفة. وتحدثنا مع بعضنا، لكننا لم نقل شيئاً ذا اهمية جدية بالنسبة لنا.

وعلى هذه الشاكلة وصلنا الى (تشوشي) اخيراً. مع ذلك، حصل حدث استثنائي واحد لازلت اذكره. وقبل تركنا (بوشو)، توقفنا في مكان يُدعى (كوميناتو) وذهبنا لنرى (خليج تاي).^(١) والى ذلك الحين كانت قد مضت سنوات طويلة لم اهتم فيها ابداً بمثل هذه الاشياء، ولذلك لا استطيع ان اتذكر بوضوح، لكن يبدو ان (نيتشيرين)^(٢) كان قد ولد في (كوميناتو). وطبقاً للاسطورة المحلية فإن سمكتين من نوع (تاي) قد قُذِف بهما الي الشاطئ في وقت ولادته. واحتراماً لهذه الاسطورة دائماً ما امتنع القرويون عن الصيد في الخليج. وبما اننا قد سمعنا بأن الخليج مليء بأسماك التاي لهذا السبب، فقد استأجرنا قارباً صغيراً وخرجنا الى البحر لنرى هذه الاسماك. لقد انبهرت بالمشهد تحت الماء وشعرت بأنني لن أكُل ابداً من التفرج على

١- تاي: سمك أحمر من فصيلة الشبوط، وهو في اليابان رمز للخط الجيد.

٢- نيتشيرين (١٢٢٢ - ١٢٨٢): واحد من الشخصيات العظيمة في تاريخ البوذية اليابانية.

الاسماك ذات اللون البنفسجي وهي تتلوى وتدور تحت الامواج . وبدا (ك) غير مولىع بالاسماك مثل ولعي بها . كما بدا انه كان يفكر بـ(نيتشرين) . ووجدنا في القرية معبداً اسمه (تانجوجي) .^(٣) واظن انه سمي بهذا الاسم لان (نيتشرين) ولد هناك في (كوميناتو) . ومما لاريب فيه انه معبد مؤثر . وقال (ك) بأنه يريد مقابلة الكاهن الاول . واذا اردت الحقيقة ، كنارثي الثياب وقتذاك . وبدا (ك) مخزياً جداً . كانت قبعته قد طارت اثناء سيرنا على الاقدام على امتداد الساحل وكان يرتدي الآن قبعة مصنوعة من البردي . وكانت ملابسنا متربة وتفوح منها رائحة العرق . فقلت لـ(ك) بأنني لا اعتقد ان الكهنة سوف يرحبون بنا . لكنه كان عنيداً ولم يصغ لي . «اذا لم ترد الدخول ، فبوسعك الانتظار هنا» ، قال هذا ، عندما وصلنا بوابة المعبد . فاضطررت الى مرافقته الى داخل البهو الامامي . وكنت متأكداً تماماً بأنهم سيرفضون قبولنا . الا انني كنت مخطئاً . لقد اكتشفت بأن الكهان بصورة عامة اكرم مما يتوقع المرء . فأدخلونا الى غرفة جميلة وكبيرة وهناك استقبلنا رئيس الكهان . في تلك الايام كانت اولاعي مختلفة عن اولاع (ك) وعليه لم اصغ بعناية لما كان يقوله (ك) والكاهن ، لكنني اتذكر جيداً بأن (ك) سأله اسئلة كثيرة عن (نيتشرين) .

٣- يعني : «معبد الميلاد» .

وعندما اشار الكاهن الى ان نيتشرين كان استاذاً كبيراً في خط الحروف الصينية المتصلة، اذكر أن (ك) الذي كان خطاطاً متواضعاً قد نظر اليه برماً. واعتقد بأنه اعتبر مثل هذه الحقائق ثانوية وغير مناسبة. من الواضح، انه اراد من الكاهن ان يقول شيئاً اهم من ذلك عن الرجل العظيم. انني لم اعرف ان كان (ك) راضياً عن هذه المحادثة ام لا: على اية حال، عندما خرجنا من المعبد بدأ يلقي عليّ محاضرة عن نيتشرين. كنت تعباً وحامياً فلم اعره اهتماماً كبيراً، وكانت تعليقاتي فاترة وضجرة. وفي الاخير انقطعت عن قول اي شيء البتة.

واعتقد اننا تناقشنا في المساء التالي. فقد تناولنا طعامنا في الفندق وتهيأنا للنوم. واكتشفت بأنه قد استاء من قلة اهتمامي بتعليقاته عن نيتشرين في اليوم السابق وبدأ يهاجمني بسبب تفاهتي قائلاً بأن اي انسان لا يمتلك طموحات روحية انما هو احمق. لقد جعلتني مخاوفني على اوجوسان ان اكون اكثر احساساً بها من احساسني بتلميحات (ك) المهينة لي. وبدأت ادافع عن نفسي.

✱

اتذكر انني استخدمت كلمة «انساني» باستمرار دفاعاً عن موقفي ومهاجمة لموقفه. واصرّ (ك) بأنني كنت احاول اخفاء ضعفي كله وراء هذه الكلمة. والآن، ارى انه كان مصيباً. لكن في محاولتي الاشارة الى التزامه بحدوده صرت عدائياً ولم اعد في حالة نفسية اكون فيها موضوعياً عن نفسي. وصرت اكثر حزمًا من السابق. وفي النهاية،

سألني عن السبب الذي دعاني لان اعتبره غير انساني . فأخبرته بأنه انساني حقاً، وربما انساني جداً، الا ان المرء لن يخمن ذلك ابداً من كلماته . فضلاً عن ذلك، قلت له بأنه يحاول جاهداً ان يعيش ويتصرف بطريقة غير طبيعية بالنسبة للبشر.

عندما قلت هذا، لم يناقشني . كل ما قاله هو ان النقص في تربيته كان مسؤولاً عن الرأي القاصر الذي يبدو انني احمله عما كان يحاول انجازه . لم تبعد هذه الملاحظة الريح عن اشراعتي وحسب، بل انني بدأت أأسف على ما قلت . فتوقفت عن النقاش آنذاك . واصبحت نعمة (ك) اكثر هدوءاً . وقال بحزن، «لوانك فقط عرفت رجال الماضي اولئك كما اعرفهم، لما كنت متقدماً لي هكذا .» وبالطبع لم يكن رجال الماضي الذين اشار اليهم ابطالاً بالمعنى التقليدي، بل كانوا زهاداً ظلموا ابدانهم من اجل حرية ارواحهم وجلدوها عسى ان يجدوا الطريق . قال، «كم اتمنى ان تتمكن من فهم معاناتي» .

ذهبت انا و(ك) الى سريرينا . وفي اليوم التالي عادونا سيرنا المرهق والملتوي . مرة أخرى، صارت علاقتنا مثل علاقة بائعين متجولين في الطريق . على اية حال، فكرت في اثناء السير بين حين واخر، بمناقشة الليلة السابقة ولعنت نفسي لتضييعي مثل هذه الفرصة الجيدة في الافضاء اليه بسري . وقلت لنفسي كان ينبغي ان اكون اكثر صراحة، وبدلاً عن توجيه النقد اليه بكونه غير انساني وما شابه، كان من الواجب ان اعترف له بصراحة عن السبب الحقيقي لحزني . لقد كانت اوجوسان جوهر الأمي وكان من مصلحتي الخاصة ان لا احاول اخفاء

هذه الحقيقة تحت عموميات شبه حقيقية . لكن يجب ان اعترف بأن صداقتنا اصبحت ذات مسحة عقلانية ولم اكن امتلك الشجاعة للتمرد علناً ضد هذا النموذج الراسخ لصداقتنا . لعلك تعزو هذا الضعف من جهتي الى التصنع او الخيلاء . واذا ما حاولت أن تفهم بأنه ليس من ذلك النوع الاعتيادي من التصنع او الخيلاء ، فلن اجد بأساً .

وعدنا الى طوكيو واسودين تقريباً من لفح الشمس . وتبدلت حالتي الذهنية آنذاك وتوقفت الافكار التافهة عن خصال (ك) الانسانية او انتقائها فيه ، عن اقلاقي كثيراً . وافتقد (ك) ايضاً الكثير من روحه الدينية . واشك ان كانت مشكلة الجسد والروح قد سببت له قلقاً بعد ذلك . ومثل بربريين حدقنا الى مشهدها الازدحام حولنا . وتوقفنا عند مطعم (رايوغوكو) ، وبالرغم من حرارة الجو ، امتعنا انفسنا بوجبة من البدجاج . ويبدو ان هذه الوجبة قوت (ك) فأقترح ان نسير المسافة بطولها الى (كويشيكاوا) . كانت بنيتي الجسدية اقوى منه ، فوافقت بسرعة .

وعندما رأتنا اوكوسان ادهشها منظرنا . لم نكن اسودين وحسب ، بل ان المشي انحفنا جداً . وحالما زايلتها الصدمة ، كان شيئاً لطيفاً منها ان تقول بأننا بدوننا في صحة تامة . « انك تناقضين نفسك تماماً ، » قالت اوجوسان وضحكت من امها . شعرت بالبهجة ونسيت بأنني لم أترك طوكيو دون مشاعر استياء نحوها . برغم ذلك ، فأنا لم ارها منذ وقت ، واعتقد ان المناسبة سعيدة .

*

سرعان ما لاحظت بأن اسلوب اوجوسان قد تبدل نحوي . وبعد مثل هذا الغياب الطويل كان يوجد الشيء الكثير الذي يجب القيام به قبل ان يكون بوسعنا الاستمرار من جديد في وضعنا المألوف . واقبلت السيدتان على مساعدتنا . وطبعاً كان اوكوسان اكثر عوناً . غير ان ما سرنى على نحو خاص هو ان اوجوسان ابدت اهتماماً اكبر باحتياجاتي اكثر مما فعلت نحو (ك) . والآن ، لو انها فعلت ذلك بأسلوب خشن لأصابني الارتباك ، لابل انزعجت . الا انها اظهرت حساً عظيماً ، وحمل فعلها ايحاءً رقيقاً بالتودد مما جعلني مسروراً جداً . كانت لطيفة معنا نحن الاثنين ، الا انها منحتني القسط الاوفر من لطفها الطبيعي بطريقة احس بها انا وحدي . وعليه لم يكن هناك من داع لانزعاج (ك) ، وبقدر ما يتعلق الامر به ، لم يحدث شيء خارج المألوف . لقد سجلت انتصاراً على (ك) ، فأمتلاً قلبي بحس الظفر .

واخيراً بلغ الصيف منتهاه . وحوالي منتصف ايلول بدأنا نحضر من جديد المحاضرات في الجامعة . مرة أخرى كانت جدولنا مختلفة ، فكنا نذهب ونعود في اوقات مختلفة في اثناء النهار . واتذكر ان (ك) كان يعود الى البيت قبلي ثلاث مرات تقريباً في الاسبوع ، لكنني لم اجد اوجوسان مرة واحدة في اثناء الاسبوع القليلة الاولى من الفصل في غرفته عندما كنت اعود . كان (ك) يحييني بتحيته المعهودة ، «هل عدت توأ؟» وكان ردي ايضاً ألياً وبسيطاً وبلا معنى تقريباً .

لقد اتفق في احدى الصباحات - وكان ذلك حوالي اواسط تشرين

الاول، حسب ظني - ان استغرقت في النوم . ولما لم يتوافر لي الوقت في ارتداء زيي الجامعي فقد اندفعت خارجاً ببذلة يابانية . وبدلاً عن ارتداء الحذاء ذي الرباط، ارتديت نعالاً . وفي العادة . في ذلك اليوم من الاسبوع كانت محاضراتي تنتهي قبل محاضرات (ك)، وعليه فقد رجعت الى البيت ظاناً ان (ك) لم يعد بعد . وعندما فتحت الباب الامامي سمعت صوت (ك) . ثم طرق صوت ضحكة اوجوسان سمعي . وبما انني كنت مرتدياً النعلين في ذلك اليوم وليس الحذاء الذي يحتاج فك رباطه وقتاً طويلاً، فقد دخلت غرفة (ك) في الحال . وجدت (ك) جالساً الى منضدته كالمعتاد . لكن اوجوسان لم تكن هناك . لقد فتحت الباب في الوقت المناسب تماماً ولمحتها وهي تغادر مسرعة . فسألت (ك) عن سبب عودته المبكرة . فقال بأنه لم يكن على ما يرام ولذلك قرر البقاء في البيت . ذهبت الى غرفتي وجلست . وبعد دقائق قليلة جاءت اوجوسان ومعها كوب الشاي . قالت ، «مرحباً بك في البيت .» كنت سمجاً فلم ابتسم لها وعلقت «حسناً، لماذا هربت مني الآن؟» وطبعاً لم اكن انا من الصنف الذي يخفف من حادثة كهذه . لقد بقيت معي دقيقة او دقيقتين فقط . ثم نهضت وتركت غرفتي من طريق الشرفة . ووقفت خارج غرفة (ك) وبادلتها كلمات قليلة . واحسب انهما واصلا الحديث الذي قطعتة عودتي . ولما لم اسمع الجزء الاول منه، فلم استطع ان اخمن عماذا كان يدور .

وبمضي الوقت زاد اسلوب اوجوسان بعدم الاكتراث، ولاحظت بأنها صارت اكثر مجاهرة في ابداء الود نحو (ك) . وحتى عندما اكون

في البيت كانت تنادي بأسم (ك) من الشرفة ، ومن ثم تدخل غرفته ويتبادلان حديثاً طويلاً . لكنك قد تسأل : بأي اسلوب يمكن لشخصين يعيشان تحت سقف واحد ان يتصرفا؟ ويجب ان اعترف بأن من الصعب ان تتجنب الدخول الى غرفته ، فهناك ، برغم ذلك ، اشياء مثل رسائله وملابسه المكوية التي كان يجب ان تأخذها اليه . لكن بالنسبة لي ، انا الذي نويت ان احتكر صحبتها ، فقد بدا لي انها كانت تراه اكثر من اللازم . واحياناً لم يكن بيدي حيلة سوى الانطباع بأنها كانت تتحاشى صحبتي عن قصد لكي تكون مع (ك) . وقد تسأل ، «علام اذن لم تطلب منه مغادرة البيت؟ لكن كنت انا الذي اجبرت (ك) على المعيشة والعيش معي لمنفعته الخاصة . وكان الطلب اليه بأن يغادر البيت شيئاً غير اصولي ومهيناً .

*

في يوم مطير وبارد من ايام تشرين الثاني ، سرت متوجهاً الى البيت كالمعتاد عبر اراضي معبد (كونياكو- ايما) وصعدت الى الزقاق الضيق المؤدي الى البيت . كان معظفي مبتلاً وكنت اصطك من البرد . لم يكن (ك) في غرفته ولا زال قدر جيد من النار في موقده . وتطلعاً مني لأن اجد مثل هذه النار في موقدي ، هُرعَت الى غرفتي . لكن كان يوجد فيها فقط رماد بارد ابيض حيث توقعت ان اجد فحماً احمر الجمرات . فآلم بي الانزعاج .

ثم سمعت وقع خطوات تدنو من غرفتي . كانت اوكوسان . رأيتني واقفاً بصمت في وسط غرفتي . لا بد انها شعرت بالاسى نحوِي ، لانها

دخلت وساعدتني بأستبدال زبي ببدة يابانية . ولما شكيت من البد، دخلتُ الغرفة المجاورة وعادت ومعها موقد (ك) . وعندما سألت اوكوسان فيما اذا كان (ك) قد عاد قبلي ، اجابت بأنه عاد، لكنه خرج مرة ثانية . وفي ذلك اليوم كانت محاضرات (ك) تتأخر عن محاضراتي ، ولذا عجبت من سبب عودته قبلي . فقالت اوكوسان بأن المحتمل ان لديه شغلاً يقضيه .

جلست وحاولت ان اقرأ . لم يكن في البيت صوت اسمعه . وبدا ان برد الشتاء المبكر وشعوري بالوحدة قد استحوذاً على بدني كله . طرحت كتابي ونهضت . واعلم ان رغبة مفاجئة بالذهاب الى مكان لهو قد راودتني . ويبدو ان المطر قد انقطع ، الا ان السماء لازالت تبدو باردة ومثقلة بغيم كالأواح الرصاص . وقررت ان اخرج حاملاً مظلتي . فنزلت من التل صوب المشرق بمحاذاة السياج الخلفي (ارسنال) . ولم تكن سلطات المدينة آنذاك قد اخذت على عاتقها بعد تحسين الطرق في تلك المنطقة ، ولذا كان المنحدر وقتذاك اكثر انحداراً مما هو عليه الآن . كما كان الطريق اضيق وغير مستقيم مثلما هو الحال اليوم . وبسبب رداءة المجاري وانتصاب الابنية العالية في الجانب الجنوبي التي اعترضت ضوء الشمس ، فقد بدا الطريق موحلاً جداً حينما بلغت الوادي . وكان الطريق على اسوأ ما يكون بين الجسر الحجري الضيق (ياناغيتشو) . وكان عليك أن تحترس في كل خطوة حتى وان كنت مرتدياً قبقاباً مطرياً عالياً او جزم (ويلنغتون) . وكان يوجد شريط ضيق من الارض المداسة جيداً في وسط الطريق ، وهو جاف نسبياً ، وكان

عليك ان تمشي بحذر لكي لا تزلق الى وراء . لم يكن عرض هذا الشريط اكثر من قدم او قدمين ، لذا كان المشي عليه كالمشي على شال امرأة مُدَّ على امتداد الطريق . ببطء وبطابور فردي سلك المشاة الطريق خائضين في الوحل . على هذا الشريط الضيق التقيت (ك) . لم الاحظه وهو يسير صوبي ، لان التزامي بسلك هذه الطريق استغرق انتباهي كله . فلما رأيت شخصاً امامي رفعت بصري ووجدت نفسي واقفاً وجهاً لوجه امام (ك) . سألت ، « اين كنت؟ » فأجاب بنغمته المألوفة ، الجافة والمقتضبة ، « في الطريق . » وانحسرننا بتقاطع سيرنا المتعاكس . ومن ثم اكتشفت بأن شابة كانت تقف على مبعدة خطوة او خطوتين خلف (ك) . وبما انني كنت قصير النظر فقد لزمني ان احذق اليها قبل ان ادرك ، ويالدهشتي . انني كنت انظر الى اوجوسان . فخرجت قليلاً وحيثني . وفي تلك الايام لم تسرح النساء شعورهن فوق جباههن ، الا انهن كن يعقصنه في لفات شبيهة بالتواءات الاعمى فوق رؤوسهن . فوقفت ساكناً وحدقت بنظرات فارغة الى رأسها . ثم تذكرت بأن احدنا كان يجب ان يتخذ خطوة جانبية لكي يسمح للآخر بالمرور . تحركت بسرعة ووطأت الوحل ، وهكذا سمحت لاجوسان ان تمر من جانبي .

واخيراً وصلت الشارع العام في (ياناغيتشو) ، لكنني ماكدت ان اصل الى هناك حتى وجدت نفسي لا استطيع ان اقرر المكان الذي اذهب اليه . ويبدو انني لم اعبأ بالمكان الذي اذهب اليه . فمشيت بغضب ودون هدف في الوحل ، غير آبه ان تلوثت برشاش الوحل ام لم

اتلوث . بعد ذلك ذهبت الى البيت .

*

سألت (ك) ان كان قد خرج مع اوجوسان . فردّ بالنفي . وواصل موضحاً بأنه التقى بها صدفة في (ماساغوتشو) ومن ثم سار معها الى البيت . وكان لا بد لي ان اكبح نفسي عن طرح مزيد من الاسئلة . على اية حال ، عند العشاء لم استطع ان امتنع عن سؤال اوجوسان عن المكان الذي ذهبت اليه عصر ذلك اليوم . فأجابت بضحكة ، بضحكتها تلك التي اكرهها جداً . ثم قالت ، «سوف ادعك تخمن .» في تلك الايام ، كنت شخصاً شديد الحساسية ، وكان يغضبني تماماً ان تعاملني امرأة شابة بمثل هذه الطريقة الفظة . كانت اوكوسان هي الشخص الوحيد حول المائدة الذي لاحظ ذلك . وكالمعتاد لاح (ك) غير مكترث بما يحيطه . اما بخصوص اوجوسان فلم استطع ان اتيقن فيما اذا كانت تزعجني عن قصد ام انها كانت تداعبني ببراءة . بالنسبة لامرأة شابة كانت عموماً مراعية لمشاعر الآخرين ، ولكن لانكران بأنها نانت تمتلك بعض الخواص الشائعة عند جميع الشابات وهي خواص كنت اكرهها . علاوة على ذلك ، بدأت ألاحظ هذه الخواص فقط بعد انتقال (ك) الى البيت . وقلت لنفسي ربما لم تكن هذه الخواص الا من اختلافات خيالي وسببها غيرتي من (ك) ، اوربما كانت حقيقية تماماً وقد نشأت عن غنج شابة في حضور رجلين . اذكرك ، انه ليست لدي نية في نكران الحقيقة بأنني كنت غيوراً . وكما اخبرتك غالباً كنت وقتذاك واعياً تماماً بوجود غيرة عظيمة في حبي لاجوسان . اكثر من

ذلك، صرت اغار لاسباب كان يجب ان تبدو تافهة عند الآخرين .
انني هنا أنحرف عن الموضوع الرئيس، لكن ألا تعتقد بأن هذا النوع
من الغيرة حالة مصاحبة ضرورية للحب؟ لقد لاحظت منذ الزواج،
انني صرت اقل فأقل خضوعاً لنوبات الغيرة . ولاحظت ايضاً أن حبي
ليس مشبوحاً على الاطلاق كما كان من قبل .

مرة أخرى، كان هناك ما يغريني الى الكشف عن سر قلبي وان
اقذف به الى صدرها . وبكلمة «صدرها» لااقصد اوجوسان بل
اوكوسان . ومرة ثانية بدأت افكر بأن اطلب من اوكوسان يد ابنتها . غير
انني لم أقدر أن أحمل نفسي على التحدث اليها عن الزواج . ولا بد
انك تظنني شخصاً متردداً . واذا ما ظننت ذلك، فظنك هذا لا يقلقني
كثيراً . ان كل ما اريد ان اشير اليه هنا هو ان ترددي هذا لم يكن بسبب
ضعف ارادتي . وقبل انتقال (ك) الينا، كان الخوف من ان اخدع هو
الذي اوقفني من التقرب الى اوكوسان بخصوص ابنتها . وبعد دخول
(ك) الى الساحة، كان الشك بأن اوجوسان قد تفضله علي هو
المسؤول عن تراخي . وفكرتُ، وانت تفهم، اذا كان (ك) يعني حقاً
بالنسبة لها اكثر مما اعنيه، فأن حبي بعد ذلك لا يستحق البوح به .

يجب ان لاتفكر بأنني كنت اخشى الخزي . ببساطة كرهت فكرة
العيش مع امرأة كانت تفضل علي بالسر شخصاً آخر . وانني اسلم بأنه
يوجد كثير من الرجال الذين يبدوون سعداء بما يكفي لان يتزوجوا نساءً
يسحرون عقولهم، غير آبهين فيما اذا كان الجنس الآخر راضياً بهم او
غير راضٍ . وكنت مقتنعاً اقتناعاً راسخاً بأن امثال اولئك الرجال اما ان

يكونوا اكثر مني خبرة بالناس واطيب في دوافعهم البشرية ، او ان يكونوا اغبياء محترقين لا يفهمون الطبيعة الحقيقية للحب . كما انني كنت ايضاً متحمساً في حبي الى حد اوحيت فيه لنفسي مثلاً ، بأننا حالما نتزوج فأن جميع المشكلات سوف تتوارى . بعبارة أخرى ، لم تكن تنقصني كثيراً القناعات النبيلة عن الحب ، لكن عندما اكتشفت بأن الحب ينطوي بالضرورة على اتخاذ فعل حاسم من جانبي ، ترددت وجبت وراوغت نوعاً ما .

وفي غضون الفترة الطويلة من الوقت التي عشنا فيها في البيت نفسه ، كانت توجد ، بالطبع ، امامي مناسبات كثيرة لأن اخبر اوجوسان مباشرة كيف كان شعوري نحوها ، لكنني أغفلت هذه المناسبات عن قصد . حينذاك كنت شاعراً جداً - ربما كثيراً جداً - بتلك الحقيقة :

ألا وهي ان التحدث مع اوجوسان عن الزواج قبل التحدث الى اوكوسان سوف يكون خرقاً فاضحاً للعادة اليابانية . من ناحية اخرى لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي منعه من الاعتراف بحبي لاجوسان . وكنت اخشى ايضاً بأنها اذا لم تقبل بي زوجاً لأي سبب كان ، فانها لن تقول ذلك بصراحة . وفكرت بأن اليابانيين ، لاسيما النساء اليابانيات ، كانت تنقصهم الشجاعة لأن يكونوا صريحين تماماً في مثل هذه المناسبات .

*

وهكذا وقفت ساكناً ولم اجسر على اتخاذ خطوة في اي اتجاه . كنت مثل شخص مريض في الفراش يغرق في نوم قَلْبٍ اثناء النهار .

ومن ثم يفتح عينيه بعد ان يفيق من نومه ، فيرى بجلاء ما يدور حوله . بعد ذلك ، للحظة اولحظتين . يغمره شعور بأنه وسط هذا العالم الذي يتحرك ، هو الشخص الوحيد الساكن . كنت محاصراً بخوف من هذا النوع ، ولو ان الآخرين لم يعرفوا به .

وبلغت السنة القديمة نهايتها . وذات يوم ، اثناء موسم السنة الجديدة ، قالت اوكوسان بأنه ينبغي لنا جميعاً ان نلعب ورقاً ، وسألت (ك) ان كان يرغب بدعوة صديق له ليشاركنا اللعب . اجاب ، « لكن ليس عندي اصدقاء . » فصدمت اوكوسان . حقاً ليس عند (ك) اصدقاء . بالطبع كان يوجد عدد قليل من الطلبة الذين كانت له بهم معرفة ضئيلة ، لكنه لم يعرف ايّاً منهم بما يكفي لأن يطلب منهم ان يشاركوه ويشاركوا العائلة في لعب ورق . ثم التقت اوكوسان نحوي وقالت ، « حسناً ، في هذه الحالة . لم لاتجلب انت زميلاً لك؟ » وبما انني لم اكن في حالة نفسية مهيأة للالعاب المرححة ، فقد اجبت بجواب غير ملزم . على اية حال ، في تلك الامسية سحبتنا اوكوسان من غرفتنا واجبرتتنا على ان نلعب الورق معهما . ولما لم يكن هناك ضيوف كان التجمع صغيراً ، فمارسنا لعبة^(١) هادئة جداً . وبما ان (ك) لم يعتد على قضاء وقت فراغ مرح ، فقد جلس كلوح خشب . قلت له ، « ألا تعرف

١- في هذه اللعبة التي تُلعب في السنة الجديدة تُطرح الاوراق ذات الصور على الارض . وتنطبق كل ورقة منها مع قصيدة تنتمي الى مجموعة اسمها (هياكونين اسهو) . وبعد أن تُقرأ القصيدة بصوت مرتفع يحاول الشخص أن يكون الاول في التقاط الورقة المناسبة . انها لعبة بريئة تستلزم مهارة قليلة ، والقصد منها هو اللعب بمرح بالغ .

قصائد هياكونين اسهوء؟» اجاب، «ليس جيداً.» ولا بد ان اوجوسان ظنت بأنني لم اكن رقيقاً بـ(ك). ومن الواضح انها بدأت تساعده كلما استطاعت، وسرعان ما تحولت اللعبة الى منافسة بيني وبينهما معاً. كان من الممكن ان اتشاجر معهما لولا طريقة (ك) التي لم تنم عن بهجة عندما بدأت اوجوسان تؤيده. فتمكنا من انهاء اللعبة بسلام. واعتقد انه بعد يومين او ثلاثة غادرت اوكوسان و اوجوسان البيت في الصباح الباكر قائلتين بأنهما ذاهبتان في زيارة لقريب لهما في (ايتشيغايا). بقيت انا و(ك) في البيت، لاننا مازلنا في عطفلة. لم تكن عندي نية للخروج. جلست بالقرب من الموقد واسندت مرفقي عليه وبدأت افكر بطريقة مبهمة وغير مترابطة. وكان ك ايضاً، الذي هو في غرفته، هادئاً جداً. لم يعط احدنا الاخر اية اشارة بأنه ما زال في البيت. على اية حال، لم يزعجني الصمت: كنا انا و(ك) معتادين عليه.

وفي حوالي العاشرة انفتح الباب بين غرفتي فجأة، فرأيت (ك) ينظر اليّ من فرجة الباب: قال، «ما الذي تفكر به؟» لم استطع بكل صراحة ان اقول بأنني كنت افكر بشيء ما على الاطلاق. واذا كان الارتباك في ذهني آنذاك يسمى «تفكيراً»، فأفترض اذن انه يجوز لي ان اجيب، «اوجوسان.» ويجوز ان اضيف، «كنت افكر بأوكوسان ايضاً، وفي الحقيقة، بك، انت الذي يبدو اخيراً قد جعل الامور بالنسبة لي اكثر تعقيداً مما كانت عليه مسبقاً. اجل، انت شخص مزعج وغامض، ترفض ان تتركني وشأني. كنت افكر فيك شخصاً مزعجاً ولعيناً.» لكن

كان من الصعب ان اقول هذا كله في وجهه . فواصلت النظر اليه بصمت . بعدئذ خطى (ك) الى داخل الغرفة وجلس مقابلاً لي . ابعدت مرفقي من حافة الموقد ودفعته قريباً منه .

بدأ (ك) يتحدث معي عن اوكوسان واوجوسان . فذهشت لانه لم يظهر اي ميل من قبل للتحدث عنهما . سألت «من يزوران في ايتشيغايا؟» فقلت من المحتمل جداً انهما ذهبتا لزيارة خالة اوجوسان . سألت ، «ماذا تعمل هذه الخالة؟» فشرحت بأنها ايضاً كانت زوجة عسكري . قال ، «أليست العادة بالنسبة للنساء ان يقمن بزيارات السنة الجديدة بعد منتصف كانون الثاني؟ انني أعجبت لماذا ذهبتا مبكرتين؟» واضطرت ان ارد ، «ليست عندي فكرة .»

*

واستمر (ك) يسألني عن اوكوسان واوجوسان . في الاخير وجدت نفسي غير قادر ان اجيب على اسئلته التي صارت معقدة وشخصية على نحو متزايد . لم افكر بأن سلوكه كان مزعجاً اكثر منه غريباً . في السابق ، كنت دائماً انا الذي احاول ان اطرح موضوع السيدتين في حديثنا . وعليه لم يكن من بد ان الاحظ الاهتمام المفاجيء الذي اظهره (ك) نحوهما . اخيراً سألته ، «لماذا في هذا اليوم بالذات تسألني هذه الاسئلة كلها؟» وبغته لاذ الى الصمت التام . ورأيت فمه يرتعش . في العادة ان (ك) هورجل الكلمات القليلة . وكان من عادته ايضاً ان يفتح ويغلق شفتيه ، مثل مصراع آلة التصوير ، قبل ان يفوه بشيء ، كما لو انهما ليستا تحت سيطرة ارادته تماماً . وربما كانت هذه الصعوبة

مسئولة جزئياً عن الانطباع بالاهمية التي تبلغها كلماته لدى السامع .
وعندما كان صوته يخترق هذا الحاجز، كان اقوى من صوت الرجل
الاعتيادي بمرتين .

وعند رؤية ارتجاف شفثيه عرفت بأنه يوشك ان يقول شيئاً ما . لكن ،
بالطبع ، لم احدس ما سيقول . وعليه صُدمت . تصوررد فعلي لوان
(ك) ، بطريقته الثقيلة ، قد اعترف لي بحبه المعذب تجاه اوجوسان .
وشعرت كأنني تحولت الى صخرة بعضا ساحر . ولم استطع ان احرك
شفثي مثلما فعل (ك) .

وقتذاك لم اكن متأكداً بالضبط بأية عاطفة شعرت . ربما كانت
خشية اوربما كان ألماً مفزعاً . ومهما كانت ، فقد جعلني تأثيرها
الطبيعي اشعر بالتيس من قمة رأسي الى اخمص قدمي ، كما لو انني
كنت قطعة حجر او حديد . ولا اعتقد بأنني تنفست آنذاك . من حسن
الحظ ، لم تدم هذه الحالة طويلاً . بعد لحظة اولحظتين بدأت اشعر
بالحيوية من جديد . وكانت فكرتي الاولى هي :

«لقد سبقتي الى الموضوع .» ولم استطع ان افكر بشيء ا قوله او
افعله سوى هذا . واطن انني لم اكن متماسكاً بعد بما فيه الكفاية لكي
أفكر بتسلسل منطقي .

جلست ساكناً ، شاعراً بالعرق البارد ينضح من خلال ملاسي .
وبطريقته التأملية المألوفة واصل (ك) اعترافه . وكان الالم بداخلي
لا يطاق تقريباً . وفكرت ، «من المؤكد انه يلوح علي وجهي .» في
الحقيقة ، ان ما شعرت به حينذاك لم يكن اقل وضوحاً من اعلان كبير

ملصق على رأسي ، وانا واثق ، حتى (ك) نفسه كان يمكن ان يلاحظ ذلك ، لوان الظرف كان اعتيادياً . لكنني اعتقد بأن انشغاله بالحديث عن مشاكله الخاصة لم يفسح له الوقت بأن يلاحظ رد فعلي على كلماته . لقد نطق باعترافه بالنعمة الرتيبة نفسها من البداية الى النهاية ، وان السمة التأميلية في الاعتراف اضفت على المتحدث مسحة قوة لا تتزحزح . لم اصغ لما كان يقوله بدقة . ذلك لأن قلبي كان يصرخ طوال الوقت ، «ماذا سأفعل ؟ ماذا سأفعل ؟» مع ذلك كنت احس تماماً بنبرة صوته التي بدت تتواصل برتابة لامتناهية وتتلاطم على وعي كأمواج البحر . ولهذا لم اشعر آنذاك بالعذاب وحده بل بنوع من الخوف . انه خوف الرجل الذي يرى امامه نداً اقوى منه .

عندما انقطع (ك) عن الكلام اخيراً ، وجدت نفسي غير قادر على قول اي شيء . اريدك ان تفهم بأنني لم اسكت لانني كنت اناقش نفسي . فيما اذا كان ينبغي ان اؤدي اعترافاً مماثلاً لـ(ك) أم ان ألوذ بسياسة اكثر حكمة فلا اقول شيئاً عن حبي لاوجوسان . ببساطة لم اكن قادراً على الكلام . اضافة الى ذلك ، لم تكن لدي الرغبة في كسر الصمت .

في الغداء واجه احدنا الآخر عبر المائدة . وقامت الخادمة على خدمتنا . وبداء لي ان الطعام خال من المذاق على نحو غير اعتيادي . وقل ما تحدثنا انا و(ك) مع بعضنا طوال فترة الوجبة . ولم تكن لدينا فكرة متى ستعود اوكوسان واوجوسان .

*

عدنا الى غرفتي. كان (ك) هادئاً كهدوئه في الصباح . وجلست انا ايضاً ساكناً مستغرقاً في التفكير.

قلت في نفسي انني ينبغي ان اكون صريحاً مع (ك) واخبره بأنني وقعت ايضاً في حب اوجوسان . مع ذلك ما كان باليد حيلة سوى ان اشعر بأن الوقت قد فات جداً لفعل هذا . وبدأت ألعن نفسي لانني لم اقاطع اعتراف (ك) باعترافي الخاص . وفكرت لو انني فعلت ذلك ، لكنت قد احبطت مناورته . وبدت حقيقة امتناعي حتى عن محاولة اخباره بالحقيقة عن نفسي بعد توقفه عن الكلام ، خطأً فظيماً . اكثر من ذلك ، شعرت بأن الشروع بالافصاح عن سري له في هذه المرحلة سيكون شيئاً غير مناسب على نحو ما : سيبدو غير طبيعي ولربما امراً ملفقاً . ولم ار مخرجاً من هذه الحيرة . وبدا اليأس والندم يخفقان في رأسي .

وتمنيت مرة اخرى ان يفتح (ك) الباب ويلج الى غرفتي . في ذلك الصباح باغتني (ك) على حين غرة ولم اكن مستعداً للامر تماماً . رغبت ان يتكرر المشهد لكي استقبل (ك) هذه المرة بمبادرة من جانبي . ومرة تلو مرة ، حدثت الى الباب لكنه لم يفرج . وبدا الصمت في غرفة (ك) سرمدياً .

في النهاية قادني السكون الى الخبل تقريباً . ولم استطع ان امنع نفسي من التساؤل بعصبية عما كان يفكر به (ك) في الغرفة المجاورة . قبل ذلك اليوم كنا نمضي ساعات عديدة دون احداث صوت ،

واكتشفت انه كلما طال امد الصمت كلما صار ايسر لي نسيان وجود (ك). اما ان ذلك كان له تأثير عكسي عليّ في عصر ذلك اليوم، فيظهر كم ان اعصابي كانت منهكة. صحيح، انه كان بوسعي ان انهض وافتح الباب بنفسي الى غرفة (ك)، لكنني لم استطع ان افعل ذلك وبما انني ضيعت الفرصة في ذلك الصباح لأن افضي بسريرة نفسي الي (ك)، فقد اضطرت للانتظار سلباً حتى تحين فرصة أخرى.

بدأت اشعر انني اذا بقيت في غرفتي فترة اطول، فقد افقد فحأة السيطرة على نفسي واندفع الي غرفة (ك). وعليه نهضت وخرجت الي الشرفة. من هناك دخلت غرفة الصباح، ولعدم وجود شيء افضل افعله، فقد سكبت شيئاً من الماء الحار في الغلاية الموضوعه في الموقد في كوب وشربته. ثم ذهبت الي البهو الامامي. وأعرض ان افلح بتحاشي غرفة (ك) اتخذت طريقي الي الشارع. لاحاجة بي الي القبول، انني لم اعبأ بالمكان الذي سأذهب اليه، مادمت خارج غرفتي. وبلا هدف سرت في الشوارع التي جمعتها زينات السنة الجديدة. ومهما طال بي السير، ظل (ك) هو الموضوع الوحيد في فكري. اريدك ان تفهم بأنني لم اتجول لكي انس (ك). في الحقيقة قد يجوز القول بأنني كنت اجوب الشوارع مظارداً صورة (ك).

يجب ان اعترف بأن (ك) كان لغزاً بالنسبة لي. سألت نفسي: «لماذا افضي (ك) بسره لي على أية حال؟ لماذا سمح لحيه نهذه الفتاة ان يصبح شديداً حتى لم يعد بوسعه ان يحتفظ به سراً؟ ماذا حصل لـ(ك) الذي اعرفه؟» لم استطع ان اجد جواباً سهلاً لاي واحد من هذه

الاسئلة . كنت اعرف بأنه قوي العقل وجاد ومخلص . لكن كان يوجد الكثير الذي لم اعرفه عنه ، وادركت في حينه . بأنني قبل ان استطيع اتخاذ القرار فيما يجب ان افعل ، كان يجب علي ان اعرف اكثر مما اعرف عن (ك) . وفي الوقت نفسه . شعرت بداخلي خوفاً غريباً - تفاقم الى رعب خرافي تقريباً - من الشخص الذي صار منافساً لي . ومع صورة (ك) وهو جالس بهدوء في غرفته والمائلة امام عين عقلي ، جبهت الشوارع بارتباك . واظن انني استطعت ان اسمع صوتاً هامساً في اذني : «لن تتخلص منه ابداً» لربما بدأت افكر به على انه نوع من الشيطان . وفي لحظة تملكني الشعور بأن شبحه سوف يصاحبني بقية حياتي .

وعندما وصلت البيت منهكاً ، لاحظت بأن غرفه هادئة كالسابق . وقد يفكر المرء بأنه لا يوجد أحد فيها .

*

بعد ذلك بوقت قصير سمعت عجلات عربة (الركشو) وهي تقترب من البيت . في تلك الايام لم تكن لعجلات (الركشو) اطارات مطاطية كما هي الحال الآن . لذلك كانت تحدث جلبه على نحو مزعج ، وكان بوسع المرء ان يسمع صوتها على مسافة بعيدة . وبعد دقيقة او دقيقتين ، توقفت عربة (الركشو) امام البيت .

بعد ذلك بنصف ساعة فقط دعينا الى الغداء . وعندما مررت بباب اوجوسان في طريقي الى غرفة الطعام ، رأيت ملابس خروج السيدتين ملقاة بكومة ملونة غير منتظمة على الارض . من الواضح انهما سارعتا

بالعودة الى البيت لكي تتمكننا من اعداد غدائنا . وقد اغرقتنا اوكوسان بعطفها . وفي اثناء الوجبة ، تصرفت كأن الكلمات بضاعة نفيسة لايمكن ان ابذرهما ، وكنت مرحاً مع السيدتين . وكان (ك) مقللاً في الكلام اكثر مني . من ناحية أخرى كانت السيدتان اللتان عادتا من نزهة نادرة ، مبهجتين بافراط ، مما جعل سلوكنا الكئيب مدحاً طاً جداً . سألت اوكوسان عما دهانا . فأخبرتها بأنني لست على ما يرام . وأؤكد لك ، انني كنت صادقاً تماماً . ثم سألت اوكوسان (ك) السؤال نفسه . فأعطى (ك) جواباً مختلفاً : اذ قال بأنه ببساطة غير ميال للكلام . سألته ، «لِمَ لا؟» رفعت عيني الكابيتين والمثقلتين ونظرت الى (ك) . كنت فضولياً جداً ان اعرف ما سيقول . مرة أخرى ارتعشت شفتاه قليلاً . بالنسبة للعيون البريئة سوف يترأى لها انه كان يعاني من صعوبته المألوفة مع الكلمات . ضحكت اوكوسان وقالت بأنه لا بد كان يفكر بشيء عميق جداً . فتورد خدا (ك) قليلاً .

في تلك الليلة ذهبت الى الفراش مبكراً . وفي حوالي العاشرة اذ تذكرت اوكوسان قولي بأنني لست على ما يرام ، جلبت لي بصدر رجب عصيدة الحنطة السوداء . لقد وجدت غرفتي في ظلام دامس عندما فتحت الباب . نظرت الى داخل الغرفة وقالت ، «حسناً» . ومن خلال الباب الآخر الذي كان مغلقاً تسللت حزمة ضوء من المصباح الموضوع على منضدة (ك) . من الواضح انه ما زال مستيقظاً . جلست اوكوسان الى جانب سريري ومدت كوب العصيدة وقالت ، «خذ . اشرب هذه . سوف تعطيك دفئاً . من المحتمل انك أصبت بالبرد . لم

اجرؤ على الرفض ، فشربت السائل الثخين بينما كانت ترقبني .
وفي الظلام رقدت مفكراً حتى ساعات الصباح الاولى . وبالطبع
كانت مشكلة (ك) واوجوسان هي كل ما استطعت ان افكر فيه . فجأة
بعد ذلك ، اردت ان اعرف ما الذي كان (ك) يفعله في غرفته . وبغفوية
تقريباً صحت ، «هي !» اجاب ، «نعم» . ففكرت اذن لم ينم (ك) بعد
هو الآخر . قلت ، «ألم تنم بعد؟» ببساطة اجاب ، «سأفعل قريباً» . ثم
سألت ، «ماذا تفعل؟» في هذه المرة ، لم يأتي جواب . بعد خمس او
ست دقائق سمعته يفتح باب الدولاب ومدّ فراشه على الارض .
سألت ، «ما الوقت الآن؟» اجاب (ك) ، «الواحدة والثلاث» . وسمعته
يُطفئ المصباح بالنفخ . كان البيت مظلماً تماماً الآن . وفجأة شعرت
بالصمت من حولي .

لكنني لم استطع النوم . لم تنغلق عيناى وحدقتا الى الظلام . مرة
أخرى سمعت صوتي يصيح ، «هي !» ومرة ثانية اجاب (ك) ، «نعم .»
ولما لم استطع كبح جماح نفسي اكثر من ذلك ، قلت ، «اسمعي .
اريد ان اتحدث معك حديثاً سهياً . . . انت تعرف . . عما قلته هذا
الصباح . ما رأيك بذلك؟» بالطبع ، لم تكن لدي رغبة بأن اوصل معه
حديثاً متشابكاً من خلال الباب المغلق : ان كل ما اردته هو جواب
بسيط من (ك) . وفجأة شفت كلماته من عدم الوضوح . «حسناً ،
ربما . .» قال بهدوء وبلا رغبة . مرة أخرى ، راودني الخوف .

*

ظل موقف (ك) غير واضح طوال اليوم التالي واليوم الذي تلاه . انه

باقتضاب، ارجوان تفهم بأنني بعد تردد طويل جداً قررت أخيراً أن انتظر اللحظة المناسبة للتحديث مع (ك). تذكر ان قراري هذا قد خفف، علي اية حال، الوطأة عن ذهني المكروب.

وأخيراً انتهت عطلتنا. وفي الايام التي كانت تتوافق فيها محاضراتنا، كنا نذهب الى الجامعة سوية. ونالبا ما نعود الى البيت معاً ايضاً. ظاهرياً كنا صديقين ودودين كالسابق، لكنني واثق بأن كل واحد منا كان جد مستغرقاً في مشكلاته الخاصة. وذات يوم، بينما كنا نسير صوب البيت سألته بغتة، «هل انا الوحيد الذي يعرف شرك؟ ام انك اخبرت اوكوسان ووجوسان ايضاً؟» فكرت بأن الاساليب التي اتبناها في المستقبل سوف تعتمد على جوابه. اجاب بأنه لم يخبر بذلك احداً غيري. قلت لنفسي بأنني كنت مصيباً على اية حال، فشعرت بشيء من السرور. كنت اعرف جيداً بأنه اكثر وقاحة مني. كما انه اكثر جرأة. من ناحية اخرى وثقت به بطريقة غريبة. وحتى حقيقة كونه قد خدع والديه بالتبني مدة ثلاث سنوات لم تفسد ثقتي به أبداً. في الحقيقة زادت ثقتي به اكثر بسبب ذلك. وبالرغم من طبيعتي المرتابة لم اشعر بالميل الى الشك بكلمته. سألت، «مالذي تنوي ان تفعل؟ هل استحتفظ بحبك لاجوسان سراً، ام انك ستفعل شيئاً بصدده؟» في هذه المرة، لم يجب. لقد اخفض عينيه وواصل السير. فرجوته، «من فضلك لا تخفي عني اي شيء. ارجوك اخبرني بما تنوي ان تفعل.» قال، «لا حاجة ان اخفي عنك اي شيء.» الا انه رفض ان يخبرني بما اردت ان اعرف. كان من الصعب ان اوقفه في وسط

الطريق وان اجبره على ان يكون اكثر وضوحاً . وواصلنا السير بصمت .

*

بعد ايام قليلة قمت باحدى زياراتي النادرة الى مكتبة الجامعة . لقد اخبرني مشرفي بأن اطلع ، قبل الاسبوع التالي ، على حقائق معينة تتعلق بمجال تخصصي . كان يجب علي ان اقوم من مقعدي في غرفة المطالعة وان اعود الى الرفوف مرتين او ثلاث مرات قبل ان استطع تحديد الكتب التي اريدها . لقد جلست الى طرف المنضدة الطويلة وبدأت اقرأ بعناية البحث في الجريدة الاجنبية التي وصلت حديثاً . وارسلت الشمس اشعتها من خلال النافذة وبعثت الدفء في الجزء الاعلى من جسمي . ثم فجأة سمعت شخصاً يهمس بأسمي من الجانب الأخر للمنضدة . رفعت بصري فرأيت (ك) واقفاً هناك . انحنى على المنضدة كيما يكون اكثر قرباً مني . وكما تعرف ، لم يكن مسموحاً لنا ان نزعج الآخرين في المكتبة بالتحدث بصوت عال ، وعليه فقد فعل (ك) ما كان ينبغي لأي طالب آخر ان يفعله في موقف مشابه . مع ذلك بثّ فيّ تصرف (ك) شعوراً غريباً .

سأل وهو مازال هامساً ، « تدرس ؟ » قلت ، « هناك شيء ابحث عنه . » لم يتحرك (ك) . كان وجهه يبعد عن وجهي بوصات قليلة فقط . قال ، « هيا نخرج في نزهة » قلت ، « سأفعل . لكن يجب ان تنتظر . » « حسناً ، » قال هذا ، وجلس على الكرسي الخالي المقابل لي . فاكشفت بأنني لا استطيع التركيز على البحث اكثر . واقلقتني فكرة ان (ك) قد جاء ليناقدش معي مسألة مهمة . اقلعت عن محاولة القراءة ،

وبعد ان اغلقت المجلة تحركت كأنني انهض . بهدوء سألني (ك) ،
« انتهيت؟ » اجبت ، « كلا ، لكن لا يهم . » ارجعت المجلة وتركت
المكتبة بصحبة (ك) .

لم تكن في ذهننا وجهة معينة . مشينا عبر (تاتسووكاتشو) صوب
(ايكينوهاتا) ومن ثم دخلنا متنزه (يونو) . وفجأة بدأ يتحدث عن
المسألة . وبالحكم على الطريقة التي عرض بها الموضوع ، يبدو بأنه
طلب مني الخروج بصورة خاصة لغرض التحدث اليّ عنه . وعرفت
بأن الموقف ، من حيث جميع الاغراض العملية ، ظل بلا تغيير منذ
الوقت الذي اعترف به اليّ . سألت بغموض ، « ماذا تعتقد؟ » ما رغب ان
يعرفه هو انني كيف انظر اليه وقد غرق في الحب عميقاً . اراد ان يعرف
رأيي عنه وهو في حالته تلك . شعرت بأن رغبته في اكتشاف فكري عنه
كانت دليلاً أكيداً على انه لم يكن في حالته النفسية المعهودة . اريد ان
أؤكد هنا - ولوانك قد تظن بي الولوج بتكرار - أن (ك) كان شخصاً
مستقل التفكير عادة ، ولم يهمله كثيراً ما يظنه الآخرون به . كانت لديه
الشجاعة والقوة لأن يفعل أي شيء اذا اعتقد بأنه على صواب .
لاحظت هذه الخصلة فيه بوضوح تام في معاملاته مع ابويه في التبني .
لأعجب اذن ان اعتقدت بأن سؤاله في المتنزه غير مناسب .

سألته عن سبب اعتقاده بضرورة معرفة رأيي . بنبيرة مغتمة غير
اعتيادية قال ، « وجدت بأنني رجل ضعيف وانني خجل . » ثم اضاف ،
« انت ترى . انني ضائع . صرت لغزاً حتى في نظر نفسي . اي شيء
آخر استطيع ان افعل سوى ان اطلب منك رأيك الصريح؟ » سألت

بسرعة، «ماذا تقصد بأنك ضائع؟» قال، «اقصد بأنني لا استطيع ان اقرر فيما اذا اخطو الى امام او انقلب الى وراء.» مرة أخرى سبرت غوره، «قل لي، أستطيع حقاً ان تنقلب الى وراء اذا شئت؟» فجأة بدا ضائعاً في ايجاد جواب. كل ما قاله هو: «لا استطيع ان اتحمل هذا الالم.» وعندما قال هذا، كان تعبيره متسماً بالعذاب حقاً. ولولم تكن اوجوسان ضمن الموضوع، فمن المؤكد انني كنت سأحدث معه برفق ولحاولت التخفيف من عذابه. كان بحاجة الى الكلمات الرفيعة، كحاجة الارض للمطر. لكنني لم اكن في حالي النفسية المألوفة حينذاك.

*

راقبته بعناية كأنه منافسي في المباراة. لم يكن فيّ جزء غير متيقظ. ولم أرخ، لحظة واحدة، عينيّ اوقلبي اوجسدي. وسوف يكون القول بأن (ك) لم يخض نفسه جيداً قولاً مقصوداً به التقليل من شأن الحقيقة. وفي براءته وضع نفسه تحت رحمتي كلياً. وقد تسنى لي ان اراقبه في وقت الفراغ وان ألاحظ بعناية اكثر نقاطه ضعفاً. استطعت ان افكر بشيء واحد فقط الا وهو ضعف دفاع (ك). انه كان يحوم بلا يقين بين عالم الحقيقة وعالم مثالياته. وفكرت بأن الوقت قد حان الآن لاحطم مناوئي. ولم انتظر طويلاً لأقوم بالاختراق. فأستدرت نحوه بهيئة رصيئة. صحيح ان الرصانة جزء من مناوراتي، لكنها من المؤكد كانت متطابقة مع الطريقة التي احسست بها. وكنت

مشدود الاعصاب الى حد لم ارأي شي ء هازل او مخزٍ فيما انا فاعل .
وقلت بقسوة ، « احمق من لايملك طموحات روحية . » هذا هو مقاله
(ك) لي عند سفرنا الى (بوشو) . لقد قذفت بوجهه الكلمات عينها التي
استخدمها مرة لاهانتني . حتى نبرة صوتي كانت النبرة نفسها لصوته
حينما أبدى هذه الملاحظة . لكنني أصرّ على انني لم اكن انتقامياً .
وأعترف لك بأن ما حاولت فعله كان قسوة شديدة اكثر منه مجرد انتقام .
لقد اردت ان احطم ايما أمل كان لديه في حبه لاجوسان .

ولد (ك) في معبد (شينشو) . لكنني اذكر ، في المرحلة الثانوية ،
انه اظهر علامات الابتعاد عن مبادئ طائفة عائلته . واني لشاعر تماماً
بجهلي المتعلق بالمبادئ البوذية المختلفة . لكن كان من الواضح
لي ، في الاقل في قضية علاقة الرجال بالنساء ، ان (ك) على خلاف
مع تعاليم (شينشو) .^(١) وكان (ك) مولعاً دائماً بعبارة ، « تركيز الذهن . »
وعندما سمعت (ك) يذكرها اول مرة ، فكرت بأن من المحتمل ان
« تركيز الذهن » ينطوي ، من بين اشياء اخرى ، على « ضبط
العواطف » . ولما عرفت فيما بعد بأنها تتضمن شيئاً اكثر من ذلك ،
دُهشت . كانت عقيدة (ك) هي وجوب التضحية بكل شيء من أجل
« الطريق الصحيح » . وحتى الحب بلا رغبة جسدية يجب تجنبه . ولم
تتطلب متابعة « الطريق الصحيح » الامتناع عن الرغبة وحسب ، بل
تتطلب التقشف الكلي . لقد جعل (ك) كل هذا واضحاً لي عندما كان

١- شينشو: طائفة بروتستانتية لاتشجع العزوبة.

يعيش وحده وهو يعول نفسه . وفي ذلك الوقت كان قد سبق لي الوقوع في هوى اوجوسان ، واعتدت ان اناقشه كلما طرح موضوع « الطريق الصحيح » . وكان (ك) يصغي لي بنظرة رثاء علي وجهه . ودائماً كان الاحتقار يكمن وراء رثائه : وقلما وجدت اثرًا للتسامح الودي فيه . وبسبب كل ما قاله الواحد منا للآخر في الماضي ، عرفت بأن ملاحظتي آذت (ك) كثيراً . ولم تكن لي نية في تحطيم عقائده القديمة . لقد قلت ما قلت لكي اجعله اكثر استقامة مما كان عليه من قبل . وبالطبع هممني قليلاً فيما اذا تبع « الطريق الصحيح » حقاً ولم يتبعه ، او اذا بلغ السماء في اي وقت . وكان ما اخشاه هو ما يسببه لي من اذى اذا ما قرران يبدل طرائقه . في الحقيقة ان الحرص على المصلحة الشخصية هو الذي حُضني على هذه الملاحظة .

قلت مرة ثانية ، « احمق من لا يمتلك طموحات روحية . » وراقبت (ك) بدقة اردت ان اعرف تأثير كلماتي عليه .
اخيراً قال ، « احمق . . اجل ، انا احمق . »
وقف ساكناً عندما تكلم وهدق الى قدميه . وفزعت فجأة لأن (ك) قرر في حالة يأس قبول الحقيقة بكونه احمق . وارتبكت مثل رجل يجد مناوئه الذي طرحه ارضاً للتو، يوشك ان ينهض بسلاح جديد بيده .
على اية حال ، بعد دقيقة ، ادركت بأن (ك) قد تكلم حقاً بنبرة صوت يائسة . اردت ان ارى عينيه ، لكنه لم ينظر باتجاهي . وبيطء ، بدأنا نسير مرة ثانية .

*

مشيت الى جانب (ك) منتظراً اياه ان يتكلم مرة ثانية. كنت بانتظار فرصة أخرى لأيلامه. لقد تربصتُ به لكي أوقعه على حين غرة. لكنني لم اكن رجلاً جاهلاً ولست بلا ضمير. ولو ان صوتاً همس في اذني، «انت جبان»، لكان من الممكن في تلك اللحظة ان اعود الى سجليتي الاعتيادية. ولو ان ذلك الصوت كان صوت (ك)، لكان من المؤكد ان يتورد خدائي خجلاً. الا ان (ك) لم يكن من النوع الذي يعاتب. كان صريحاً جداً وبسيطاً جداً ومستقيماً جداً الى حد انه لم يبالي ان يستشف ما في باطني. ثم لم اكن انا في حالة نفسية أكبر فيها فضائله. على النقيض، وجدتها مجرد معائب.

بعد فترة قصيرة التفت (ك) نحوي وخاطبني. في هذه المرة، كنت انا الذي توقفت عن المشي. ثم توقف (ك) ايضاً. واخيراً كنت قادراً ان انظر في عينيه. كان اطول مني، لذا كان يتوجب عليّ ان ارفع بصري اليه. كنت مثل ذئب رابضاً لحمل.

قال، «دعنا لانخوض في هذا بعد الآن.» لقد تأثرت تأثراً غريباً بالألم البين في عينيه وكلماته. وللحظة لم اعرف ماذا اقول. بعدئذ، بنبرة اكثر توسلاً، قال مرة ثانية، «ارجوك ان لاتتحدث عن هذا.» كان ردي قاسياً. لقد قفز الذئب ممسكاً بحنجرة الحمل.

«حسناً. اذن انت لاتريدين ان اتحدث عن هذا. ألا قل لي، من ذا الذي طرح الموضوع على اية حال؟ اذا كنت اتذكر جيداً، فأنت الذي فعلت. وطبعاً اذا اردت مني ان اتوقف حقاً، فسوف افعل. غير ان عدم الحديث عنه لن يحل المشكلة، أليس كذلك؟ هل تستطيع

انت نفسك ان تقرر التوقف عن التفكير به؟ هل انت مستعد لأن تفعل ذلك؟ ماذا حصل لجميع مبادئك التي كنت تتحدث عنها دائماً؟»
بدا (ك) يضعف امام عيني. وبدأ لي طوله نصف ما كان عليه سابقاً. وكما قلت مسبقاً، فإنه شخص عنيد جداً، لكنه كان صادقاً جداً مع نفسه الى حد انه لم يتجاهل قلبه اذا ما اشار اليه شخص آخر بحدة. ولاحظت التأثير الذي تركته كلماتي عليه، فأرضاني ذلك. ثم قال فجأة، «هل أنا مستعد. . . ؟» وقبل أن أقول أي شيء أضاف، «لِمَ لا؟ استطيع ان اوقف نفسي. . . .» بدا كمن يحدث نفسه. وترآى لي كأن الكلمات كانت تُنطق في حلم.

وبصمت بدأنا السير صوب البيت في (كويشيكاوا). لم يكن الجو بارداً في ذلك اليوم، لأن الريح قليلة. مع هذا كان الوقت شتاءً وبدأ المنتزه مُضَيَّباً. أدرت رأسي مرة الى الخلف ونظرت الى اشجار الارز. كانت مسودة، وبدت كأن الصقيع قد التهم كل خضرتها. وفوقها امتدت سماء رمادية. ولاحظت برودة المشهد كأنها تصل في عمودي الفقري. وعلى ضوء الشفق اسرعنا بالمشي فوق تل (هونغو). وبعد بلوغنا بطن الوادي وبعد ان بدأنا المشي صعوداً الى التل في (كويشيكاوا) بدأت اشعر بالدفء تحت معطفي.

وقل ما تحدث الواحد منا للآخر في طريقنا الى البيت. ربما كان السبب في ذلك هواننا كنا في عجلة من امرنا للعودة. وعند العشاء، سألتنا اوكوسان، «لماذا تأخرتما هكذا؟» فقلت بأن (ك) طلب مني ان اذهب معه الى (يونو). دُهِشت اوكوسان وقالت، «الا ان الجوبارد

جداً!« وسألت اوجوسان، «ولماذا (يونو)؟ هل يوجد شيء في (يونو) اردتما رؤيته؟» قلت، «كلا. بكل بساطة كنا ننتزه.» وفي تلك الليلة تحدثت (ك) اقل من المؤلف. وحادثته اوكوسان وضحكت عليه اوجوسان، الا انه لم يستجب. فازدرد طعامه وعاد الى غرفته تاركاً ايانا جالسين الى المنضدة.

*

في تلك الايام لم تكن العبارات من امثال «عصر اليقظة» و«الحياة الجديدة» قد راجت بعد. لكن يجب ان لا تفكر بأن عجز (ك) في رفض طرائقه القديمة والابتداء بحياة جديدة كان راجعاً لنقص في مفاهيمه الحديثة. يجب ان تفهم بأن الماضي بالنسبة لـ(ك) بدا شيئاً مقدساً لم يقدر على خلعه كما تُخلع بدلة قديمة. ومن الممكن ان يقول المرء بأن ماضية هو حياته، وان انكار هذا الماضي معناه ان حياته التي عاشها الحد الآن خالية من هدف. واذا كان (ك) متردداً في حبه، فان هذا لايعني ان حبه فاتر بمعنى ما. انه لم يكن قادراً على الحركة بالرغم من عنف عاطفته. وبما ان زخم عاطفته الجديدة لم يكن كبيراً الى حد يسمح له ان يتناسى نفسه، فقد اضطر الى ان ينظر الى الوراء وان يذكر نفسه بما كان يعنيه له الماضي. وبفعله هذا لم يستطع الا ان يواصل الطريق التي سار عليها الحد الآن. علاوة على ذلك كان يمتلك عناداً وصبراً غير معروفين في تلك الايام. واعتقد بأنني الى هذا الحد قد فهمت رد فعل (ك) ازاء ورطته فهماً جيداً.

في تلك الامسية، بعد مسيرتنا الى (يونو)، شعرت براحة غير

اعتيادية . وبسرعة نهضت عن المائدة وتبع (ك) الى غرفته . جلست بجانب منضدته وبدأت اثرثر عن مسألة تافهة . فبدأ متألماً . ومن الممكن ان عيني قد فضحتا ما كنت اشعر به من انتصار آنذاك . انني اعرف ان صوتي كان يحمل نغمة تهنئة الذات . بعد دقائق قليلة سحبت يدي من الموقد ورجعت الى غرفتي . ولاول مرة في حياتي شعرت بأنني اكثر من نذل (ك) في مسألة واحدة في الاقل .

سرعان ما استغرقت في نوم عميق . وبعثت أيقظني شخص يناديني باسمي . انفتح الباب ورأيت شخص (ك) المظلل واقفاً في الممر . مازال المصباح يشتعل في غرفته . كان التحول من النوم الى اليقظة مفاجئاً جداً ، فبقيت راقداً لحظة او لحظتين في حالة دوار غير قادر ان اتكلم .

سأل (ك) : «هل كنت نائماً؟» كان (ك) نفسه يذهب دائماً الى الفراش متأخراً . خاطبت ظله ، «أتريد شيئاً؟» قال ، «كلا ، لاشيء . قبل دقيقة ذهبت الى الحمام ، وفي طريق عودتي تساءلت مع نفسي ان كنت لاتزال ساهراً ام لا .» كان النور وراءه ، وعليه لم أستطع ان ارى وجهه بوضوح . لكنني استطيت القول ، من نغمة صوته ، بأنه كان هادئاً على نحو غير اعتيادي .

خطا (ك) راجعاً الى داخل غرفته وأغلق الباب . وساد الظلام الغرفة مرة ثانية . أغلقت عيني في الظلمة لكي أعود الى احلامي الوداعة . فنمت في الحال : وفي الصباح التالي فكرت بالحادثة وبدأت أستغرب لماذا سلك (ك) سلوكاً غريباً . كنت شبه ميال الى الاعتقاد بأن كل

شيء حلم . وعند الافطار سألت (ك) ان كان قد فتح الباب حقاً في منتصف الليل وناداني . اجاب ، «اجل ، فعلت .» سألته ، «لماذا؟» لم يرد على سؤالني . وبعد صمت قصير سألني سؤالاً لم اتوقعه ، «هل تنام نوماً جيداً هذه الايام؟» استثار سؤاله فيّ احساساً غريباً .

غادرنا المنزل معاً لأن محاضرتينا تبدآن في الوقت نفسه في ذلك اليوم . كانت حادثة الليلة السابقة لاتزال تزعجني . بدأت اسأله مرة ثانية اثناء سيرنا باتجاه الجامعة . غير ان (ك) لم يرد عليّ بصورة مرضية . واخيراً قلت ، «هل انت متأكد بأنك لاتنوي مواصلة حديث الامس؟» قال ، «بكل تأكيد ، لا .» شعرت بأن جوابه المقتضب كان السبيل الى تذكيري بما قاله في المتنزه في عصر اليوم السابق وهو ، «دعنا لانتحدث بهذا اكثر .» ثم تذكرت كيف ان (ك) كان متعالياً بشدة وبدأت الكلمات التي تتم بها تحزني وهي ، «هل انا مستعد؟ . . لم لا؟ . . .»

*

كنتُ أعني تماماً ان (ك) كان يمتلك طبعاً متمسماً بالحزم . وفهمت ايضاً لماذا في هذه المسألة بالذات لم يكن (ك) قادراً على التصرف بحسم . لكن سرعان ما ادركت بأنني لم اعرف (ك) مثلما ظننت . وعرفت ان تصرف (ك) لايمكن التنبؤ به في حالة التوتر كما هو الحال في حالة الظروف الاعتيادية . وكلما أطلتُ التفكير بكلمات (ك) الاخيرة في المتنزه ، كلما بدا معناها أقل وضوحاً . وفكرت بعدم ارتياح بأنه ربما كان واثقاً من نفسه كالسابق ، وربما كان مستعداً لثلاثينكر حبه

لـ«وجوسان» لكنه مستعد لان يرفض ماضيه نهائياً كي يتحرر من جميع الشكوك والمعاناة . ان ادراكي بأن كلمات (ك) يمكن ان تُفسر هكذا جاء صدمة لي . لقد عكست الصدمة لي مدى حمقي في القفز الى النتائج عن (ك) وربما كان الاخرى بي ان اسأل نفسي . «لكن أليس من الممكن انه مازال هناك معنى خفي وراء كلماته؟» لسوء الطالع لم اكن قادراً ان ارى الاشياء بوضوح آنذاك ، وانه لمن المحزن أن افكر كم كنت اعمى . على اية حال اقنعت نفسي بأن نية (ك) كانت هي الاستسلام لحبه لـ«وجوسان» . وصرت مقتنعاً بأن (ك) ، بطريقتة الحازمة المألوفة ، سوف يفعل الآن كل ما يستطيع من اجل الفوز بها . سمعت صوتاً يهمس في اذني ، «ان من شأنك انت ان تتخذ الخطوة الاخيرة .» فمنحني الصوت شجاعة جديدة . وفكرت بأنني يجب ان اتحرك قبل ان يتحرك (ك) ومن دون علمه . وقررت ان احادث «اوكوسان» عن ابنتها عندما يكون كلا (ك) و«وجوسان» خارج البيت . وبهدوء انتظرت اللحظة المناسبة : مرَّ يومان ، ثم ثلاثة ايام ، ولم تحن اللحظة . عندما اكون في البيت كان يوجد دائماً احد الاثنين . فنغد صبري تماماً .

ومضى اسبوع ورأيت انني لا استطيع مزيداً من الانتظار . لم استطع التفكير بخطّة افضل من ادعاء المرض والتخلف في البيت طوال النهار . جاءت اوكوسان ومن بعدها ووجوسان واخيراً (ك) نفسه الى غرفتي لانهاضي من الفراش : فلم أعطيهم اجابات ملزمة عن اسئلتهم وتركهم يغادرون بانطباع مفاده انني لم اكن على ما يرام . كانت

الساعة حوالي العاشرة عندما تسللت اخيراً خارج فراشي . كان كلا (ك) و(اوكوسان) قد خرجا . وكان الصمت مخيماً على المنزل . وعندما رأته (اوكوسان) قالت ، «انك لست بصحة جيدة . لِمَ لا تبقى في السرير؟ سأجلب لك شيئاً تأكله . » بالطبع كنت اشعر بكامل الصحة ولم تكن بي رغبة للعودة الى السرير . غسلت وجهي وتناولت فطوري في غرفة الصباح كالمعتاد . وجلست (اوكوسان) الى الجانب الآخر من الموقد الطويل وقامت على خدمتي . كانت وجبة غريبة اذ لم تكن فطوراً او غداءً ، وكنت في اثنائها ساكناً ومتسائلاً بقلق كيف ينبغي لي ان اصوغ كلمات طلب الزواج . ولا ريب عندي ان (اوكوسان) اساءت فهم انهماكي بالتفكير على انه علامة مرضية . وعندما انتهت الوجبة اشعلت سيجارة . فاضطرت (اوكوسان) على البقاء جالسة الى جانب الموقد : وكان من الصعب عليها ترك الغرفة قبل ان اتركها . نادت الخادمة وطلبت منها ان تحمل الصينية . ولكنها لم تجد شيئاً افضل تفعله فقد سكبت ماءً حاراً في الغلاية المعدنية وبدأت تلّمع الموقد . قلت ، «اوكوسان ! هل انت مشغولة؟» قالت ، « كلا ، » ثم اردفت ، «لماذا تسأل؟» قلت ، « حسن . هنالك شيء أحب ان احدثك عنه . » قالت ، «نعم؟» ونظرت الي . كانت طريقة (اوكوسان) فاترة جداً حتى انني بدأت أفقد الشجاعة .

أخيراً ، بعد دقيقة أودقيقتين من الحوم حول الموضوع ، قلت ، «هل قال لك (ك) أي شيء مؤخراً؟» بدت (اوكوسان) مبهورة بسؤالني .

قالت ، «ماذا تقصد؟» وقبل أن أستطيع الاجابة قالت ، «هل قال لك شيئاً ما؟» .

*

لم أكن أنوي اخبارها عما قاله (ك) لي في غرفتي في ذلك اليوم وعليه قلت ، «كلا .» وفي التوشعرت بالخجل من كذبتني . ولأخفف عن ضميري أضفت ، «ما أريد ان أقول لاعلاقة له بـ(ك) . انه لم يطلب مني ان أقول أي شيء نيابة عنه .» قالت ، «أهو كذلك؟» وانتظرت . لم يبق أمامي ما أفعله سوى ان أطرق الموضوع . فقلت من غير تفكير ، «اوكوسان . اريد ان اتزوج اوجوسان .» لم تكن نصف متعجبة كما توقعت . على اية حال ، بدت في حيرة من ردها وحدقت الي في صمت . لقد اندفعت الآن الي حدٍ لم أعد اخشى معه صمتها . قلت ، «من فضلك . دعيني أتزوجها . انني اريد اوجوسان جداً .» وبما ان (اوكوسان) كانت اكبر مني سنناً فقد كانت اربط جاشاً . قالت ، «اذكرك بأنني لم اقل كلمة لا . لكن الامر كله مباحث . . .» قلت بسرعة ، «اريد ان اتزوجها في القريب العاجل ،» فبدأت تضحك . ثم قالت بجد ، «هل فكرت بالموضوع بعناية؟ هل انت واثق؟» اكدت لها بعبارات لا يشوبها الشك بأنه مهما بدت طريقي في الطرح متسمة بالسرع ، الا ان (اوجوسان) كانت في خاطري منذ زمن طويل .

كان هنالك المزيد من الاسئلة والاجوبة القليلة ، لكنني نسيت ماهيتها . كانت (اوكوسان) امرأة يسهل التحدث معها في مناسبة كهذه : فلا شيء من المراوغة في حديثها . وبهذا الصدد كانت اقرب

شبهاً بالرجل منها بالمرأة. قالت أخيراً، «حسن. يمكنك ان تتزوجها.» ثم قالت بنبرة اكثر رسمية، «طبعاً، انني انا التي يجب ان اسأل. من انا حتى اقول: «يمكنك ان تتزوجها؟ كما تعرف انها فتاة بائسة ویتيمة الاب.»

لا اظن ان المحادثة بأكملها دامت اكثر من خمسة عشر دقيقة. ظلت المحادثة بسيطة ومباشرة في تواصلها. ولم تضع اي شروط. وقالت بأنه لا حاجة هناك لاستشارة اقربائها، ولو انها بالطبع سوف تحيظهم علماً بالقرار. وبدا انها ايضاً ترى انه امر مفروغ منه ان ابنتها لن تثير اية اعتراضات. وفي هذه النقطة راودتني بعض الهواجس. وبالرغم من ثقافتني الا انني كنت تقليدياً اكثر منها فقلت: «انني لاعبأ بالاقارب، لكن ألا تظنين ان من الافضل ان تسألني (اوجوسان) اولاً؟» فأكدت لي انه ليس هناك من داع لأن اقلق. وقالت بأنها ليست لديها اية نيات في اجبار ابنتها على ان تتزوج اي واحد لاتحب.

رجعت الى غرفتي. وفكرت بشيء من القلق بأن من المؤكد ان المسألة لا يمكن ان تكون بمثل هذه السهولة. ومهما يكن من امر، وجدت راحة جديدة في التفكير بأن مستقبلي قد استقر في الاقل. وعموماً كنت راضياً.

وعدت الى غرفة الصباح عند الظهيرة تقريباً وسألت (اوجوسان) متى تعزم ان تبلغ (اوجوسان) عن طلبي يدها. قالت، «هل يهم حقاً متى ابلغها؟» «الشيء المهم هو ان اعرف عن ذلك، ألا تظنين هذا؟» لقد جعلني هذا اشعر بأنني نوعاً ما مثل امرأة اكثر منها. وكنت على وشك

ان انسحب بارتباك عندما قاطعتني وقالت، «حسن، ما دمت تبدو متسرعاً فسوف اخبرها اليوم ان شئت. سوف اتحدث معها عندما تعود من دروسها. هل يفي هذا بالمرام؟» «اجل. اشكرك»، قلت هذا ورجعت الى غرفتي. ان فكرة الجلوس بهدوء الى منضدتي بينما تتهامس السيدتان الواحدة مع الاخرى في غرفتهما، اثارت اعصابي. فارتديت قبعتي وبارحت. والتقيت بـ(اوجوسان) عند سفح التل. فذهشت عند رؤيتي. نزعْتُ قُبعتي وقلت، «انت عائدة اذاً.» فقالت بنغمة حائرة، «هل سُفيت؟» قلت، «اوه، أجل. انني بصحة جيدة الآن... جيدة جداً.» وابتعدت مسرعاً صوب (سويدوباشي).



من (ساروغاكوتشو) دخلت شارع (جيمبوتشو) الرئيس واستدرت باتجاه (اوغاواماتشي). كان من عادتي ان أستعرض الكتب المعروضة للبيع في دكاكين الكتب المستعملة كلما وجدت نفسي في هذه المنطقة، لكنني لم اكن في ذلك اليوم في مزاج يسمح لي باستعراض الكتب القديمة. فكرت بلا انقطاع بما كان يجري في المنزل. فكرت بـ(اوكوسان) وبما قالته لي في ذلك الصباح، ثم حاولت ان اتصور المشهد في المنزل بعد رجوع (اوجوسان). واصلت السير ولم اعبأ بأي مكان قادتني اليه قدماي. كان ذهني محشواً بالافكار عن هاتين السيدتين. وكنت اتوقف فجأة في منتصف الطريق وافكر، «لابد انهما تتحدثان في الموضوع في هذه اللحظة»، او، «انهما انهيتا حديثهما عن الموضوع الآن.»

اجتزت جسر (مانزي) وصعدت المنحدر ماراً بمعبد (مايوجين) .
ومن تل (هونغو) هبطت الى وادي (كويشيكاوا) . وفي اثناء هذه المسيرة
- وقد شكل مساري دائرة تقريباً بقطعي ثلاث قصبات منفصلة - لم
امحض (ك) الا القليل من التفكير . لماذا؟ لا ادري . أليس غريباً انني
لم افكر به؟ حقاً، لقد شعرت بتوتر شديد عصر ذاك، لكن اين هو
ضميري؟

عدت الى المنزل . وكالعادة اخترقت غرفة (ك) لكي أبلغ غرفتي .
حينذاك شعرت بالذنب لأول مرة . كان بالطبع جالساً الى منضدته
يقرأ . ومثلما هودائماً رفع بصره اليّ . لكنه في هذه المرة لم يحيني
بتحيته المألوفة وهي ، «هل عدتَ توأ؟» وعوضاً عن ذلك قال ، «هل
تشعر أحسن الآن؟ هل راجعتَ طبيياً؟» بغته اردت ان اركع امامه
واطلب غفرانه . وقتذاك شعرت بعاطفة عنيفة . واحسب انني لو كنت
مع (ك) وحدثنا في قفراً ما، لكنت قد أصغيت الى صرخة ضميري .
لكن كان يوجد آخرون في البيت . وسرعان ما تغلبت على حافز نفسي
الطبيعية بأن اكون صادقاً مع (ك) . انني اتمنى فقط لو ان فرصة أخرى
مثل هذه قد سنحت لي لكي اطلب الغفران من (ك) .

رأيتة مرة ثانية عند الغداء . جلس بهدوء غارقاً في تفكير حزين . لم
تلح أقل علامة على الشك في عينيه . وكيف يمكن ان تلوح ، إذا لم
يعرف ما حصل في غيابه؟ وبدت (اوكوسان) ، وهي جاهلة بحقيقتنا ،
في غاية السعادة . انا وحدي الذي أعرف كل شيء . لقد وجدت مشقة
في ابتلاع طعامي . كان اشبه بالرصاص . وفي تلك الامسية لم تظهر

(اوجوسان)، التي اعتادت ان تأكل معنا، في غرفة المائدة. ولما نادت (اوكوسان) عليها اجابت من الغرفة المجاورة: «نعم. انا قادمة.» «فاستغرب (ك). في الاخير سأل (اوكوسان): «ما بالها؟» أَلقت (اوكوسان) نظرة صوبي وقالت: «من المحتمل انها مرتبكة.» وهذا ما جعل (ك) اكثر استغراباً. اراد ان يعرف فقال، «لماذا هي مرتبكة؟» ما كان من (اوكوسان) الا ان تبتسم، وتنظر نحوي مرة ثانية. لقد خمنت حالما جلست الى المائدة سبب نظرة (اوكوسان) المسرورة. ان آخر شيء اردتُ منها ان تفعله هو ان تشرح الموقف كله لـ(ك) في حضوري. وان فكرة كون (اوكوسان) معتادة على اظهار قليل من التحفظ في مثل هذه المسائل سببت لي ازعاجاً حاداً. لحسن الحظ صمتُ (ك) مرة ثانية. وان (اوكوسان)، بالرغم من حالتها بالغة البهجة، لم تفصح عن السرابداً. وبعد ان تأوهت بارتياح رجعت الى غرفتي. بيد ان قلقي لم يتوقف بخصوص علاقتي المستقبلية بـ(ك). سألت نفسي، «مالذي سأقوله؟» فكرت بعذر بعد آخر، لكن ايأً منها لم يرضني. في النهاية، اصبح مجرد التفكير بشرح تصرفي لـ(ك) كريهاً الى نفسي. كنت انساناً خسيس الروح.

*

مريومان او ثلاثة. لاجابة بي للقول بأنني بقيت اشعر بالخشية التامة. وما جعل الامور اسوأ هو الموقف المتبدل لـ(اوكوسان) و(اوجوسان) نحوي. وقد فعل هذا الموقف فعلَ مذكّر مستديم ومؤلم بأن اقل ما كان علي ان افعله هو اخبار (ك) بالحقيقة. وقد أضاف هذا

شيئاً الى شعوري بالذنب . علاوة على ذلك ، كنت أخشى ان (اوكوسان) بما تميزت به من اسلوب صريح نادراً ما يوجد عند النساء سوف تعزم في احدى الامسيات على اخبار (ك) بالنبأ السعيد عندما نكون نحن جميعاً مجتمعين حول مائدة العشاء . ولم أستطع التأكد من ان (ك) لن يبدأ التأمل بتصرف (او جوسان) الذي بدا لي قد تبدل بجلاء . كنت مضطراً للاعتراف بأن من الواجب اخبار (ك) عن العلاقة الجديدة بيني وبين العائلة . وبما أنني اعرف ضعف موقعي فقد فكرت بأن من الشاق عليّ ان اواجه (ك) واخبره بنفسي .

وبئأس بدأت اقلّب فكرة الطلب الى (اوكوسان) بأن تُخبر (ك) عن ارتباطنا . (وبالطبع يجدر بها ان تكلمه عندما اكون خارج البيت) . على أية حال ، اذا قصدت (اوكوسان) ان تخبره بكل شيء بصدق ، فسوف لا يبدو تصرفي اقل خزيّاً مما لو انني كشفت له النبأ بنفسي . ولا يبدو ان في الامر سلوى كبيرة اذا ما عرف (ك) الحقيقة عني بطريقة غير مباشرة . فضلاً عن ذلك ، من المؤكد ان (اوكوسان) سوف تطلب ايضاحاً مني اذا ما طلبت منها ان تعرض على (ك) وصفاً كاذباً ومناسباً عن الكيفية التي تمت فيها الخطبة بيني وبين ابنتها ، وعند ذلك لن اعرض نقطة ضعفي الى من ستكون حماتي وحسب بل الى الشخص الذي احببت ايضاً . وبطريقتي الساذجة والجادة اعتقدت بأن مثل هذا الفضح سوف يؤثر جدياً في رأي السيدتين بي مُستقبلاً . ولم أطق ان اتحمل التفكير بأن اخسر حتى نزرأ يسيراً من ثقة حبيبتي بي قبل ان نتزوج .

وعليه وبالرغم من رغبتى الصادقة بأن اتابع طريق الامانة، فقد ضللت السبيل عنه . كنت احمق او ان شئت، كنت وغداً ماكرًا . واذا تركت نفسي جانباً، فالسماء وحدها كانت تعرف ماهيتي . وما دمت قد فعلت فعلاً مضللاً مرة . وجدت انني لا استطيع ان ارد قيمة نفسي دون ان اخبر كل فرد عن خداعي . و اردت يائساً ان اُبقى على خزيي سرًا . وفي الوقت عينه شعرت بأنني يجب ان اربح استرداد احترامي لذاتي . وعندما وجدت نفسي أسير هذه الحيرة، وقفت ساكنًا .

بعد ذلك بخمسة اوستة ايام سألتني (اوكوسان) فجأة: «هل اخبرت (ك) عن الخطبة؟» اجبت، «كلا، لم افعل بعد .» فسألت، «لِمَ لا؟» شعرت ان جسدي كله يتصلب . ولم انطق بحرف .

قالت، «لاعجب ان بدا غريباً عندما اخبرته .» صدمتني كلماتها . لازلت اتذكرها بوضوح . واصلت قائلة، «ينبغي لك ان تشعر بالخزي من نفسك . على اية حال، انه صديق حميم جداً لك، أليس كذلك؟ حقاً يجب ان لاتعامله بقلب قاس .»

سألت، «ماذا قال (ك)؟» قالت، «اوه، لاشيء ذا اهمية .» الا انني الحفت عليها بأن تخبرني بالتفصيل عما قاله (ك) . وبالطبع لم يكن لدى اوكوسان سبب يدعوها لاختفاء اي شيء عني . وبعد ان قالت بأنه لا يوجد هناك حقاً المزيد مما تخبرني به فقد استرسلت في وصف رد فعل (ك) ازاء النبأ .

يبدو ان (ك) استقبل ضربته النهائية برباطة جأش كبيرة . وطبعاً، لا بد انه كان مندهشاً . وعندما اخبرته بخطبتي لـ (او جوسان) قال

ببساطة، «أهو كذلك؟» عند ذلك قالت له (اوكوسان)، «قل انك مسرور.» من الواضح انه نظر اليها هذه المرة وابتسم، «تهانينا.» وفي الوقت الذي غادر فيه غرفة الصباح تماماً استدار وقال، «متى يكون الزواج؟ احب ان اقدم هدية، لكن ما دمت لا املك نقوداً فأخشى ان لا استطيع.»

وبينما كنت جالساً مقابل اوكوسان، مصغياً الى كلماتها، شعرت بألم خانق يتصاعد في قلبي . *

كان (ك) قد عرف ذلك منذ اكثر من يومين، الا انه لم يكن بوسع امرىء ما ان يخمن ما يعرف من تصرفه . ولم استطع الا ان اعجب بهدوئه مهما كان هذا الهدوء سطحياً . وبدا لي بأنه اكثر استحقاقاً لها . قلت مع نفسي، «لقد كسبت عن طريق المكر. لكن خسرتُ كرجل.» ثم صار احساسى بالهزيمة عنيفاً جداً حتى بدا انه يدور في رأسي كدوامة . ولما تصورت كم كان (ك) يحتقني، استحييت من الخزي . وارتدت ان اذهب الى (ك) واعتذر عما بدر مني، غير ان كبريائي - وخوفي من الاذلال - منعاني .

في النهاية تعبت من عدم قدرتي على اتخاذ قرار سواء في التحدث الى (ك) او في البقاء صامتاً . واتذكر انه في ليلة سبت قلت مع نفسي، «غداً سأحزم امري اما بهذا الشكل او ذاك.» لكن في تلك الليلة قتل (ك) نفسه . وحتى الآن لا أستطيع ان اتذكر المشهد دون فزع . انني لا اعرف ما هي العوامل الغريبة الفاعلة في تلك الليلة لانني انا الذي كنت انام دائماً وقدماي باتجاه الغرب، قررت في تلك الامسية ان

مسار حياتي للابد . ومن مكان ما في الظل لاح لي ان صوتاً يهمس ،
«فات الأوان . فات الأوان . . .» وبدأ كياني كله يرتجف .

لكن حتى في تلك اللحظة لم استطع ان انسى صالحى . ولاحظت رسالة ملقاة على منضدة (ك) . ورأيت انها معنونة لي مثلما أملت .
بجنون مزقت الغلاف . لم يكن فحوى الرسالة يتضمن حتى القلب ،
مما توقعت . وخشيت ان اجد فيها كثيراً من الامور التي سوف تسبب
لي ألماً فادحاً . وخشيت ان تكون محتوياتها ذات طبيعة ترى فيها
(اوكوسان) و(اوجوسان) ما يحتم عليهما الانقطاع عن النظر اليّ
باحترام . وعندما قرأت الرسالة بسرعة من بدايتها الى نهايتها كانت
فكرتي الاولى هي ، «انني في امان .» (كنت افكر بسمعتي فقط .
وقتذاك بدا لي ان ما يفكر به الآخرون ذا اهمية كبيرة .)

لقد كتبت الرسالة ببساطة . وشرح (ك) عملية انتحاره بطريقة
عمومية جداً . قال بأنه قرر ان يموت لانه بدا له ان لاأمل له بأن يكون
ذلك الشخص الثابت والحازم الذي اراد دائماً ان يكونه . وشكرني
على العديد من افعالي العظوفة في الماضي ، وطلب مني فضلاً اخيراً
هو ان ارعى كل شيء بعد مماته . وطلب مني الاعتذار نيابة عنه
لـ(اوكوسان) لما سببه لها من حرج كبير . واراد مني ان أشعر اقرباءه
بموته . وفي هذه الرسالة القصيرة والعملية لم يكن يوجد ذكر
لـ(اوجوسان) . في الحال ادركت أن (ك) قد تجنب قاصداً اية اشارة
لها . لكن ما اثارني كثيراً هو جملته الاخيرة التي ربما كان قد كتبها
كفكرة خطرت له فيما بعد وهي : «لماذا انتظرت كي اموت ؟»

بيدين مرتجفتين طويت الرسالة وارجعتها الى الغلاف . واعدتها الى المنضدة عامداً ، الى مكان يسطيع كل فرد ان يراها عليه . ثم نظرت حولي ، ورأيت لأول مرة الدم على الجدار .

*

امسكت برأسه - احتضنته تقريباً - ورفعته قليلاً . أردت ان ألقى نظرة واحدة على وجهه وهوميت . انشيت نحو الارض ورمقت وجهه من تحت . وبسرعة سحبت يدي . لم يملأ المشهد قلبي بالفزع وحسب ، بل ان رأسه بدا ثقيلاً ايضاً . جلست هادئاً فترة قصيرة وانا انظر الى اذنيه الباردين اللتين لمستهما تواء ، والى شعره الكثيف المقصوص الذي بدا انه يعود الى شخص حي . لم اشعر برغبة في البكاء . شعرت بالخوف فقط . ولم يكن سبب الخوف الذي عانيت منه هو وجودي قريباً من جسد ملطخ بالدم . ان ما افزعني حقاً هو مصيري انا : فقد بدا لي ان هذا الصديق الراقد بارداً وبلا حياة امامي ، هو الذي خط هذا المصير الذي لا فكاك منه .

لم استطع ان افكر بأي شيء افعله افضل من العودة الى غرفتي . وهناك بدأت اخطوبقلق ذهاباً واياباً . ومع لاجدوى ذلك ، أمرني عقلي ان افعل هذا . وقلت لنفسي ، « يجب ان افعل شيئاً . » ثم أضفت ، « لكن ماذا استطيع ان افعل ؟ فات الأوان . » كان من المستحيل عليّ ان اجلس هادئاً . ومثل دب في قفص كان عليّ ان اوصل الحركة . وخطر لي ان اذهب واوقظ (او كوسان) . لكن ، في الوقت نفسه ، شعرت بأن من الخطأ ان اسمح لها برؤية المشهد المفزع في الغرفة

المجاورة . كنت راغباً جداً ان لا ترى اوكوسان المشهد . وعرفت بانها ستُصدم جداً لو فعلت .

أشعلت النور في غرفتي . وبين حين وآخر نظرت الى ساعتني . كم بطيئاً بدا عقرباها يتحركان في تلك الليلة . ولم استطع ان اتأكد بالضبط متى ايقظني التيار، لكنني عرفت بأن ذلك كان قريباً من الفجر . وهكذا تمشيت ذهاباً واياباً منتظراً بفارغ الصبر شروق الشمس . واعتقدت احياناً بأن ليس لهذا الليل من آخر .

كان من عادتنا ان نهض في السابعة لأن كثيراً من محاضراتنا الصباحية كانت تبدأ في الثامنة . لذا، كان على الخادمة ان تنهض في السادسة . وفي وقت قبل تلك الساعة قررت ان اوقظها . على اية حال، في طريقي الى غرفتها اوقفتني (اوكوسان) . قالت، «انت تعرف هذا هويوم الاحد .» كانت قد سمعتني أمشي في الدهليز . قلت، «بما انك مستيقظة الآن، فهل تتكرمين بالمجيء الى غرفتي؟» وبسرعة لبست معطفاً فوق ثوب نومها وتبعنتني . حالما دخلت غرفتي اغلقت الباب المؤدي الى غرفة (ك) . بعد ذلك قلت لـ(اوكوسان) بهمس تقريباً: «وقع شيء مريع .» سألت، «ماذا تعني؟» فأومأت برأسي صوب الباب المغلق وقلت، «يجب ان تضبطي اعصابك .» صار وجهها شاحباً . قلت، «اوكوسان، ك . . قتل نفسه .» وقفت ساكنة تماماً وحملتني الي بصمت . وعلى حين غرة ركعت على الارض وأحنت رأسي امامها وقلت، «من فضلك سامحيني . انها غلطتي كلها . هل ستغفرين لي انت واوروسان؟» لغاية تلك اللحظة لم اشعر

بأي ميل لأن اقول اشياء كهذه لـ(اوكوسان) . كان هذا فقط عندما رأيتها تحدد الي اذ شعرت برغبة ملحة مباغته بالركوع والتمتمة بالاعتذار . ارجوك ان تفهم بأنني كنت مضطراً للاعتذار من (اوكوسان) و(اوجوسان) لانه لم يعد بوسعي بعد ذلك ان اعتذر من (ك) نفسه . لقد اجبرني ضميري على الاعتذار بالضد من ارادتي . لحسن حظي لم تعرف (اوكوسان) السبب الحقيقي الذي من اجله طلبت منها الغفران . ومع ان وجهها ما زال شاحباً ، قالت بوداعة ، «يجب ألا تلوم نفسك . من ذا كان يتنبأ بأمر كهذا؟» على اية حال ، بالرغم من وداعتها استطعت ان ارى امارات مؤكدة للخوف والصدمة في عينيها .

*

ومع شعوري بالحزن تجاه (اوكوسان) ، الا انني فتحت الباب الذي كنت قد اغلقته قبل قليل . كان مصباح (ك) مطفاً وكانت الغرفة في ظلام دامس تقريباً . رجعت الى غرفتي والتقطت مصباحي . ولما بلغت الممرمة ثانية استدرت ونظرت الى (اوكوسان) مشت ببطء نحو ي وحدقت بفرع من فوق كتفي الى داخل الغرفة الصغيرة . الا انها لم تدخل . قالت ، «يجب ان تفتح نوافذ العاصفة وتدع النور يدخل . وعلى مدى ذلك اليوم كان تصرف (اوكوسان) مثالياً مثلما يتوقع المرء من زوجة عسكري . وصدوعاً مني لأوامر (اوكوسان) ذهبت الى الطبيب ومن ثم الى الشرطة . وفي الفترة ما بين مجيئهم وذهابهم لم تسمح لأي احد ان يدخل غرفة (ك) . كان (ك) قد قطع الشريان السباتي بسكين صغيرة فمات في الحال . لم يكن بجسمه جرح آخر .

وعرفت بأن الدم الذي رأيته على الجدار في شبه الظلام - كما لوفي حلم - قد انبجس في تدفق هائل . نظرت الى اللطخات مرة ثانية ، في ضوء النهار هذه المرة ، وعجبت من طاقة الدم البشري .

نظفت انا و(اوكوسان) الغرفة بأفضل ما نستطيع . لحسن الحظ كان لحاف الفراش قد امتص معظم الدم ، وان القليل جداً منه لامس حُصْر الارض . نقلنا جسد (ك) الى غرفتي وطرحناه في وضعية نوم . ثم خرجت لكي ارسل برقية الى عائلته .

ولما رجعت وجدت عيداناً من البخور تحترق الى جانب وسادته . وملأت رائحتها، المذكرة بالموت ، الهواء . كانت السيدتان جالستين في جو متسم بالضباب الرقيق . لم ار (اوجوسان) منذ المساء الماضي . كانت تبكي . ولا بد ان (اوكوسان) قد بكت ايضاً لأن حافات اجفانها كانت محمرة . اما انا الذي لا اتذكر انني ذرفت دمعة واحدة منذ موت (ك) ، وجددني اشعر بالاسى لأول مرة . انك لا تملك فكرة كم منحني هذا الشعور من راحة . وبداء قلبي الذي اثقله الالم والخوف آنذاك قد وجد راحة في الاسى .

بصمت جلست بجانب السيدتين . قالت (اوكوسان) ، « قدم عود بخور . » اطعتها بصمت . لم تكلمني (اوجوسان) . تبادلت كلمات قليلة مع امهاله علاقة بشأن حازب . انها لم تستطع ان تحمل نفسها على الكلام عن (ك) كلما تذكرته . كنت مسروراً لانها لم تشهد المنظر المرعب بعد وفاته مباشرة . كنت اخشى ان امرأة جميلة مثلها لا تستطيع ان ترى اي شيء قبيح ومخيف دون ان تفقد شيئاً من جمالها نوعاً ما .

وحتى عندما كان الخوف يتفاقم بداخلي الى حد يبدو فيه انه يلامس جذور شعري، كنت ارفض ان اتحرك، غير مجتريء ان اعرض جمالها للبشاعة. فكرت بأن المساعدة في تحطيم جمال كهذا لن يكون اقل قسوة وتفاهة من ضرب وردة جميلة وبريئة بالارض.

وحيثما وصل والد (ك) واخوه الاكبر اعربت عن رأيي بالمكان الذي ينبغي ان يدفن فيه. فغالباً ما كنت انا و(ك) نذهب مشياً الى (زوشيغايا). وكان (ك) مولعاً بهذا المكان. واتذكر انني قلت له مازحاً، «حسن. سأتدبر الامر واتولى دفنك هنا.» فكرت مع نفسي، «اية فائدة سوف يحققها تذكري وعدي هذا لـ(ك)؟» لكنني اردت ان يدفن (ك) في (زوشيغايا)، لكي يكون بمقدوري ان ازور قبره في كل شهر وان اطلب غفرانه. لم يطرح والده واخوه اية اعتراضات. اعتقد انهما شعرا بأنني انا الذي املك الحق في اقرار المكان الذي ينبغي ان يكون قبراً له، لانني انا، وليس هما، الذي رعى (ك) قبل موته.

*

وفي طريق عودتنا من الدفن، سألتني صديق لنا، «لماذا انتحرت؟» لقد سؤلت هذا السؤال المؤلم نفسه مرات عديدة من قبل. . . . سألتني (او كوسان) و(اوجوسان) وسألني ابوه واخوه وسألني الاصدقاء الذين ابلغوا بموته، وحتى كتاب تقارير الصحف الذين لم يعرفوه قط سألوا هذا السؤال. وفي كل مرة أسأل فيها هذا السؤال كان ضميري يخزني. بدا ان السؤال في الواقع اتهام. وبدا ان السائل كان يقصد ان يقول، «لم لا تكون صادقاً وتعترف بأنك قتلته؟»

كان جوابي واحداً على الدوام . انني كررت فقط ما قاله (ك) في رسالته الاخيرة اليّ . ان صديقي الذي سألني السؤال بعد الدفن اخرج صحيفة من جيبه عندما اعطيته الجواب المعتاد . و اشار الى التقرير المنشور عن وفاة (ك) . وشرح التقرير بأن عائلته قد تبرأت منه وانه قتل نفسه في نوبة من نوبات الكآبة . طويت الصحيفة واعدتها الي صديقي . عند ذاك اخبرني بأن صحيفة أخرى عزت انتحار(ك) الى الجنون . لم اعرف بهذا كله . لانني كنت مشغلاً جداً الى حد لم اقرأ فيه الصحف . مع ذلك كنت اتساءل عما يقولونه عن موت (ك) . كنت اخشى من انهم قد يقولون شيئاً ما فيه توريط للسيدتين . ان مجرد التفكيك بذكر اسم (اوجوسان) وربطه بالقضية اقلقني . سألت ، «وأي شيء آخر رأيته في الصحف؟» «اجاب ، «اوه ، لاشيء غير ذلك . »

بعد الدفن بفترة قصيرة انتقلنا نحن الثلاثة الى البيت الذي اسكنه الآن . كلا (اوكوسان) و(اوجوسان) كرهتا فكرة البقاء في البيت القديم ، ولم استطع انا ان اتحمل ما يذكرني دوماً بتلك الليلة .

بعد ذلك بحوالي شهرين افلحت في التخرج من الجامعة . وبعد التخرج بنصف عام تزوجنا انا و(اوجوسان) اخيراً . ظاهرياً في الاقل اعتقد ان الزواج كان مناسبة سعيدة . على اية حال ، لقد تحققت آمالي . وبتدت (اوكوسان) و(اوجوسان) سعيدتين . اعترف بأنني كنت سعيداً ايضاً . لكن لاح فوق سعادتني ظل داكن . وبدا ان رضاي سريع الزوال لا يؤدي الى اي شيء غير المستقبل الحزين .

بعد الزواج بقليل اقترحت (اوجوسان) - التي سأسميها «زوجتي»

من الآن فصاعداً - لسبب ما ان نزور قبر (ك) معاً . كان حريباً بي ان اعرف الامور على نحو افضل ، لكن الشك راودني في الحال . سألتها ، «لماذا هذه الرغبة المفاجئة بالذهاب الي هناك؟» قالت ، «حسبُ ان (ك) سيكون مسروراً .»
حدقت إلى وجهها البريء بصمت . استرددت رباطة جأشي . عندما قالت ، «لماذا تنظر الي بمثل هذه النظرة؟»

استجبت لطلب زوجتي وذهبتنا الي (زوشيغايا) . غسلت شاهدة القبر بالماء وازحت عنه الغبار . وضعت زوجتي بعض الورد وعيدان البخور امامه . ثم أحنينا رأسينا في دعاء صامت . من المحتمل كانت زوجتي تخبر (ك) عن سعادتها الجديدة . كل ما استطعت ان افكر به هو القول ، «انني مخطيء . . انني مخطيء . . .»
لمست زوجتي الشاهد بركة وقالت ، «هذا قبر جميل .» لم يكن القبر في الحقيقة مؤثراً ، لكنني اعتقد بأنها اطرته لأنني انا الذي اخترت شاهده في دكان بناء القبور . فكرت بالشاهد الجديد وبزوجتي الجديدة وبالعظام البيض المدفونة قريباً تحتنا ، وشعرت بأن القدر يهزأ منا جميعاً . ووعدت نفسي ، «ابداً . . لن آتي الي هنا مرة ثانية مع زوجتي .»

*

لم أنقطع عن لوم نفسي بخصوص موت (ك) . ومن البداية خشيت من العناء الذي سوف يجلبه لي احساسني الخاص بالذنب . قد يقول المرء بأنني كابدت في حفل زواجي ، الذي تطلعت اليه بلهفة مدة

طويلة، حالة من التزعزع العصبي . لكن، بما انني لم اعرف نفسي جيداً فقد راودني أمل غامض بأن الزواج ربما سيمكيني ان ابدأ حياة جديدة . ولم يكن هذا الامل اكثر من حلم يقظة زائل سرعان ما فقته جيداً . كانت زوجتي هي التي تذكرني بلا فطنة بالواقع القاسي كلما التئم جمعنا سوية . كيف استطيع ان اوصل امتلاك هذا الامل، مهما كان بائساً، حين بدا منظر وجهها دائماً يُعيد الى ذاكرتي ذكريات متناوبة عن (ك)؟ احياناً خطرت لي فكرة، أنها كانت اشبه بحلقة ربطتني بـ(ك) حتى بقية حياتي . وفي مثل تلك الاوقات كنت اتصرف ببرود نحو زوجتي التي كانت لا عيب فيها سوى ذلك . وكانت تحس مباشرة بانعزالي عنها فتسأل، «بماذا تفكر؟ هل اخطأت في شيء؟» وكانت هناك اوقات عندما افلح في تطيب خاطرها بابتسامة . لكن كانت هناك اوقات عندما تُظهر امارات انفعال وتقول، «هل انت واثق بأنك لا تكرهني؟» او «انك تخفي شيئاً ما عني .» فكنت انظر اليها ببؤس غير دارٍ ماذا اقول .

وغالباً ما اوشكت ان اخبرها بكل شيء : لكن في كل مرة، وفي اللحظة الحاسمة، كان يمنعني شيء ما خارج سيطرتي الواعية . انك تعرفني جيداً، واعتقد أنني في غنى عن أن اشرح ما هو هذا الشيء الذي منعني من الاعتراف لزوجتي . مع ذلك اشعر بأنني مدين لك بهذا الشرح . ارجو ان تفهم بأنني لم ارغب لزوجتي بأن تعتقد بأنني افضل مما انا عليه فعلاً . وانني متأكد لو انني كلمتها بقلب نادم حقاً - كما فعلت دائماً بكلامي مع روح صديقي الميت - لكانت قد غفرت

لي . انني اعرف بأنها كانت ستبكي من السعادة . اما انني رفضت ان اخبرها بالحقيقة ، فليس هذا راجعاً الى حساب اناني من جانبي . في الحقيقة انني لم اشأ ان الطخ حياتها كلها بذكرى شيء كان قبيحاً . وفكرت بأنها جريمة لا تغتفر إن انا سمحت لقطرة حبر صغيرة جداً ان تسقط على شيء نقي خال من البقع .

انقضى عام كامل وظل قلبي قلقاً . حاولت ان ادفن هذا القلق في الكتب . وبدأت ادرس بجد وانتظرت اليوم الذي سأعلن فيه عن نتيجة جهودي . لكنني وجدت راحة قليلة في الكدح من اجل غاية هيأت لها نفسي تهيشة مصطنعة . في النهاية وجدت بأنني لا استطيع ان اجد الطمأنينة في الكتب . اكثر من ذلك جلست صامتاً وحدت الى العالم من حولي .

وبدا ان زوجتي قد عزت سامي الى حقيقة كوني لا اجابه مصاعب مالية . وهذا شيء مفهوم ، لا لأن حماتي تملك مالاً كافياً لاعالة نفسها مع ابنتها وحسب ، بل لأنني انا كنت املك ما يكفي من المال ايضاً بما يمكنني ان أعيش دون ان اعمل . الى جانب ذلك ليس هناك من شك بأنني تعلمت تقبل ظروف المريحة على انها اشياء مفروغ منها . لكن راحتي المادية لم تكن مسؤولة اطلاقاً عن جمودي . وعندما غشني عمي شعرت بقوة بعدم الثقة بالناس . وتعلمت ان احكم على الآخرين بقسوة لا احكم فيها على نفسي . وفكرت بأنني وسط هذا العالم المتهرئ قد افلحت بأن اظل فاضلاً . لكن بسبب (ك) ، على اية حال ، اهتزت ثقتي بنفسي . وبصدمة ادركت بأنني لست افضل من

عمي . صرت اشمئز من نفسي كأشمئز ازي من بقية العالم . وصار العمل من اي نوع كان مستحيلاً بالنسبة لي .

*

لما اخفقت بدفن نفسي حياً في الكتب، سعيت لفترة قصيرة ان انسى نفسي باغراق روعي في شراب (الساكي) . لا اقول بأنني احببت الشرب . لكنني استطيت ان اشرب عندما اريد ذلك وكنت آمل ان (الساكي) سوف يجلب لي النسيان المؤقت في الاقل . بالطبع، كنت ساذجاً . ان كل ما فعله الشرب لي في حينه هو انه جعلني اكثر كآبة من ذي قبل . احياناً، في منتصف خدر السكر كنت اتذكر نفسي فجأة: فأدرك مقدار الغباء في محاولة المرء ان يخدع نفسه . عند ذاك كانت عيناى وقلبي بهتان في طريق العودة الى حالة الصحو . وحياناً كنت افشل حتى في بلوغ تلك المرحلة من خداع الذات واجد نفسي قد اصبحت اكثر وعياً بحزني . علاوة على ذلك، عندما كنت افلح في بلوغ حالة من البهجة المصطنعة، كنت لا ألبث بعدها ان اغرق في كآبة عميقة . ودائماً ما كانت حماتي وزوجتي اللتين احبهما جداً، تجدانني في الحالة الاخيرة بعد ان اشرب . وتحت هذه الظروف، كانت الطريقة التي تفسران بها تصرفي هذا، مفهومة تماماً .

ويظهر ان حماتي كانت تشكو احياناً مني الى زوجتي . لم تخبرني زوجتي ابداً بما كانت تقوله امها . لكنها كانت تفرعني من ناحيتها . اعتقد انها لم تطق ان تحتمل رؤيتي عائشاً هكذا دون ان تقول شيئاً .

اقول بأنها «قرعتني»، لكنني أوكد لك بأنها لم تستخدم قط كلمات قاسية. وما اندر ما هيأت لي سبباً بأن اكون غاضباً منها. وطلبت مني اكثر من مرة ان اعلمها ان كانت بشكل ما مسؤولة عن سلوكي، وارادت ان اخبرها عن اخطائها. احياناً تطلب راجيةً ان اقلع عن الشرب من اجل مستقبلتي. في احدى المرات صاحت قائلة، «لقد تغيرت». وكانت الكلمات التي اعقبت ذلك اكثر ايلاماً، اذ قالت، «ما كان لك ان تتغير هكذا لو ان (ك) مازال حياً». «اجبت، «ربما انت مصيبة». وفي سري حزنت من اجل زوجتي التي لم تعرف كم كانت مصيبة. احياناً كنت اعتذر لها - وعادة في الصباح التالي بعد عودتي الى البيت متأخراً في حالة سكر شديد - كانت تصغي الى اعتذاري ثم تضحك، او تظل صامتة، او تبدأ بالبكاء. وايماً شيء فعلت، كنت دائماً اشمئز من نفسي في مثل تلك الاوقات. اعتقد بأنني كنت اعتذر لنفسي، بمعنى ما، اكثر منها. في الاخير، اقلعت عن الشرب: قد يقول قائل بأن الاشمئزاز من النفس، وليست تقريعات زوجتي، هو الذي جعلني اقلع عن ذلك.

صحيح انني لم اقرب (الساكي) بعد ذاك، لكنني كنت في حيرة، ماذا افعل عوضاً عنه. وفي حالة قنوط بدأت اطالع من جديد. على اية حال، قرأت بلا هدف في الذهن. كنت انتهي من كتاب والقيه جانباً وافتح كتاباً آخر. وفي اكثر من مناسبة سألتني زوجتي عن الغاية من دراستي الجادة. واحزنتني الفكرة بأنها هي التي احببتها ووثقت بها اكثر من اي شخص آخر في العالم، لم تستطع ان تفهمني. وان

تفكيرى بأننى لامتلك الشجاعة فى الافصاح عن ذاتى قد زادنى حزناً على حزن . كنت وحيداً تماماً . فى الحقيقة كانت هناك اوقات شعرت فيها بأننى اقف وحيداً تماماً فى هذا العالم وأننى منقطع عن كل شخص حى آخر .

بين حين وآخر تساءلت عن السبب الذى جعل (ك) ينتحر . لاول وهلة ، ملت الى التفكير بأن السبب هو الاخفاق فى الحب . حينذاك لم أستطع ان افكر بشيء سوى الحب ، ومن الطبيعى تماماً انى قبلت بلا نقاش التفسير الاول البسيط والواضح الذى خطر فى ذهنى . فيما بعد ، عندما استطعت ان افكر بمزيد من الموضوعية بدأت اتساءل فيما اذا كان تفسيرى على درجة كبيرة من البساطة . سألت نفسى ، «هل من المحتمل انه قتل نفسه لأن افكاره المثالية تعارضت مع الواقع؟» بيد انى لم أستطع ان اقنع نفسى بأن (ك) قد اختار الموت لسبب كهذا . فى الاخير انتبهت الى ان (ك) ربما عانى مثلى معاناة سيئة من الوحدة ، ورغبة منه بالهروب منها بسرعة ، فقد قتل نفسه . مرة أخرى امسك الخوف بقلبي . ومنذ ذلك الحين فصاعداً ، ومثل هبة ريح شتائية ، كان الهاجس بأننى امشى على الدرب الذى مشى فيه (ك) يهاجمنى بين حين وآخر فأشعر بالبرد حتى العظم .

*

ثم مرضت حماتى . أبلغنا الطبيب بأنها لن تشفى . كرست كل جهدي للعناية بها . فعلت ذلك من اجل المريضة ومن اجل زوجتى العزيزة ايضاً ، لكننى شعرت ايضاً بأننى اساعد البشرية كلها بصورة

ما . لاريب انني كنت ، بمعنى ما ، أنتظر مثل هذه الفرصة لاثبت
لنفسي بأنني لست عديم الجدوى تماماً . لاول مرة منذ انقطاعي عن
العالم كنت قادراً ان اشعر بأنني مازلت استطيع ان اكون نافعاً
للآخرين . ليست هناك من طريقة اشرح فيها حالتي الذهنية سوى
القول بأنني كنت افتش عن وسيلة اكفربها عما ارتكبت من خطأ .

ماتت حماتي . لم يبق غيري وزوجتي فقط . قالت زوجتي لي ،
«في العالم كله لا املك الآن من ألودبه سواك . » نظرت اليها ، فأمتلات
عيناها بالدموع فجأة . كيف استطيع انا الذي لا املك ثقة بنفسي ان
امنحها الراحة التي تحتاج اليها؟ ظننتها امرأة محظوظة جداً . في احد
الايام قلت لها هذا . سألت ، «لماذا تقول ذلك؟» لم تستطع ان تفهم
ما اعني . ولم استطع اخبارها . بدأت تبكي . قالت مؤنبة ، «لانك
دائماً تنظر الي بطريقتك الملتوية ، لذلك تستطيع ان تقول مثل هذه
الاشياء . »

بعد وفاة امها ، حاولت ان اعامل زوجتي بأرق ما استطيع . طبعاً انا
احبها . لكن من ناحية ثانية ، لم اكن رقيقاً من اجلها فقط . اعتقد ان
قلبي انفعل بالطريقة عينها مثلما حصل عندما مرضت حماتي . وظهر
ان زوجتي كانت راضية . لكن في رضاها بدا ان قلقاً غامضاً قد تسلل
نابعاً من عدم قدرتها على فهمي . تذكرُ بأنني لا اعتقد لحظة واحدة بأن
قلقها سوف يتضاءل لو انني تركت لها ان تفهم طبيعة رقتي نحوها . في
الحقيقة اعتقد بأن قلقها يتفاقم اكثر . فالمرأة عندما تكون هي هدف
العطف الوحيد - ويبدو ان ليس من المهم جداً ان كان هذا العطف

يشتمل على ظلم أو لا يشتمل في مسائل أخرى تكون اسعد من ان تحب لاسباب تفوق بها على اشخاص معينين . في الاقل لاحظت هذا الميل في النساء اكثر منه في الرجال .

مرة سألتني زوجتي ، «ألا يمكن لقلب المرأة وقلب الرجل ان يصبح احدهما جزءاً من الاخر لكي يكونا كلاً واحداً؟» لم أعطيها جواباً ملزماً : «ربما عندما يكون الرجل والمرأة شابين .» جلست صامته فترة قصيرة . من المحتمل انها كانت تفكر بالوقت الذي كانت فيه هي نفسها فتاة صغيرة . ثم أطلقت تنهدة قصيرة . منذ ذلك الحين فصاعداً ، كان يهاجمني خوف مجهول من وقت لآخر . في البداية بدا انه يركبني دون انذار مقبلاً من الظلال حولي وكنت أنشغ من مفاجأته . فيما بعد ، على اية حال ، عندما صارت التجربة مألوفة لي اكثر من ذي قبل ، كان قلبي يستسلم له حالاً - او ربما يستجيب له - وابدأ بالتساؤل فيما اذا لم يكن هذا الخوف موجوداً دائماً دائماً في زاوية خفية في قلبي منذ ان ولدت . عند ذاك كنت اتساءل إن كنت لم افقد صوابي . لكنني لم املك الرغبة بالذهاب الى طبيب أو أي شخص آخر ابتغاء للنصيحة .

شعرت بقوة بخطيئة الانسان . كان هذا الشعور الذي دفعني الى زيارة قبر (ك) في كل شهر هو الذي جعلني أعنى بحماتي في مرضها وان اتصرف برقة نحو زوجتي . وكان هذا الاحساس بالخطيئة هو الذي قادني الى ان اشعر احياناً بأنني سوف ارحب بضرب الشياطين حتى من أيدي الغرباء . وعندما أصبحت هذه الرغبة بالعقاب قوية بصورة خاصة ، بدأت اشعر بأن هذا العقاب يجب ان يصدر عني وليس عن

الأخريين . ثم صرت افكر بالموت . وبدا ان قلتي لنفسي عقوبة عادلة لخطاياي . واخيراً قررت ان استمر في الحياة كما لو اني كنت ميتاً . انني لاتساءل كم من السنوات مضت منذ ان اتخذت ذلك القرار . وواصلت انا وزوجتي الحياة بانسجام . أوكد لك اننا كنا زوجين سعيدين تماماً . لكن كان يوجد دائماً ذلك الظل الذي يفصل بيننا . لم استطع ابداً ان ادفعه بعيداً ، وقد ترك اثراً داكناً على سعادة زوجتي . وعندما افكر به الآن لا استطيع الا ان اشعر بالاسى من اجلها .

*

مع انني قررت ان اعيش كما لو انني ميت ، الا ان قلبي كان يستجيب احياناً الى حيوية العالم الخارجي ويبدو انه يرقص تقريباً بطاقة حبيسة . لكن حالما حاولت ان اتخذ سبيلي عنوة في الغيم المحيط بي . كانت قوة هائلة على نحو مخيف تندفع نحوي من مكان لا اعرف مصدره وتقبض على قلبي بشدة فلا استطع حراكاً . وكان صوت يقول لي ، « ليس لك الحق في ان تفعل اي شيء . ابق حيث انت . » ومهما كنت املك من رغبة للفعل فانها سرعان ما كانت تبارحني . بعد لحظة كانت ترجع تلك الرغبة فأحاول مرة أخرى ان اشق طريقي . ومرة ثانية أُكبح . وبغضب وحزن اصرخ عالياً ، « من ذا يمنعني ؟ » وبضحكة قاسية يرد الصوت : « انت تعرف جيداً لماذا . » عند ذاك انحني باستسلام يائس .

ارجوك ان تفهم ، مع انني ابدو قد سلكت حياة رتيبة غير معقدة ، الا ان صراعاً مؤلماً لانهاية له كان يدور في داخلي . لا بد ان زوجتي

قد شعرت بنفاد الصبر معي احياناً، لكن ليست لديك فكرة كم كنت انا نافد الصبر مع نفسي . في الاخير عندما اتضح لي أنني لا استطيع البقاء ساكناً في السجن فترة أطول وانني لا استطيع الهروب منه، كانت النتيجة المفروضة علي هي ان اسهل شيء استطيع فعله هو ان انتحر. قد تتساءل لماذا توصلت الى تلك النتيجة . لكنك ترى أن القوة الغربية والمفزعة التي قبضت على قلبي كلما رغبت في ان اجد مهرباً لي في الحياة، بدت تتركني في الاقل طليقاً لأن اجد مهربي في الموت . واذا رغبت بان اتحرك على اية حال، فقد استطعت التحرك فقط صوب نهايتي .

حاولت مرتين او ثلاث مرات ان اتابع هذا المسرى الوحيد الذي تركه لي القدر مفتوحاً . لكن في كل مرة كانت مشاعري نحو زوجتي تقيدني . لاحاجة بي للقول، كانت تنقصني الشجاعة لكي أخذها معي . وكما تعلم، لم استطع حتى ان احمل نفسي على الاعتراف بكل شيء لها : كيف استطيع اذاً ان اسرق منها حياتها المقدره لها وان اقسرها على أن تشاركني في مصيري؟ ان مجرد التفكير بفعل شيء قاس كهذا كان مريعاً . لم يكن قدرها قد قضي بقضاء وقدر اقل مما قُضي به قدري . ان الالقاء بها في النار التي أعدت لي سيكون فعلاً غير طبيعي وموجعاً جداً .

في الوقت نفسه، ان التفكير بزوجتي وهي تعيش وحيدة بعد رحيلي اثار عاطفتي . كيف اطيق ان انسى كلمات زوجتي بعد ان ماتت امها؟ - « في العالم كله، لا املك احداً سواك ألوذ به . » وهكذا ترددت . فيما

بعد كنت انظر الى زوجتي واقول لنفسي ، «شيء جيد انني ترددت .»
ومرة أخرى ابدأ الحياة بيأس وقنوط ، شاعراً بعيني زوجتي المحزونتين
بخيبة الامل وهما تنظران اليّ .

ارجع بذاكرتك الى تلك الايام الخوالي عندما تعرفت عليّ : آنذاك
كانت حياتي مثلما وصفتهالك تماماً . كانت حالتي الذهنية هي هي -
في كاماكورا حيث التقينا أو في الضواحي حيث مشينا . وبدا ان ظلّاً
داكناً كان يتابعني دائماً . ليس لي غير ان انوء بعبء الحياة . . لم تكن
حالتي النفسية في تلك الليلة التي تخرجت فيها مختلفة . صدقتني
انني لم اكذب عندما قلت بأننا سوف نلتقي مرة ثانية في ايلول . حقاً
انني قصدت فعلاً ان اراك حتى بعد انقضاء الخريف وحتى بعد اقبال
الشتاء وادباره .

بعد ذلك وفي عز الصيف رحل الامبراطور (ميجي) . وشعرت كأن
روح عصر ميجي قد بدأت بالامبراطور وانتهت معه . وتغلب عليّ
الشعور بأنني مع الآخرين الذين ترعرعوا في ذلك العصر قد تخلفنا
لكي نعيش في زمان غير زماننا الصحيح . اخبرت زوجتي بهذا .
ضحكت ورفضت ان تحملني على محمل الجد . ثم قالت شيئاً غريباً
ولو انه كان هزلاً ، «حسن اذاً . ان (الجنشي)⁽¹⁾ هو الحل لمشكلتك .»
كنت قد نسيت تقريباً كلمة (الجنشي) هذه . انها كلمة لا يستخدمها

١- كلمة قديمة تعني ، «اللحاق بسيد المرء الى قبره» .

المرء عادة، واعتقد بأنها أبعثت الى ركن بعيد في ذاكرتي . استدرت نحو زوجتي التي ذكرتني بوجود هذه الكلمة وقلت، «سوف اقترف الجنشي ان شئت، لكن في حالتي، سيكون من خلال اخلاصي لروح العصر الميجي .» كان المقصود بملاحظتي ان تكون نكته، الا انني شعرت بأن تلك الكلمة القديمة قد وردت لتحمل معنى جديداً بالنسبة لي .

ومضى شهر . وفي ليلة العظمة الجنائزية الامبراطورية جلست في مكتبي وأصغيت الى دوي المدفع . بالنسبة لي بدا الدوي الندب الاخير لعصر راحل . فيما بعد ادركت بأنه قد يكون تحية للجنرال (نوغى) . وبينما انا ممسك بطبعة الجريدة الاضافية بيدي قلت لزوجتي من غير تفكير: «جونشي . جونشي .»

قرأت في الصحيفة الكلمات التي كتبها الجنرال (نوغى) قبل انتحاره . عرفت بأنه منذ تمرد (ساتسوما) الذي خسره رايته امام العدو، كان يريد استرداد شرفه عن طريق الموت . ووجدت نفسي احسب تلقائياً السنوات التي عاشها الجنرال والموت دائماً في ذهنه . وكما تعلم، حدث هذا التمرد في السنة العاشرة من حكم (ميجي) . وعليه، لابد انه عاش خمسة وثلاثين عاماً وهو ينتظر الوقت المناسب لكي يموت . سألت نفسي : «متى عانى عذاباً اكبر، هل خلال الاعوام الخمسة والثلاثين ام خلال اللحظة التي اخترق فيها السيف احشاءه؟» بعد ذلك بيومين او ثلاثة ايام قررت الانتحار . ربما انك لاتفهم بوضوح لماذا انا على وشك ان اموت مثلما لا استطيع انا ان افهم تماماً

لماذا قتل الجنرال (نوشي) نفسه . انت وانا ننتمي الى عهدين مختلفين ، لذلك نفكر تفكيراً مختلفاً . وما من شيء نستطيع به ان نردم الهوة بيننا . بالطبع قد يكون من الصحيح القول بأننا مختلفان لسبب بسيط هو اننا انسانان منفصلان . على اية حال ، لقد فعلت في سردي السابق اقصى ما استطيع لاجعلك تفهم هذا الشخص الغريب الذي هو انا .

انني تارك زوجتي من بعدي . لحسن الحظ سيكون لديها ما يكفي لتواصل العيش بعد رحيلي . وليست لدي رغبة بأن أسبب لها صدمة تتجاوز الحد . انني انوي ان اموت بطريقة تجنبها مشاهدة دمي المسفوح . سوف ارحل عن هذا العالم بهدوء فيما هي خارج البيت . اريد لها ان تفكر بأنني مت فجأة بلا سبب . ربما ستفكر بأنني فقدت صوابي : وهذا شيء حسن .

لقد مضت عشرة ايام منذ ان قررت الموت . اريدك ان تعرف بأنني قضيت معظم الوقت في كتابة هذه الرسالة لك عن نفسي . في البداية اردت ان اتحدث اليك عن حياتي ، اما الآن وقد اوشكت ان انهي الكتابة ، اشعر بأنني ما كنت بقادر ان اقدم لك شفهاً وصفاً بمثل هذا الوضوح ، وانني لسعيد . ارجوك ان تفهم بأنني لم اكتب هذه الرسالة لمجرد تزجية الوقت . ان حياتي الماضية التي جعلتني ما انا عليه هي جزء من التجربة البشرية . الفرق الوحيد هو انني استطيع سردها . لا اعتقد بأن الجهد الذي صرفته باخلاص كان بلا هدف كلياً . فاذا ساعدتك قصتي وساعدت الآخرين في فهم حتى جزء هين من ماهيتنا

فسوف اكون راضياً. منذ عهد قريب بلغني بأن (واتانابي كازان) اجل موته اسبوعاً لكي ينهي لوحته (كانتان)^(١). قد يقول البعض بأن فعل شيء من هذا القبيل انما هو عبث. لكن من نحن حتى نحكم على متطلبات انسان آخر؟ انني لم اكتب الا لأحافظ على عهدي لك. واكثر الزاماً من العهد هو الضرورة التي شعرت بها بداخلي لأن اكتب هذه القصة.

الآن قد لبيت هذه الحساجة. لم يبق لي شيء افعله. وفي الوقت الذي تصلك فيه هذه الرسالة، يحتمل ان اكون قد غادرت هذا العالم وانني سأكون ميتاً في كل الاحتمالات. قبل حوالي عشرة ايام ذهبت زوجتي لتبكت مع خالتها في (ايشيغايا). لقد مرضت الخالة، وعندما سمعت بحاجتها للمساعدة بعثت بزوجتي الى هناك. لقد كتبت معظم هذه الوثيقة الطويلة في اثناء غيابها. وفي كل مرة تعود كنت اخفيها عنها.

اريد ان تنفع الاشياء الجيدة والسيئة في حياتي الماضية كمثال للآخرين. اما زوجتي فهي الاستثناء الوحيد. . . لا اريد لها ان تعرف اي شيء من هذا. وامنتي الوحيدة ان تكون ذكراها عني مصانة وغير مدنسة ما امكن. وما دامت زوجتي حية اريد منك ان تكتم كل شيء اخبرتك به في السر. . . حتى بعد ان اكون ميتاً.

دار المأمون للترجمة والنشر

تأسست في منتصف عام ١٩٨٠ لتتولى مسؤولية الترجمة ونشر المطبوعات الدورية الناطقة باللغات الاجنبية والمطبوعات المترجمة من والى اللغة العربية وبما يؤمن الاسهام الفعال في عملية التواصل والتفاعل الحضاريين بين العراق والعالم .

تصدر دار المأمون الصحف التالية :-

- ١ - جريدة بغداد اوبزرفر - يومية سياسية ناطقة باللغة الانكليزية .
- ٢ - مجلة بغداد - شهرية سياسية عامة ناطقة باللغة الفرنسية .
- ٣ - مجلة كلكامش - مجلة الثقافة العراقية الحديثة - فصلية ثقافية ناطقة باللغة الانكليزية .

وتترجم الدار كتباً من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية واخرى من اللغات العربية الى اللغات الاجنبية وتصدرها . كما تقدم خدمات الترجمة الفورية والتحريرية للمؤتمرات والندوات الدولية داخل العراق وخارجه .

**- صدر عن دار المأمون الكتب الآتية المترجمة الى العربية -
حسب تأريخ نشرها**

| السنون | السنة | تأليف | ترجمة |
|---|-------|----------------------|--------------------------|
| ١ - دليل مترجم المؤتمرات | ١٩٨١ | جان هيربرت | سمير عبدالرحيم الجلبي |
| ٢ - رباعية الحرب (قصص الادب الانكليزي) | ١٩٨٥ | جورج ماكبث | ياسين طه حافظ |
| ٣ - فن الرواية (دراسة نقدية) | ١٩٨٦ | كولن ولسن | محمد درويش |
| ٤ - العاصفة (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٥ - كلب الصيد الابيض ذو الاذن السوداء (رواية من الادب الروسي) | ١٩٨٦ | جافريل تروبولسكي | عبدالواحد محمد |
| ٦ - مكبث (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٧ - الملك لير (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٨ - بين الفن والعلم (دراسة نقدية) | ١٩٨٦ | دولف رايسر | د. سلمان الواسطي |
| ٩ - بلاد الثلوج (رواية من الادب الياباني) | ١٩٨٦ | يوسوناري كاواباتا | لطيفة الدليمي |
| ١٠ - مدن لا مرئية (رواية من الادب الايطالي) | ١٩٨٦ | ايتالو كالفينو | ياسين طه حافظ |
| ١١ - السيدة دالواي (رواية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | فرجينيا وولف | عطا عبدالوهاب |

- ١٢ - جن (رواية من الادب الفرنسي) ١٩٨٦ الان روب غرييه د . سعيد علوش
وخديجة بناني
- ١٣ - عطيل (مسرحية من الادب الانكليزي) ١٩٨٦ وليم شكسبير جبرا ابراهيم جبرا
- ١٤ - هاملت (مسرحية من الادب الانكليزي) ١٩٨٦ وليم شكسبير جبرا ابراهيم جبرا
- ١٥ - شكسبير والانسان المستوح (دراسة نقدية) ١٩٨٧ جانيت ديلون جبرا ابراهيم جبرا
- ١٦ - الحداثة (الجزء الاول) (دراسة نقدية) ١٩٨٧ مالكم برادبري مؤيد حسن فوزي
وجيمس ماكفرلين
- ١٧ - صناعة المسرحية (دراسة نقدية) ١٩٨٧ ستوارت غريذتش عبدالله الدباغ
- ١٨ - القطار السريع (رواية من الادب الالمانى) ١٩٨٧ ارمكارد كوين اقبال ايوب
- ١٩ - الازهار البرية (مجموعة قصص قصيرة من الادب الامريكى) ١٩٨٧ ارسكين كالدويل علي الحلبي
- ٢٠ - حبة قمح (رواية من الادب الافريقي) ١٩٨٧ نغوي واثيونفو سلمان حسن ابراهيم
- ٢١ - قبو البصل (قصص قصيرة من الادب الالمانى) ١٩٨٧ د . سامي حسين الاحمدي
- ٢٢ - معجم التعابير الاجنبية في اللغة الانكليزية ١٩٨٧ ب . ا. فثيان سمير عبدالرحيم الجلبى
- ٢٣ - مصطلحات المؤتمرات ١٩٨٧ جان هيربرت سمير عبدالرحيم الجلبى
- ٢٤ - الثعلب (رواية من الادب الانكليزي) ١٩٨٧ د. هـ. لورنس نمر عباس مظفر

- ٢٥ - مذكرات مالوان (عالم الاثار
وزوج اجاثا كريستي)
١٩٨٧ ماكس مالوان سمير عبدالرحيم
الجلبي
- ٢٦ - الرجل العاشر (رواية من
الادب الانكليزي)
١٩٨٧ غريم غرين هادي عبدالله الطائي
- ٢٧ - النفق (رواية من الادب
الاسباني)
١٩٨٧ ارنستو سابانو مروان ابراهيم صديق
- ٢٨ - حوار الروية (دراسة فنية)
١٩٨٧ ناثان نوبل فخري خليل
- ٢٩ - ملحمة رامايانا (من الادب
الهندي)
١٩٨٧ ر.ك. نارايان د. جوزيف نادربولس
- ٣٠ - جويس (دراسة نقدية)
١٩٨٧ جون كروس عبدالوهاب الوكيل
- ٣١ - الورقة الخضراء (مختارات
شعرية من الادب السوفيتي
المعاصر)
١٩٨٨ ايغور بيرماكوف د. عباس خلف
- ٣٢ - الخطوات الضائعة (رواية من
ادب امريكا اللاتينية)
١٩٨٨ اليخو كاربنتر سالم شمعون
- ٣٣ - الانطباعة (دراسة فنية)
١٩٨٨ جان ليماري فخري خليل عزيز
- ٣٤ - ايلول بلا مطر (قصص
قصيرة من الادبين الانكليزي
والامريكي)
١٩٨٨ جبرا ابراهيم جبرا
- ٣٥ - اللغة في الادب الحديث
(الحدائة والتجريب) (دراسة
فنية)
١٩٨٨ جاكوب كورغ ليون يوسف
وعزيز عمانوئيل
- ٣٦ - بحر ساركاسو الواسع
١٩٨٨ جين ريز فلاح رحيم
- ٣٧ - المعنى الادبي
١٩٨٨ ويليم راى د. بيونيل يوسف
عزيز

| | | |
|------|--------------------------------|-------------------------------|
| ١٩٨٨ | نيكولاس ويد في مظفر | ٣٨ - الاوهام البصرية |
| ١٩٨٨ | موريس بونس رعد اسكندر | ٣٩ - الحلو المر |
| ١٩٨٨ | سامي مهدي | ٤٠ - جاك بريفيير |
| ١٩٨٨ | د. سي ميويك د. عبدالواحد لؤلؤة | ٤١ - موسوعة المصطلح النقدي |
| ١٩٨٨ | سيتن لويد محمد درويش | ٤٢ - فن الشرف الادنى التّقديم |
| ١٩٨٨ | كلود سيمون باسيل قوزي | ٤٣ - طريق فلاندر |

«إن حياتي الماضية التي جعلتني ما أنا عليه هي جزء من التجربة البشرية الفرق الوحيد هو أنني أستطيع سردها. لا اعتقد بأن الجهد الذي بذلته بإخلاص كان بلا هدف كلياً. فإذا ساعدتك قصتي وساعدت الآخرين في فهم حتى جزء هين من ماهيتنا، فسوف أكون راضياً...»

كوكورو
بطل الرواية

C2 رواية

S.P250



1 4 7 3 1 8

كوكورو

عالم المعرفة

دار المأمون مترجمه والنشر

علي مولا